عِقالٌ أسْودٌ وطَرْبوشٌ أحْمرُ

الكاتب:
هشام أجران

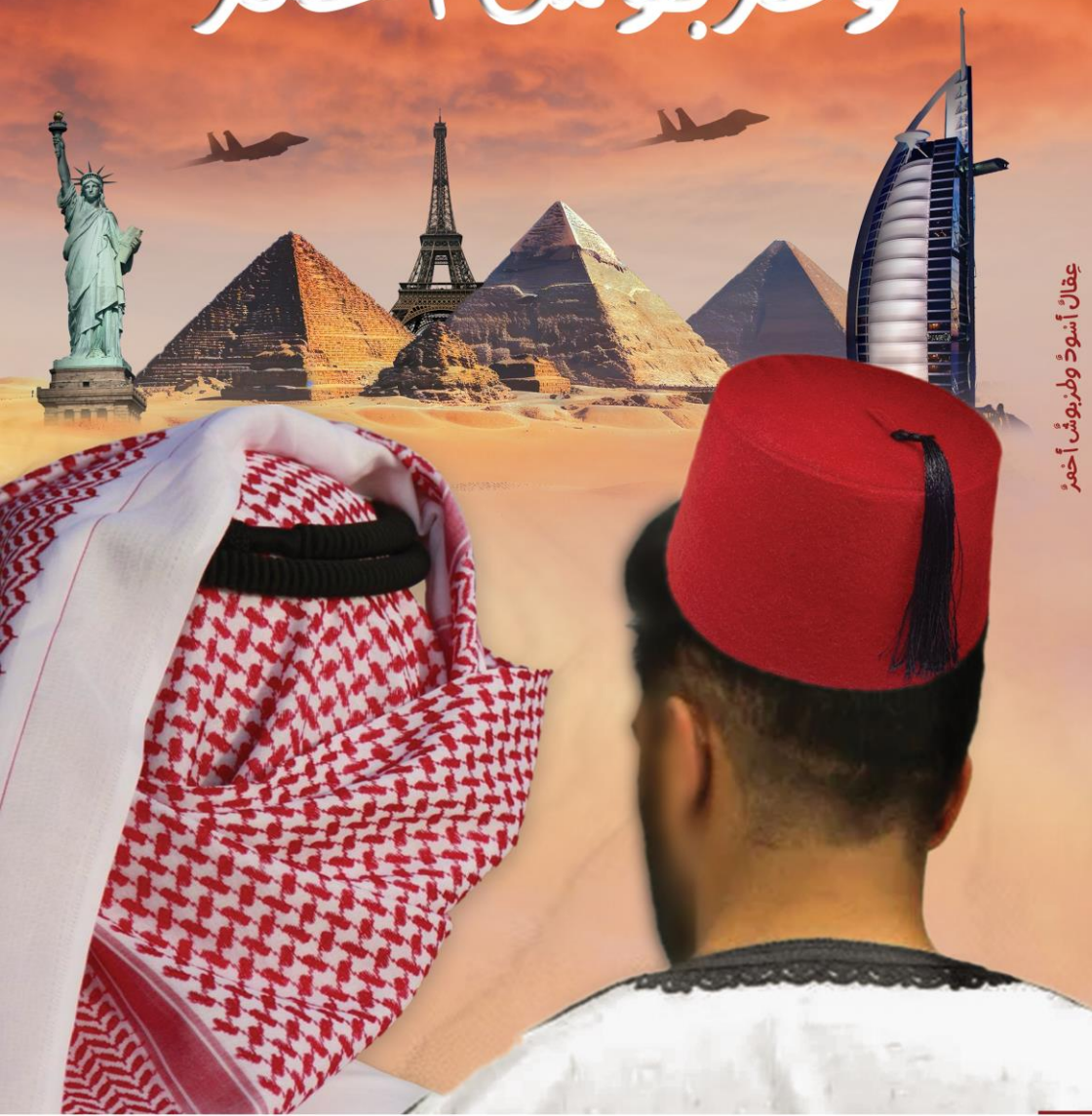

عِقالٌ أسودٌ وطربوشٌ أحمرُ

عِقالٌ أَسْوَدٌ

وطَربُوشٌ أَحْمَرٌ

اسم الكتاب: عِقالٌ أسْودٌ وطَربُوشٌ أحْمَرٌ
اسم الكاتب: هشام أجران
نوع العمل: رواية للفتيان
الرقم الدولي EBIN: 16-1-321-240610
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)
Darbassma1@gmail.com
المملكة المغربية

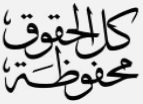

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

عِقالٌ أَسْوَدُ
وطَربُوشٌ أَحْمَرُ

رواية للفتيان

هشام أجران

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

هذه الرواية، إهداء لكل الحالمين والذين يؤمنون بأن الأحلام يمكن أن تتحقق.

إهداء لكل فتى عربي ولكل فتاة عربية، من المحيط إلى الخليج...

صدقُوا أحلامَكم، فالمُستحيلُ ليْس عربيًّا.

تاريخ الإصدار: يناير 2024

الفصلُ الأول: الصَّدْمَةُ

– لا يعرفُ حقًّا أين يتواجَدُ...كُلُّ الأشياءِ حولَه تبْدُو غريبةً ومُريبةً أيْضا، هذه الغُرفَةُ ذاتُ الجُدْرانِ البَيْضاءِ لا تُشْبِهُ غُرْفَتَهُ، والضَّوْءُ الخَافِتُ الَّذي يُرسِلُهُ المِصْباحُ المُعلَّقُ فوْقَ رأْسِه يُزْعِجُهُ، أمَّا السَّريرُ، فَمَعَ كُلِّ حَرَكَةٍ يقُومُ بِها، إلاَّ ويُصْدِرُ صَريرًا مُزْعِجًا، يزِيدُ مِنْ تَوتُّرِهِ وانْفِعَاله.

اِعْتَقدَ فِي لَحْظَةٍ أنَّهُ يَعِيشُ كابُوسًا، لِذا صَفَعَ وجْهَه، وكانَ الإحْساسُ بِالألَمِ عَلامةً على أنَّهُ يَعِيشُ الْواقِعَ. فَبَقِيَ مُتَسَمِّرًا فِي مَكَانِهِ، مُسْتَلْقِيًا علَى السَّرِيرِ المُهْتَرِئِ، ومُسْتَسْلِمًا لِلْهَوَاجِسِ والْأفْكارِ الَّتِي اجْتاحَتْ عقْلَه.

تنفَّس بِعُمْقٍ، حَركاتُ شَهِيقٍ وزفِيرٍ مُتَتالِيةٌ، وبِإيقاعٍ مُنْتَظِمٍ. كانَتْ تِلْكَ حِيلَتَهُ الوحِيدةَ للتَّخلُّصِ من التَّوتُّر الشَّديدِ الَّذي

يُعانِيهِ...لحْظَتَهَا تَذَكَّرَ الأُسْتاذَ (عادِل)... فَقَبْلَ عشْرِ سَنَواتٍ، كَان واحِدًا من تَلامِذَتِهِ، مَشْدُوهًا بِشَخْصيَّتِهِ الجَذَّابَةِ، وأنَاقَتِهِ، وحُسْنِ تَعامُلِهِ مَعَهُم، وطَرِيقَتِهِ المُمَيَّزَةِ في التَّدْريسِ. غَالِبًا ما كانَ الأسْتاذُ (عادِلُ) يَتَخَلَّصُ مِنْ قُيود البرْنامج الدِّراسي، لِيَنْفَتِحَ على مَجالاتٍ أُخرى تَتَعلَّقُ بِالحياةِ الواقِعيَّةِ، فَيُعَلِّمُهُم كيْفَ يَتعَامَلُونَ مَعَ مُتَطَلَّبَاتِ الشَّارِعِ، كيْفَ يُوَاجِهُونَ الصِّعَابَ، وكيْف يَتَغَلَّبُونَ علَى مَشَاعِرِ الْيَأْسِ والإِحْباطِ، وكيْفَ يَتَخَلَّصُونَ مِنَ التَّوتُّرِ والانْفِعالِ ونَوْباتِ الْهَلَعِ ...واعْتَادَ هُو أنْ يُخْبِرَ زُمَلاءَهُ بِأَنَّ أُسْتَاذَهُمْ يَمْلِكُ الكَثِيرَ مِنْ الحِكْمَةِ. لَكِنَّهُمْ يَتَذَمَّرُون، وَيَشْتَكُونَ مِنْ غُمُوضِ الأُسْتَاذِ وَغَرَابَتِه، وَأَنَّهُمْ مَا زَالُوا أَطْفَالًا لَا تَسْتَوْعِبُ عُقُولُهُمْ تِلْكَ الأَحَادِيثَ الفَلْسَفِيَّةَ. وَحْدَهُ مَنْ كَانَ يَسْتَوْعِبُ جَيِّدًا مَا يَقُولُهُ أُسْتَاذُه، رُبَّمَا لِأَنَّ قُدُرَاتِهِ العَقْلِيَّةَ كَانَتْ أَفْضَلَ وَأَكْبَر، فَلَطَالَمَا أَشَادَ الجَمِيعُ بِعَبْقَرِيَّتِه، وَتَفَوُّقِهِ، وَنُبُوغِهِ... لِذَا لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يَفْهَمَ الكَثِيرَ وَهُوَ مَا زَالَ فِي الثَّانِيَةَ عَشَرَ مِنْ عُمُرِه، كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلِ الصُّدَفِ أَنْ يُغَادِرَ بَلَدَهُ وَيَلْتَحِقَ بِأَرْقَى المَعَاهِدِ العُلْيَا فِي فَرَنْسَا وَهُوَ بِالكَادِ فِي السَّابِعَةَ عَشَرَ.

كَانَ الأُسْتَاذُ (عَادِل) مُحِقًّا حِينَمَا عَلَّمَهُمْ طَرِيقَةَ التَّنَفُّسِ العَمِيقِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ التَّوتُّرِ، فَقَدْ شَغَلَتْهُ الذِّكْرَيَاتُ الجَمِيلَةُ عَمَّا يُعَانِيهِ الآن، وَنَسِيَ فِي لَحَظَاتٍ أَنَّهُ مَسْجُونٌ فِي غُرْفةٍ غَرِيبَةٍ، لا يَعْرِفُ كَيْفَ وُضِعَ فيها، ومَتَى؟ ولِمَاذا؟؟

فَتَّشَ بِعُيُونِهِ عَنْ قَاطِعَةِ تَيَّار، سَيَكُونُ إطْفَاءُ هَذَا المِصْبَاحِ الكَئِيبِ أَفْضَلَ مِنْ إبْقَائِهِ مُضَاءً، فَخُيُوطُ النُّورِ الخَافِتَةِ الَّتِي يُرْسِلُهَا تَزِيدُ مِنْ إحْسَاسِهِ بِالوَحْشَةِ. لَكِنَّ الجُدْرَانَ حَوْلَهُ عَارِيَةٌ مِنْ أَيِّ شَيْء، وَالبَابُ الخَشَبِيُّ المُقَابِلُ لَه، يَبْدُو مُغْلَقًا فِي إحْكَام، وَقَدْ صُبِغَ بِنَفْسِ لَوْنِ الجُدْرَان، لَوْنٌ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ.

فِي وَسَطِ هَذَا البَيَاضِ، شَعَرَ بِأَنَّهُ يُحَلِّقُ فِي الفَرَاغ، فَقَدْ تَعَوَّدَ عَلَى العَيْشِ وَسَطَ الأَلْوَان، زُرْقَةُ السَّمَاء، وَخُضْرَةُ الأَشْجَار، وَحُمْرَةُ الغَسَق، وَصُفْرَةُ السَّنَابِلِ وَقْتَ الحَصَاد، وَكُلُّ الأَلْوَانِ الأُخْرَى الَّتِي تَبْدُو فِي لِبَاسِ النَّاسِ وَأَثَاثِ البُيُوتِ، وَفِي كُلِّ مَا يُحِيطُ بِهِ. وَجَدَ نَفْسَهُ فِي لَحْظَةٍ يُفَكِّرُ فِي الأَلْوَان، رُبَّمَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِه، وَسرْعَانَ مَا تَبَدَّى أَمَامَهُ مَشْهَدٌ تَخْتَزِنُهُ ذَاكِرَتُه... هُنَاكَ فِي بَلَدِهِ، وَفِي القَرْيَةِ الصَّغِيرَةِ حَيْثُ وُلِدَ، كَانَ مَحْظُوظًا بِأَنْ نَشَأَ فِي مَكَانٍ مَنَحَهُ الخَالِقُ كُلَّ آيَاتِ الجَمَالِ، أَرْضٌ

مُنْبَسِطَةٌ خَضْرَاءُ، يُحِيطُ بِهَا جَبَلَانِ شَامِخَانِ، وَتَتَرَقْرَقُ المِيَاهُ الصَّافِيَةُ فِي نَهْرٍ يَقْطَعُ وَسَطَ القَرْيَةِ، وَعَلَى الضِّفَّتَيْنِ تَوَزَّعَتْ بُيُوتٌ جَمِيلَةُ المَظْهَرِ، تَفَنَّنَ سَاكِنُوهَا فِي تَزْيِينِ وَاجِهَاتِهَا، وَوَضْعِ أَصُصٍ كَبِيرَةٍ بِجَانِبِ أَبْوَابِهَا، غُرِسَتْ فِيهَا وُرُودٌ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَلْوَانِ... مَسْجِدُ القَرْيَةِ عَالِيَةٌ صَوْمَعَتُهُ كَأَنَّهَا تُنَاطِحُ الجِبَالَ، وَغَيْرَ بَعِيدٍ تَتَوَاجَدُ المَدْرَسَةُ، وَالَّتِي قَضَى فِي رِحَابِهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُقَرِّرَ أَبُوهُ الهِجْرَةَ نَحْوَ المَدِينَةِ...

تَمَلْمَلَ فِي سَرِيرِهِ، والَّذِي أَصْدَرَ صَرِيرًا مُزْعِجًا، لِيَقْطَعَ حَبْلَ أَفْكَارِهِ، وَيُعِيدَهُ إِلَى صَحْوَةِ الوَاقِعِ. فَتَسَاءَلَ مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ فِي قِمَّةِ الغَيْظِ، وَبِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ هَذِهِ المَرَّةَ:

مَاذَا أَفْعَلُ هُنَا؟ وَكَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى هذَا الْمَكَانِ؟ وَلِمَاذَا؟ وَمَتَى؟؟؟

كُلُّ مَا يَتَذَكَّرُهُ أَنَّهُ أَنْهَى حِصَّةً دِرَاسِيَّةً اسْتَمَرَّتْ لِأَرْبَعِ سَاعَاتٍ، وَخَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ فِي غَايَةِ الإِنْهَاكِ، بَعْدَمَا اسْتَنْفَذَ الكَثِيرَ مِنْ قُدُرَاتِهِ العَقْلِيَّةِ فِي حَلِّ مُعَادِلَةٍ رِيَاضِيَّةٍ صَعْبَةٍ لَمْ يَتَوَصَّلْ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ إِلَى حَلِّهَا.

كَانَ أُسْتَاذُهُ فِي مَادَّةِ الرِّيَاضِيَّاتِ المُعَمَّقَةِ، البرُوفِيسُور (هَاوَارِد) يُرَاقِبُهُ بِانْبِهَارٍ، تَبْدُو عَيْنَاهُ الزَّرْقَاوَانِ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ نَظَّارَتِهِ الطِّبِّيَّةِ بَرَّاقَتَيْن، كَأَنَّمَا يَتَرَقَّبُ فِي لَهْفَةٍ أَنْ يَتَوَصَّلَ تِلْمِيذُهُ النَّجِيبُ إِلَى الحَلِّ، لِأَنَّهُ يَثِقُ كَثِيرًا فِي قُدُرَاتِهِ.

- لَكِنَّ البرُوفِيسُورَ لَمْ يَنْبَسْ بِكَلِمَةٍ طِيلَةَ الأَرْبَعِ سَاعَاتٍ، كَانَ بَيْنَ الفِينَةِ وَالأُخْرَى يَنْشَغِلُ بِقِرَاءَةِ كِتَابٍ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ لِلِانْشِغَالِ بِخُصْلَاتِ شَعْرِهِ الشَّقْرَاءِ وَالَّتِي انْسَابَتْ عَلَى جَبْهَتِهِ العَرِيضَةِ. يُحَاوِلُ عَبَثًا أَنْ يُعِيدَهَا إِلَى الوَرَاء، فَتَأْبَى ذَلِكَ، وَسرْعَانَ مَا تَعُودُ إِلَى مَكَانِهَا الأَوَّل. صِرَاعٌ مُثِيرٌ بَيْنَ إِرَادَةِ رَجُلٍ وَبَيْنَ قَوَاعِدِ الفِيزِيَاءِ وَالطَّبِيعَةِ. فَلَا يُمْكِنُ التَّحَكُّمُ فِي شَعْرٍ نَاعِمٍ وَمَنْفُوشٍ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ. قَبْلَ نِهَايَةِ الحِصَّةِ بِخَمْسِ دَقَائِق، اقْتَرَبَ مِنْهُ فِي هُدُوءٍ، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ:

- يَكْفِي اليَوْمَ يَا (رَيَّان). مَوْعِدُنَا الأُسْبُوعُ المُقْبِل.

- خَرَجَ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ البَيْت، يَقْطُنُ فِي إِقَامَةٍ خَاصَّةٍ بِالطُّلَّابِ، مُسْتَفِيدًا مِنْ مِنْحَةٍ بِسَبَبِ تَفَوُّقِهِ الدِّرَاسِي. قَضَى خَمْسَ سَنَوَاتٍ فِي نَفْسِ المَسْكَن، غُرْفَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، مَطْبَخٌ صَغِيرٌ، وَحَمَّامٌ. بِالنِّسْبَةِ إِلَى

طَالِبٍ شَابٍّ فِي مُقْتَبَلِ العُمْر، قَادِمٍ مِنْ بَلَدٍ عَرَبِيّ، لِيُكْمِلَ دِرَاسَتَهُ فِي (بَارِيس)، كَانَتْ تِلكَ الإِقَامَةُ أَشْبَهَ بِقَصْرٍ أَوْ أَكْثَرَ.

- عَرَجٍ عَلَى مَحَلٍّ صَغِيرٍ اعْتَادَ اقْتِنَاءَ هِلَالِيَّاتٍ لَذِيذَةٍ مِنْهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ مَحَطَّةِ المِتْرُو، بَعْدَهَا لَا يَتَذَكَّرُ مَا حَصَلَ ...

أَحَدُهُمْ يَفْتَحُ البَاب، خَفَقَ قَلْبُهُ بِعُنْفٍ، مُتَرَقِّبًا مَا سَيَحْدُثُ. دَخَلَ رَجُلَانِ. يَبْدُوَانِ مُتَشَابِهِيْنَ لِدَرَجَةِ الِاسْتِفْزَاز، نَفْسُ البِذْلَةِ السَّوْدَاء، وَالنَّظَّارَاتِ الشَّمْسِيَّةِ الغَامِقَة، وَالجَسَدِ الرِّيَاضِيّ المَمْشُوق، بَلْ وَتَسْرِيحَةُ الشَّعْرِ نَفْسُهَا.

رَكَنَا إِلَى صَمْتٍ مُرِيبٍ وَهُمَا يَرْمُقَانِهِ بِنَظَرَاتٍ تَخَيَّلَهَا صَارِمَةً وَحَادَّةً، مَادَامَتْ عُيُونُهُمَا لَا تَظْهَرَانِ مِنْ وَرَاءِ الزُّجَاجِ الأَسْوَدِ الغَامِقِ لِلنَّظَّارَاتِ. فَجْأَة، وَبِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ، خَاطَبَهُ أَحَدُهُمَا بِنَبْرَةٍ صَارِمَةٍ:

- سَيِّدْ (رَيَّان)، يُمْكِنُكَ مُرافَقَتَنَا.

رَافَقَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ كَانَا يَسِيرَانِ وِفْقَ إِيقَاعٍ مَضْبُوطٍ، فَكَأَنَّهُمَا رَجُلَانِ آلِيَانِ يَسْتَجِيبَانِ لِتَحَكُّمٍ إِلِكْتُرُونِيّ، أَحْنَى (رَيَّان) رَأْسَهُ وَحَرَّكَ عَيْنَاهُ بِطَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ المَكَانِ وَتَفَاصِيلِهِ. كَانَتْ هَذِهِ

هِيَ طَرِيقَتُهُ المُتَفَرِّدَةُ فِي التَّمْوِيه، تَعَلَّمَهَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَة، يُوحِي لِلرَّاغِبِينَ فِي الِاعْتِدَاءِ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَسْلِمٌ، مُفْتَقِدٌ لِلْحِيلَةِ وَلِرِدَّةِ الفِعْل، بَيْنَمَا عُيُونُهُ تَفْحَصُ المَكَان، وَعَقْلُهُ يَدْرُسُ كُلَّ الِاحْتِمَالَاتِ، وَحِينَ يَكْتَشِفُ الثَّغْرَةَ، يَهْرُبُ، يُطْلِقُ سَاقَيْهِ لِلرِّيح، وَيَبْتَعِدُ مُسْتَغِلاً سُرْعَتَهُ وَهِيَ نُقْطَةُ قُوَّتِهِ الثَّانِيَة. لَمْ يَكُنْ يَسْتَعْمِلُ عَضَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى عَقْلِه، وَلَطَالَمَا آمَنَ بِأَنَّ العَقْلَ يَتَفَوَّقُ غَالِبًا عَلَى العَضَلَاتِ.

اليَوْم، يُجَرِّبُ طَرِيقَتَهُ المُمَيِّزَة، لَكِنَّهُ يَصْطَدِمُ بِخَيْبَةِ الأَمَل، فَالمَكَانُ حَوْلَهُ يَبْدُو مُغْلَقًا بِجُدْرَانٍ عَالِيَةٍ تُحِيطُ بِهِ عَلَى شَكْلٍ مُرَبَّع، كَمَا لَمَحَ أَرْبَعَةَ أَبْرَاجٍ عَالِيَة مُنْتَصِبَةً فِي جَنَبَاتِ المَكَان، وَلَمْ يَغِبْ عَنْ نَاظِرَيْهِ ذَلِكَ الوَمِيضُ المُنْبَعِثُ مِنَ الأَبْرَاج، وَالَّذِي اسْتَنْتَجَ بِسُرْعَةِ بَدِيهَتِهِ وَذَكَائِهِ أَنَّهُ انْعِكَاسٌ لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ عَلَى فُوَهَاتِ بَنَادِقَ آلِيَّةٍ. اجْتَازَ الثَّلَاثَةُ السَّاحَةَ الوَاسِعَة، لِيَقْطَعَا مَمَرًّا ضَيِّقًا، انْتَشَرَتْ عَلَى جَانِبَيْهِ جُدْرَانٌ بَيْضَاء، وَبَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ تَظْهَرُ أَبْوَابٌ خَشَبِيَّةً مُوصَدَةٌ.

مَعَ أَوَّلِ انْعِطَافَةٍ إِلَى اليَمِين، تَغَيَّرَ المَشْهَدُ بِصِفَةٍ كُلِّيَّة، فَقَدْ ظَهَرَتْ بَاحَةٌ وَاسِعَة، تَوَسَّطَتْهَا فَتْحَةٌ دَائِرِيَّةٌ تُطِلُّ عَلَى طَابَقٍ أَرْضِي،

هُنَاكَ لَمَح (رَيانُ) العَدِيدَ مِنَ الأَشْخَاصِ وَهُمْ يَتَحَرَّكُونَ فِي أَرْجَاءِ المكَانِ كَخَلِيَّةِ نَحْلٍ. ارْتَدَوْا جَمِيعُهُمْ بِذْلَاتٍ بَيْضَاء، وَكَانُوا يَتَعَامَلُونَ مَعَ أَجْهِزَةٍ كَومَبْيُوتر عَدِيدَة، وَشَاشَاتٍ تَفَاعُلِيَّةٍ ضَخْمَةٍ عُلِّقَتْ عَلَى جُدْرَانِ القَاعَةِ. أَبْطَأَ (رَيَّان) مِنْ حَرَكَتِهِ لِيَكْتَشِفَ أَكْثَرَ خَصَائِصَ ذَلِكَ المكَانِ المُمَيّز، لَكِنَّ يَدَ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ جَرَّتْهُ مِنْ ذِرَاعِهِ بِرِفْق، بَيْنَمَا كَانَ الآَخَرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى أَحَدِ الأَبْوَابِ المُوصَدَةِ.

تَوَقَّفَ (رَيَان) أَمَامَ البَابِ الخَشَبِيّ المَتِين، وَانْطَلَقَ شُعَاعٌ ليزَرٍ مِنْ جِهَازٍ صَغِيرٍ مُثَبَّتٍ أَعْلَى البَاب، لِيَمُرَّ عَلَى جَسَدِ الفَتَى، قَبْلَ أَنْ يَنْبَعِثَ صَوْتٌ قَوِيٌّ:

-آمِنْ... يُمْكِنُهُ الدُّخُول!!

فُتِحَ البَابُ آلِيًّا، تَرَدَّدَ (رَيَّان) فِي الدُّخُول، لَكِنَّ إِشَارَةَ الرَّجُلَيْنِ مَعًا نَحْوَ الدَّاخِلِ أَرْغَمَتْهُ عَلَى ذَلِكَ.

بِخُطُوَاتٍ مُتَرَدِّدَة، وَتَرَقُّبٍ مَشُوبٍ بِبَعْضِ الخَوْف، دَلَفَ (رَيَّان) إِلَى الدَّاخِل، كَانَتِ الغُرْفَةُ مُهَيَّأَةً بِشَكْلٍ أَنِيقٍ، أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً تَرَبَّعَ مَكْتَبٌ كَبِيرٌ، وُضِعَتْ فَوْقَهُ مِلَفَّاتٌ كَثِيرَةٌ بِطَرِيقَةٍ مُنَظَّمَةٍ، وَجِهَازِيْ حَاسُوبٍ مِنَ النَّوْعِ الأَكْثَرِ تَطَوُّرًا، وَفِي الجَانِبِ، وُضِعَتْ أَرِيكَةٌ جِلْدِيَّةٌ

سَوْدَاءُ تَتَّسِعُ لِثَلَاثَةِ أَشْخَاص، أَمَامَهَا طَاوِلَةٌ زُجَاجِيَّةٌ صَغِيرَةٌ، وَعَلَى الجِدَارِ المُقَابِلِ شَاشَةٌ ضَخْمَة، بَيْنَمَا غَطَّتْ لَوْحَةٌ تَشْكِيلِيَّةٌ ضَخْمَةٌ الجِدَارَ الخَلْفِيَّ لِلْمَكْتَب.

تَأَمَّلَ (رَيَّانَ) اللَّوْحَةَ كَثِيرًا، مَنْظَرُ الغُرُوبِ بِكُلِّ جَمَالِهِ وَدِفْءِ أَلْوَانِهِ وَالَّتِي جَعَلَتِ السَّمَاءَ تَبْدُو وَكَأَنَّهَا تَدَثَّرَتْ بِغِطَاءٍ أَحْمَر... الصَّوْمَعَةُ الشَّامِخَةُ وَالَّتِي تَتَوَارَى خَلْفَهَا الشَّمْس، ثُمَّ ذَلِكَ الفَارِسُ العَرَبِيُّ المُلَثَّمُ وَالَّذِي يُلَوِّحُ بِسَيْفِهِ عَالِيًا، بَيْنَمَا ارْتَفَعَتْ قَائِمَتَيْ حِصَانِهِ الأَدْهَمِ فِي الهَوَاءِ.

- هذهِ لوْحَةٌ تُمَثِّلُ الشُّموخَ والعِزَّةَ والشَّجَاعَةَ. ردَّدَ (ريَّان) فِي نَفْسِهِ وقَدِ انْبَهَرَ بِرَوْعَةِ اللَّوْحةِ وأَلْوَانِهَا ومَوْضُوعِهَا. ثُمَّ عَادَ لِيَتَسَاءَلَ فِي حِيرَةٍ:

- ماذَا تَفْعَلُ لَوْحَةٌ لِفارِسٍ عَرَبِيٍّ فِي مَدِينةٍ أُورُوبِّيَةٍ؟؟

- هَلْ أَعْجَبَتْكَ اللَّوْحَةُ سيِّدْ (رَيَّان)؟؟

انْتَفَضَ الفَتَى بِقُوَّةٍ بَعْدَمَا فَاجَأَهُ الصَّوْتُ المُنْبَعِثُ مِنْ خَلْفِه، وَالْتَفَتَ بِعَفْوِيَّةٍ نَحْوَ مَصْدَرِه، لِيَجِدَ أَمَامَهُ رَجُلًا فِي عِقْدِهِ الخَامِسِ

تَقْرِيبًا، احْتَفَظَ بِرَشَاقَتِهِ وَأَنَاقَتِهِ، وَمَنَحَتْهُ عُيُونُهُ الزَّرْقَاءُ الصَّافِيَةُ، وَشَعْرُهُ الأَبْيَضُ المُتَنَاسِقُ، وَأَنْفُهُ الدَّقِيقُ، وَسَامَةً وَجَاذِبِيَّةً.

- أَتَمَنَّى أَلاَّ نَكُونَ أَزْعَجْنَاكَ أَوْ تَسَبَّبْنَا فِي إِثَارَةِ خَوْفِكَ. لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا حَلٌّ آخَر.

عَقَدَ (رَيَّان) حَاجِبَيْهِ بَعْدَمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْحِيرَةُ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ فَقَدَ القُدْرَةَ عَلَى التَّرْكِيزِ مِنْ كَثْرَةِ المَشَاهِدِ وَالأَحْدَاثِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْه، وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ. بَيْنَمَا اسْتَرْسَلَ الرَّجُلُ فِي حَدِيثِهِ بِنَفْسِ النَّبْرَةِ الهَادِئَةِ:

- البرُوفِيسُور(جَاكَ) مُدِيرُ المَرْكَزِ الأُورُوبِّيّ لِلأَبْحَاثِ الفَضَائِيَّةِ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِيُصَافِحَهُ وَقَدْ رَسَمَ ابْتِسَامَةً وَدُودَةً عَلَى شَفَتَيْهِ.

- بُرُوفِيسُورَ؟ ... مُدِير؟ ... مَرْكَزُ الفَضَاء؟ ... وَلِمَاذَا يُصَافِحُنِي بِاليَدِ اليُسْرَى؟؟

تَرَدَّدَتْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ وَالأَسْئِلَةُ فِي ذِهْنِ (رَيَّان) وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَجْمِعَ الخُيُوطَ لِيَهْتَدِيَ إِلَى حَقِيقَةِ الأُمُورِ.

صَمَتَ الرَّجُلُ كَأَنَّمَا يَنْتَظِرُ مِنَ الشَّابِّ أَمَامَهُ أَنْ يُبَادِرَ لِلْحَدِيثِ بِدَوْرِهِ، وَجَلَسَ عَلَى الكُرْسِيِّ الجِلْدِيِّ الوَثِيرِ وَرَاءَ المَكْتَبِ الأَنِيق، قَبْلَ أَنْ يُشِيرَ بِيَدِهِ اليُسْرَى دَائِمًا لِ(رَيَان) يَدْعُوهُ لِلْجُلُوسِ.

اِرْتَمَى (رَيَّان) عَلَى الأَرِيكَةِ الجِلْدِيَّةِ السَّوْدَاء، الَّتِي مَنَحَتْهُ شُعُورًا طَفِيفًا بِالرَّاحَة، وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ مِنِ الْتِقَاطِ الأَنْفَاسِ وَمُحَاوَلَةِ التَّحَكُّمِ فِي انْفِعَالَاتِهِ وَتَوَتُّرِه، سَأَلَ الرَّجُلَ بِاحْتِرَامٍ:

–عُذْرًا برُوفِيسُور، مَاذَا أَفْعَلُ فِي مَرْكَزِ الأَبْحَاثِ الفَضَائِيّةِ؟؟

–العَالَمُ يَحْتَاجُ إِلَيْكَ يَا سَيِّد (رَيَّان)... أَقْصِدُ إِلَيْنَا.

زَادَ جَوَابُ البرُوفِيسُور مِنْ دَرَجَةِ الحِيرَةِ لَدَى (رَيَّان)، وَبَدَا ذَلِكَ جَلِيًّا فِي مَلَامِحِهِ مِنْ خِلَالِ تَعْبِيرٍ عَفْوِيٍّ اِرْتَسَمَ عَلَى وَجْهِه، فَقَدْ مَطَّ شَفَتَيْهِ، وَضَاقَتْ عَيْنَاهُ، وَظَهَرَتْ تَجَاعِيدُ صَغِيرَةٌ وَسَطَ جَبْهَتِهِ الوَاسِعَة، دُونَ أَنْ يَنْبَسَ بِبِنْتِ شَفَةٍ.

- سَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ سَيِّد (رَيَّان)، فَلَا دَاعِي لِلْعَجَلَةِ. أُكَرِّرُ اعْتِذَارِي عَلَى طَرِيقَةِ اسْتِقْدَامِكَ، فَالجِهَازُ الأَمْنِيُّ التَّابِعُ لِلْمَرْكَزِ يَتَعَامَلُ بِحَذَرٍ وَيَهْتَمُّ بِسَرِيَّةِ عَمَلِيَّاتِه، لِهَذَا تَمَّ تَخْدِيرُكَ وَنَقْلُكَ إِلَى هَذَا المَكَانِ.

- تَخْدِيرِي؟؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) بِدَهْشَةٍ وَاسْتِنْكَارٍ.

- نعَم. كَانَ ذَلِكَ لِمَصْلَحَتِكَ حَتَّى لَا تُعَانِي مِنْ مُشْكِلَاتٍ بَعْدَ ذَلِكَ.

اقْتَرَبَ البرُوفِيسُورُ مِنْ (رَيَّان) حَتَّى شَعَرَ هَذَا الأَخِيرُ بِأَنْفَاسِهِ الدَّافِئَةِ تَنْفُذُ إِلَى أُذُنِه، وَهَمَسَ كَأَنَّمَا يَخْشَى أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ:

- هَذَا المَوْقِعُ سِرِّيٌّ جِدًّا، مِنْ حُسْنِ حَظِّك أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَعْيِك خِلَالَ نَقَلِكَ إِلَيْهِ.

كُلُّ هَذَا الغُمُوضِ يَزِيدُ مِنْ دَرَجَةِ انْفِعَالِ (رَيَّان) وَتَوتُّرِهِ. حَاوَلَ أَنْ يَتَمَاسَكَ، بَعْدَمَا رَاوَدَتْهُ فِكْرَةُ الهَرَبِ مِنْ جَدِيدِ: سَيَفْتَحُ البَاب، وَيُطْلِقُ سَاقَيْهِ للرِّيح، لكِن، إِلَى أَيْنَ؟؟

حَرَّكَ بَصَرَهُ فِي أَرْجَاءِ الغُرْفَةِ بَعْدَمَا انْشَغَلَ البرُوفِيسور بِمُرَاجَعَةِ شَيْءٍ مَا عَلَى شَاشَةِ حَاسُوبِه، وَانْتَبَهَ إِلَى حَرَكَاتِ سَبَّابَةِ يَدِهِ اليُسْرَى وَهِيَ تَضْغَطُ عَلَى الأَزْرَارِ مُتَّبِعَةً مَسَارًا هَنْدَسِيًّا مُعَيَّنَا. كَانَتْ حِدَّةُ المُلَاحَظَةِ، وَدِقَّةُ التَّرْكِيزِ، وَاقْتِنَاصُ التَّفَاصِيلِ وَالجُزْئِيَّاتِ، وَاحِدَةً مِنْ مَوَاهِبِ (رَيَّان) المُتَعَدِّدَة، وَغَالِبًا مَا نَظَرَ إِلَيْهِ الآخَرُونَ عَلَى أَنَّهُ غَرِيبُ الأَطْوَار، كُلَّمَا وَاجَهَهُمْ بِأُمُورٍ لَا يَنْتَبِهُ إِلَيْهَا العَامَّةُ. لَكِنَّ الجَمِيعَ آمَنَ بِعَبْقَرِيَّتِهِ بَعْدَ ذَلِك، وَبِنُبُوغِهِ وَبِتَفَرُّدِهِ.

وَاجَهَتْهُ تِلْكَ اللَّوْحَةُ مِنْ جَدِيد، فَكَأَنَّ الفَارِسَ المُلَثَّمَ الَّذِي يَتَوَسَّطُهَا يُبَادِلُهُ النَّظَرَاتِ. تَذَكَّرَ شَيْئًا، فَسأَلَ الرَّجُلَ:

–مَاذَا تَفْعَلُ لَوْحَةٌ لِفَارِسٍ عَرَبِيٍّ فِي مَكْتَبَكَ؟

رَفَعَ البرُوفِيسُور عَيْنَيْهِ الزَّرْقَاوَيْنِ عَنْ شَاشَةِ الحَاسُوب، وَرَنَا إِلَى (رَيَّان) بِنَظْرَةٍ هَادِئَة، قَبْلَ أَنْ يَبْتَسِمَ وَيُجِيبَهُ بِصَوْتٍ حَالِمٍ:

–عِشْتُ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ فِي المَغْرِب، فِي (مُرَّاكُش) عَلَى وَجْهِ الدِّقَّةِ. هَـذِهِ اللَّوْحَـةُ هِـيَ هَدِيَّةٌ مِـنْ صَـدِيقٍ عَزِيـز، لَكِنَّهَـا تُثِيرُ إِعْجَـابِي كُلَّمَـا تَأَمَّلْتُهَـا. أَنْـتُمُ العَرَبُ فُرْسَـانٌ بِالفِطْرَة، فَلَا تُخَيِّبْ تَوَقُّعَاتِي فِيكَ أَيُّهَا الفَارِسُ العَرَبِيُّ البَطَلُ.

أَثَّرَتْ كَلِمَاتُ الرَّجُلِ عَلَى (رَيَّان) الَّذِي اسْتَسْلَمَ لِقُشَعْرِيرَةٍ بَارِدَةٍ سَرَتْ فِي جَسَدِهِ. ذَكَّرَهُ الرَّجُلُ بِبَلَدِه، وَبِأَمْجَادِ أُمَّتِه، وَكَانَ وَقْعُ كَلِمَةِ البَطَلِ وَالفَـارِسِ أَكْثَـرَ تَأْثِيرًا عَلَيْـهِ. لَكِنَّـهُ مَـا زَالَ يُحَـاوِلُ أَنْ يَفْهَـمَ مَـا يَجْرِي، وَكَيْف، وَمَتَى، وَلِمَاذَا...؟؟؟

انْتَقَلَ الرَّجُلُ نَحْوَ خِزَانَةٍ مُثْبَتَةٍ عَلَى الجِدَار، وَحَرَّكَ سَبَّابَتَهُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى لَوْحَةِ مَفَاتِيحَ صَغِيرَةٍ مُلْحَقَةٍ بِهَا، دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ لِنَظَرَاتِ (رَيَّان) الَّتِي تُتَابِعُهُ بِمُنْتَهَى التَّرْكِيزِ. وَالَّذِي رَدَّدَ فِي نَفْسِهِ بِثِقَةٍ:

–الرَّجُـلُ يُعَـانِي مِـنْ إِعَاقَـةٍ مَـا فِي يَـدِهِ اليُمْـنَى وَلَا يَسْـتَطِيعُ اسْتِخْدَامَهَا. يَسْتَعْمِلُ رَقْمًا سِرِّيًّا وَاحِدًا فِي حَاسُوبِهِ وَخِزَانَتِهِ المُصَفَّحَةِ.

أَغْلَقَ الرَّجُلُ الخِزَانَة، بَعْدَمَا وَضَعَ بِدَاخِلِهَا حَقِيبَةً مُتَوَسِّطَةَ الحَجْمِ كَانَتْ مَوْضُوعَةً عَلَى مَكْتَبِه، وَبَادَرَ (رَيَّان):

–سَتُرَافِقُ ذَانِكَ الرَّجُلَانِ إِلَى المَطَار، لَدَيْكَ رِحْلَةٌ مُسْتَعْجَلَةٌ إِلَى (نيُويُورك)، سَنَلْتَقِي هُنَاك، لاَ تَقْلَق!!

–لكِنْ...؟؟

–هُنَاكَ سَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ، رِحْلَةٌ مُمْتِعَةٌ. قَاطَعَهُ الرَّجُلُ بِحَزَمٍ.

وَهُوَ عَلَى عَتَبَةِ البَابِ، نَادَاهُ البرُوفِيسُور مِنْ جَدِيد، وَأَكَّدَ عَلَيْهِ ضَرُورَةَ الِاتِّصَالِ بِأَهْلِهِ وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّهُ سَيَقُومُ بِدَوْرَةٍ تَدْرِيبِيَّةٍ فِي مَرْكَزٍ عِلْمِيٍّ خَاصٍّ، وَلَنْ يَجِدَ الوَقْتَ الكَافِيَ لِلِاتِّصَالِ بِهِم.

كَانَتْ كِذْبَةً سَخِيفَةً لِيُطَمْئِنَ أُسْرَتَهُ، لَكِنْ (رَيَّان) تَوَجَّسَ مِنْ طَلَبِ الرَّجُل، وَفَطِنَ بِذَكَائِهِ إِلَى أَنَّ مُقَامَهُ سَيَطُولُ فِي مَكَانٍ لَا يَعْرِفُه، وَلَا يَعْرِفُ لِحَدِّ السَّاعَةِ المَطْلُوبَ مِنْهُ.

رَافَقَ (رَيَّان) الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا يَنْتَظِرَانِهِ خَارِجَ الغُرْفَة، تَمَنَّى فَقَطْ لَوْ يَرَى عَيْنَيْهِمَا المُتَوَارِيَتَيْنِ خَلْفَ الزُّجَاجِ الأَسْوَدِ المُعْتِمِ لِلنَّظَّارَاتِ الشَّمْسِيَّةِ. سَلَكُوا طَرِيقًا آخَر، مَمَرٌّ طَوِيلٌ تُحِيطُ بِهِ جُدْرَانٌ

بَيْضَاء، وَبَيْنَ الفِينَةِ وَالأُخْرَى تَظْهَرُ أَبْوَابٌ مُوصَدَةٌ. نَفْسُ التَّصْمِيمِ الهَنْدَسِيِّ يُمَيِّزُ المَكَان، وَنَفْسُ الغُمُوضِ وَالغَرَابَةِ يُحِيطَانِ بِهِ.

وَصَلُوا إِلَى نِهَايَةِ المَمَرِّ أَخِيرًا، أَمَامَهُمْ انْتَصَبَ بَابٌ حَدِيدِيٌّ ضَخْمٌ، تَحَرَّكَ أَحَدُ الرِّجَالِ لِيُمْرِّرَ أَصَابِعَهُ عَلَى شَاشَةٍ صَغِيرَةٍ مُثْبَتَةٍ بِجَانِبِ البَاب، كَانَ يُرَكِّبُ رَمْزًا سَرِيًّا، وَكَانَتْ عُيُونُ (رَيَّان) تُتَابِعُ حَرَكَاتِهِ فِي دِقَّة، بِالنِّسْبَةِ لِعَبْقَرِيٍّ مِثْلِه، لَمْ يَكُنِ اكْتِشَافُ الرَّقْمِ السِّرِّيِّ صَعْبًا: "6021977" فَاخْتَزَنَهُ فِي ذَاكِرَتِهِ.

فُتِحَ البَابُ عَلَى مِصْرَاعَيْه، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَا (رَيَّان) مِنَ الدَّهْشَةِ وَالذُّهُول، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ المَدْرَجَ الطَّوِيلَ الَّذِي حَطَّتْ عَلَيْهِ بَعْضُ الطَّائِرَاتِ الخَاصَّة، وَطَائِرَةٌ مِرْوَحِيَّةٌ.

اعْتَقَدَ (رَيَّان) أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ إِلَى مَطَارِ (شَارْل دِيغُول)[1]، وَسَيَسْتَقِلُّ هُنَاكَ طَائِرَةً مَدَنِيَّةً نَحْوَ (نِيُويُورك)، وَلَمْ يَتَصَوَّرْ لِلَحْظَةٍ أَنَّ هَذَا المَكَانَ الغَامِضَ يَضُمُّ مَطَارًا خَاصًّا.

–هَذِهِ قَاعِدَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ سَرِيَّة، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. رَدَّدَ (رَيَّان) فِي نَفْسِه، وَهُوَ يُحَاوِلُ اللِّحَاقَ بِخُطُوَاتِ الرَّجُلَيْنِ السَّرِيعَة، وَأَمَامَ طَائِرَةٍ

[1] مطار شارل ديغول: مطار دولي يقع بالعاصمة الفرنسية (باريس)

خَاصَّـةٍ صَـغِيرَة، وَقَـفَ الـرَّجُلَانِ يَتَبَـادَلَانِ حَـدِيثًا طَـوِيلًا مَـعَ الـرُّبَّانِ الشَّابِّ، قَبْلَ أَنْ يُشِيرَا لِ(رَيَّان) بِالصُّعُود، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ.

مَقصُورةُ الطَّائرةِ فَخمَةٌ، تُشْبِه مقْصُوراتِ دَرَجات رِجَالِ الأعْمالِ فِي الطَّائرات المَدَنيَّة، وَالـتِي تَعَرَّفَ عليْهَـا مِن خِلَال الإنْترْنِت، حِينَ كـان فِي مَرْحَلةٍ مِن عُمْرِه شَغُوفًا بِمعْرِفَة تَفاصِيلَ كَثِيرَةٍ عنِ الطَّائراتِ بِمُخْتَلِفِ أنْواعِهَا. عَشْرَةُ مَقاعِدَ مُرِيحَةٌ، أَمَام كُلِّ مَقعَدٍ وُضِعَتْ مِنضَدةٌ صَـغِيرَةٌ اِصْـطفَّتْ عليْهَـا أَنـوَاعٌ مِـنَ المشْـروبات والْمَـأْكُولات، وِقطَـعُ شُـوكُولاتَةٍ فَـاخِرةٍ. اِكْتفَـى بِشُـرْب قِنّينـةِ مـاءٍ بعْـدمَا شَـعَرَ بِجَفـافٍ فِي حَلْقِهِ.

كثْرَةُ الأحْداث والْمفاجآتِ، ومنْظَرُ الطَّائِرات الحرْبيَّة، والْحرَّاسِ المُسَلَّحُون والمُنْتشِرون فِي الأبْراج العَالِيةِ، ثُمَّ كَلَامُ البرُوفِيسُور، وشكْلُ الرَّجُليْنِ المُرافقيْنِ لَهُ، وَذلِك الطَّابقُ اَلأرْضِيُّ اَلذِي انْتَشَرَ فِيهِ أَشْخَاصٌ بِبـذْلَاتٍ بَيْضـاءَ وقَسَـمَاتٍ جَامِـدةٍ.... كُـلُّ تِلْـكَ اَلْأَشْـيَاءِ خَلْخَلَـتْ تَفْكِيرَهُ، وَسَبَّبَتْ لَهُ اَلتَّوَتُّرَ وَالِانْفِعَالَ، وَشَيْئًا مِنْ اَلْخَوْفِ، خَوْفٌ مِنَ اَلْمَجْهُولِ.

سَرَتْ حَرَكَةٌ فِي اَلطَّائِرَةِ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ، وَقْعُ أَقْدَام يَقْتَرِبُ مِنْهُ، وَأَصْوَاتٌ تَتَعَالَى فِي صَخَبٍ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ أَرْبَعَةُ أَشْخَاصٍ وَيَحْتَلُّوا مَقَاعِدَهُمْ فِي اَلطَّائِرَةِ، ثُمَّ يَكْتَمِلَ اَلْعَدَدُ بِدُخُولِ اَلرَّجُلَيْنِ اَلْمُرَافِقِيْنَ لَهُ سَابِقًا، وَثَلَاثَةُ رِجَالٍ آخَرِينَ يُشْبِهُونَهُمْ كَثِيرًا، مِنْ حَيْثُ طُولِ اَلْقَامَةِ وَتَسْرِيحَةِ اَلشَّعْرِ وَالْبِذْلَةِ السَّوْدَاءِ اَلْأَنِيقَةِ. نَزَعَ اَلْمُرَافِقُونَ سُتُرَاتِهِمْ قَبْلَ اَلْجُلُوسِ عَلَى مَقَاعِدِهِمْ وَاَلَّتِي تَمَّ اِخْتِيَارُهَا بِعِنَايَةٍ، بِحَيْثُ جَلَسَ كُلُّ مَرَافِقٍ قُرْبَ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

وَكَانَ تَخَلُّصُهُمْ مِنْ اَلسُّتُرَاتِ رِسَالَةً وَاضِحَةً لـ(رَيَّان) وَلِلْآخَرِينَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ اَلرِّجَالِ لَا يَمْزَحُونَ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لِاسْتِخْدَامِ مُسَدَّسَاتِهِمْ مِنْ عِيَارِ 9 ملم وَالْمُعَلَّقَةِ فِي أَحْزِمَةٍ خَاصَّةٍ عَلَى جَانِبَيْهِمْ اَلْأَيْمَنَ وَالْأَيْسَرَ.

شُغِّلَتْ مُحَرِّكَاتُ اَلطَّائِرَةِ، وَقَبْلَ اَلْإِقْلَاعِ بِلَحَظَاتٍ قَلِيلَةٍ، تَنَاهَى إِلَى سَمْعِ (رَيَّان)، صَوْتُ رَاكِبٍ وَرَاءَهُ وَهُوَ يُرَدِّدُ بِصَوْتٍ وَاضِحٍ:

- بِسْمِ اَللَّهِ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اَللَّهِ. قَبْلَ أَنْ يَنْهَرَهُ مُرَافِقُهُ وَيَأْمُرُهُ بِالْتِزَامِ اَلصَّمْتِ.

اِنْشَغَلَ عَقْلُ (رَيَّان) بِالرَّاكِبِ وَرَاءَهُ، وَتَمَنَّى لَوِ اِلْتَفَتَ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى هَذَا اَلشَّخْصِ اَلْعَرَبِيِّ وَالْمُسْلِمِ مِثلهُ. عِنْدَمَا تَلْتَقِي بِشَخْصٍ يُشَارِكُكَ اَلدِّينَ وَاللُّغَةَ فِي بِلَادِ اَلْغُرْبَةِ، يَتَمَلَّكُكَ نَوْعٌ مِنْ اَلْحَنِينِ وَالْفَرَحِ فِي نَفْسِ اَلْوَقْتِ، وَتَشْعُرَ بِأَنَّكَ لَسْتَ وَحْدَكَ، مَا دُمْتَ قَدْ وَجَدَتْ اَلسَّنَدَ وَالْمُعِينَ. لَكِنَّ تَعْلِيمَاتِ اَلْمُرَافِقِينَ كَانَتْ وَاضِحَةً وَصَارِمَةً جِدًّا:

" لِيَلْتَزِمْ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَقْعَدِهِ، لَا يُمْكِنُكُمْ اَلْحَدِيثُ مَعَ مُرَافِقِيكُمْ إِلَّا فِي حَالَةِ اَلضَّرُورَةِ اَلْقُصْوَى، لَا تَلْتَفِتُوا وَرَاءَكُمْ... !! "

كَانَ اَلْفُضُولُ بِدَاخِلِ (رَيَّان) أَقْوَى مِنْ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ، لِذَا فَكَّرَ فِي طَرِيقَةٍ يُغَادِرُ بِهَا مَقْعَدَهُ وَلَوْ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا، سَيَسْتَغِلُّ خِلَالَهَا مَهَارَتَهُ فِي اِسْتِرَاقِ اَلنَّظَرِ بِطَرَفِ عَيْنِهِ، وَسَيَتَعَرَّفُ عَلَى اَلشَّخْصِ اَلَّذِي شَغَلَ تَفْكِيرَهُ. فَمَالَ بِجَسَدِهِ قَلِيلًا نَحْوَ مُرَافِقِهِ اَلصَّارِمِ اَلْمَلَامِحِ، وَبَادَرَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

- أَحْتَاجُ إِلَى دُخُولِ اَلْمِرْحَاضِ.

اِلْتَفَتَ اَلرَّجُلُ نَحْوَهُ بِعَصَبِيَّةٍ، ثُمَّ اِلْتَفَتَ نَحْوَ اَلْجَانِبِ اَلْآخَرِ، وَعَادَ لِيَرْمُقَهُ بِنَظَرَاتٍ لَمْ يُحَدِّدْ (رَيَّان) طَبِيعَتَهَا بِسَبَبِ اَلزُّجَاجِ اَلْمُعْتِمِ

لِلنَّظَّارَاتِ اَلسَّوْدَاءِ. كَانَتْ عَصَبِيَّةُ اَلرَّجُلِ تُنْبِئُ عَنْ تَفَاجُئِهِ بِطَلَبِ (رَيَّان)، بَيْنَمَا رَدَّدَ هَذَا اَلْأَخِيرُ فِي نَفْسِهِ:

- هَلْ سَيَطلُبُ مِنِّي قَضَاءَ حَاجَتِي فِي مَقْعَدي؟

قَرَّبَ اَلرَّجُلُ يَدَهُ مِنْ فَمِهِ، وَعَدَّلَ وَضْعَ سَمَّاعَةٍ صَغِيرَةٍ فِي أُذُنِهِ، وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ (رَيَّان) تَبَيُّنَ مَعْنَى كَلَامِهِ، وَاَلَّذِي كَانَ عِبَارَةً عَنْ شِيْفَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَسْتَخْدِمُهَا هَؤُلَاءِ اَلرِّجَالُ لِلتَّوَاصُلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ. بَعْدَ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ، وَقَفَ اَلرَّجُلُ اَلضَّخْمُ اَلْجُثَّةِ، وَأَشَارَ إِلَى (رَيَّان) بِأَنْ يَتْبَعَهُ. خُطَّتُهُ تَسِيرُ عَلَى اَلْوَجْهِ اَلْأَكْمَلِ، لِذَا لَنْ يُضَيِّعَ اَلْفُرْصَةَ، أَحْنَى رَأْسَهُ مُتَظَاهِرًا بِانْقِيَادِهِ لِلتَّعْلِيمَاتِ، وَفَوْرَ تَجَاوُزِهِ لِمَقْعَدِهِ، تَعَثَّرَ عَمْدًا لِيَسْقُط بِحَرَكَةٍ تَمْثِيلِيَّةٍ مُتْقَنَةٍ، فَهَبَّ اَلْمُرَافِقُ اَلْجَالِسُ فِي اَلْمَقْعَدِ وَرَاءَهُ بِحَرَكَةٍ عَفْوِيَّةٍ لِيُسَاعِدَهُ عَلَى اَلْوُقُوفِ، وَفِي اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي وَقَفَ فِيهَا كَانَتْ عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ مُبَاشَرَةً لِلْجَالِسِ وَرَاءَهُ وَاَلَّذِي تَمَلَّكَهُ اَلْفُضُولُ لِمَعْرِفَةِ هُوِيَّتِهِ ... شَعْرٌ أَسْوَدٌ فَاحِمٌ، وَبَشْرَةٌ خَفِيفَةُ اَلسُّمْرَةِ، وَعُيُونٌ سَوْدَاءُ تَحْت حَاجِبَيْنِ سَمِيكَيْنِ... لَمْ يَعُدْ فِي اَلْأَمْرِ شَكٌّ أَوْ رِيبَةٌ، فَالشَّابُّ اَلْجَالِسُ أَمَامَهُ اَلْآنَ كَانَ عَرَبِيًّا. وَكَأَنَّ هَذَا اَلْأَخِيرَ فَهِمَ مَا يَدُورُ فِي عَقْلِه، فَقَدِ اِبْتَسَمَ فِي وِدٍّ، لِيَرُدَّ (رَيَّان)

بِابْتِسَامَةٍ مُمَاثِلَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِيَدِ اَلْمَرَافِقِ وَهِيَ تَجُرُّهُ بِرِفْقٍ نَحْوَ اَلْمِرْحَاضِ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ، اِطْمَأَنَّ اَلْمَرَافِقُ عَلَى حَالَتِهِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ فِي قَلَقٍ:

– هَلْ أَنْتَ بِخَيْرٍ؟ هَلْ أُصِبْتَ بِكَدْمَةٍ أَوْ تَشْعُرُ بِأَلَمٍ مَا؟

– لَا، لَا شَيْء. رَدَّ (رَيَّان) بِثِقَةٍ.

كَانَ تَعَامُلُ اَلْمَرَافِقِ مَعَهُ غَرِيبًا، وَكَذَلِكَ كَانَ تَصَرُّفُ اَلْمُرَافِقِ اَلْآخَرِ بَعْدَ سُقُوطِهِ، وَلَمْ تَغِبْ عَنْ (رَيَّانْ) نَبْرَةُ اَلْقَلَقِ فِي كَلَامِهِ وَاطْمِئْنَانِهِ عَلَى صِحَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ. وَهِيَ كُلُّهَا مُؤَشِّرَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ اَلْمُرَافِقِينَ لَا يُضْمِرُونَ اَلشَّرَّ لَهُمْ، بِقَدْرِ مَا تَقْتَضِي مُهِمَّتُهُمْ حِمَايَةَ (رَيَّان) وَالْآخَرِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَإِيصَالَهُمْ سَالِمِينَ إِلَى وِجْهَتِهِمْ، وَهُنَا عَادَ اَلسُّؤَالُ لِيُؤَرِّقَ عَقْلَ اَلشَّابِّ:

- لَكِنْ، لِمَاذَا أَنَا بِالضَّبْطِ؟ وَمَنْ هَؤُلَاءِ اَلشُّبَّانُ اَلَّذِينَ يَعِيشُونَ نَفْسَ وَضْعِيَّتِي؟

اِسْتَمَرَّتِ اَلرِّحْلَةُ سَبْعَ سَاعَاتٍ كَامِلَةٍ، قَطَعُوا خِلَالَهَا اَلْمُحِيطَ اَلْأَطْلَسِيَّ، كَانَتْ مِيَاهُهُ تَبْدُو مِنْ نَافِذَةٍ (رَيَّان) هَادِئَةٍ، كَبِسَاطٍ أَزْرَقَ تَتَلَأْلَأُ وَسَطَهُ بِلَّوْرَاتٌ بَرَّاقَةٌ، مَنْظَرٌ بَدِيعٌ يُشْعِرُ اَلْإِنْسَانَ بِضَآلَتِهِ أَمَامَ

عَظَمَةِ اَلْخَالِقِ. رَاوَدَتْهُ أَفْكَارٌ سَيِّئَةٌ، وَهُوَ يَتَخَيَّلُ اَلطَّائِرَةَ تَسْقُطُ فِي اَلْبَحْرِ، وَرَأَى نَفْسَهُ يُصَارِعُ اَلْمَوْجَ اَلْهَادِرَ... يَعْرِفُ جَيِّدًا أَهْوَالَ اَلْمُحِيطِ وَقُوَّةَ أَمْوَاجِهِ وَأَسْرَارَ أَعْمَاقِهِ... شَعَرَ بِأَنَّهُ اِسْتَسْلَمَ لِأَفْكَارِهِ اَلسَّوْدَاءِ وَبَدَا عَلَيْهِ بَعْضُ اَلتَّوَتُّرِ وَالِانْفِعَالِ، فَقَرَّرَ اَلْخُلُودَ لِلنَّوْمِ حَتَّى يُرِيحَ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ مَعًا، وَذَلِكَ مَا فَعَلَهُ، حَتَّى اسْتَفَاقَ عَلَى صَوْتِ مُرَافِقِهِ وَهُوَ يَهْمِسُ فِي أُذُنِهِ:

- لَقَدْ وَصَلْنَا.

تَلَبَّدَتْ سَمَاءُ (نِيُويُورْك) بِغُيُومٍ كَثِيفَةٍ، وَغَسَلَتِ اَلْأَمْطَارُ اَلْمُتَهَاطِلَةُ مَدْرَجَ اَلْمَطَارِ، حَيْثُ شَقَّتْ سَيَّارَةُ نَقْلٍ كَبِيرَةٌ طَرِيقَهَا وَهِيَ تَحْمِلُ عَلَى مَتْنِهَا رُكَّابَ اَلطَّائِرَةِ اَلْخَاصَّةِ، وَتَتَوَجَّهُ نَحْوَ قَاعَةٍ جَانِبِيَّةٍ، تُعَدُّ خِصِّيصًا لِكِبَارِ اَلشَّخْصِيَّاتِ. مَا إِنْ اِجْتَازَ (رَيَّان) وَالْمَجْمُوعَة اَلْبَاب اَلزُّجَاجِيّ لِلْقَاعَةِ، حَتَّى تَفَاجَؤُوا بِالْبرُوفِيسُور جَالِسًا عَلَى أَرِيكَةٍ، وَقَد اِنْشَغَلَ بِمُرَاجَعَةِ شَيْءٍ مَا عَلَى لَوْحَةٍ رَقْمِيَّةٍ.

جَلَسَ اَلشُّبَّانُ اَلْخَمْسَةُ، وَغَادَرَ مُرَافِقُوهُمْ إِلَى وِجْهَةٍ مَجْهُولَةٍ، وَسَادَ اَلصَّمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ. تَبَادَلَ اَلشُّبَّانُ نَظَرَاتٍ صَامِتَةً، وَإِنْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ تَغْلِي بِعَشَرَاتِ اَلْأَسْئِلَةِ. كَانَتْ عَيْنَا (رَيَّان) تَدُورَانِ فِي كُلِّ

اَلِاتِّجَاهَاتِ، يُحَاوِلُ كَعَادَتِهِ اِلْتِقَاطَ كُلِّ اَلتَّفَاصِيلِ. بِجِوَارِهِ جَلَسَ شَابٌّ أَبْيَضُ اَلْبَشَرَةِ، أَشْقَر اَلشَّعْرِ، عَلَى وَجْهِهِ بُقَعُ نَمَشٍ قَلِيلَةٍ، صَفَاءُ عُيُونِهِ اَلزَّرْقَاء اَلْمُبَالَغِ فِيهِ، يَجْعَلُ اَلنَّاظِرَ إِلَيْهِ يُشِيحُ بِبَصَرِهِ سَرِيعًا، فَكَأَنَّ بَرِيقًا خَفِيًّا فِيهِمَا يَعْمِي اَلْأَبْصَارَ. رَدَّدَ (رَيَّانْ) فِي نَفْسِهِ:

– رُبَّمَا يَكُونُ أَلْمَانِيًّا أَوْ رُوسِيًّا، أَمِيلُ إِلَى اَلِاحْتِمَالِ اَلثَّانِي، فَقَسَمَاتُهُ مُتَجَمِّدَةٌ كَجَلِيدِ سَيبِيرْيَا[1].

أَمَامَهُ جَلَسَ شَابَّانِ، عَلَى اَلْيَمِينِ، ذَلِكَ اَلشَّابُّ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي سَمِعَ صَوْتَهُ آنِفًا، وَالْتَقَتْ نَظَرَاتُهُمَا فِي اَلطَّائِرَةِ، وَتَبَادَلاَ اِبْتِسَامَةً. يَبْدُو اَلْآنَ شَارِدًا، مُرَكِّزًا نَظَرَاتِهِ عَلَى نُقْطَةٍ مُعَيَّنَةٍ، لَا يَحِيدُ عَنْهَا.

– يَبْدُو أَنَّهُ مُسْتَغْرِقٌ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ. حَدَّثَ (رَيَّان) نَفْسَهُ بَعْدَمَا تَأَمَّلَ اَلشَّابَّ اَلْأَسْمَرَ بِعُمْقٍ. بِجِوَارِهِ جَلَسَ شَابٌّ آخَرُ، مَلَامِحُهُ آسْيَوِيَّةٌ صِرْفَة، بِعَيْنَيْهِ اَلضَّيِّقَتَيْنِ، وَشَعْرِهِ اَلنَّاعِمِ اَلَّذِي اِنْسَدَلَ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَقَامَتِهِ اَلْقَصِيرَةِ، وَكَانَتْ حَرَكَاتُ يَدَيْهِ اَلْمُتَتَالِيَةُ تُنْبِئُ عَنْ

---

[1] سيبيريا: منطقة شاسعة، ذات كثافة سكانية منخفضة، تشتهر بشتائها الطويل والقاسي، حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة في شهر يناير (–25 درجة)، وهي تابعة لروسيا الاتحادية.

عَصَبِيَّتِهِ اَلزَّائِدَةِ. أَمَّا اَلشَّابُّ اَلرَّابِعُ، فَقَدْ جَلَسَ بِمُفْرَدِهِ فِي أَرِيكَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَكَانِ جُلُوسِ اَلْبرُوفِيسُور، وَحَيَّرَتْ مَلَامِحُهُ (رَيَّان) اَلَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ تَخْمِينَ هُوِيَّتِهِ أَوْ مَوْطِنِهِ، فَلَمْ يَكُنْ أَبْيَض اَلْبَشَرَةِ وَلَا أَسْوَدَهَا، دَقِيق اَلْأَنْفِ، وَاسِعُ اَلْعَيْنَيْنِ، ذُو جَبْهَةٍ عَرِيضَةٍ، وَشَعْرٍ خَفِيفٍ، رِيَاضِيُّ اَلْقَوَامِ، وَيَبْدُو هَادِئًا رَغْمَ مَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ غُمُوضٍ وَمَخَاطِر...

اِنْتَبَهَ اَلْبرُوفِيسُور أَخِيرًا لِوُجُودِ أَشْخَاصٍ بِجَانِبِهِ، بَعْدُ أَنْ كَانَ مُنْشَغِلًا بِتَصَفُّحِ لَوْحَتِهِ اَلرَّقْمِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ فِي اَلْغَالِبِ مُنْخَرِطًا فِي مُحَادَثَةٍ مَا شَدِيدَةِ اَلْأَهَمِّيَّةِ. كَانَتْ مَلَامِحُ وَجْهِهِ جَامِدَةً لَا تَشِي بِمَا يَدُورُ فِي عَقْلِهِ، تَعَلَّمَ اَلرَّجُلُ كَيْفَ يَضْبِطُ اِنْفِعَالَاتِهِ وَيَتَحَكَّمُ فِي مَشَاعِرِهِ، بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ قَضَاهَا فِي اَلْعِلْمِ وَالِاكْتِشَافِ وَفِي تَقَلُّدِ مَسْؤُولِيَّاتٍ جَسِيمَةٍ. جَالَ بِبَصَرِهِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ اِبْتِسَامَةٌ شَاحِبَةٌ وَهُوَ يُبَادِرُ اَلْجَمِيع:

– مرْحبًا بِكُمْ مِنْ جَدِيدٍ. سَتَحْتَاجُونَ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ هَذِهِ اَلرِّحْلَةِ اَلطَّوِيلَةِ، لِذَا وَفَّرْنَا لَكُمْ غُرَفًا فِي فُنْدُقِ وَسَطَ اَلْمَدِينَةِ، لَدَيْكُمْ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ لِلرَّاحَةِ قَبْلَ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى مَقَرِّ " اَلنَّاسَا"، إِلَى اَللِّقَاء.

غَادَرَ اَلرَّجُلُ دُونَ أَنْ يُضِيفَ شَيْئًا آخَر، وَدُونُ أَنْ يَشْرَحَ أَكْثَر. وَحِينُ اِسْتَقَلَّ اَلشُّبَّانُ اَلْخَمْسَةُ سَيَّارَةً لِتُقِلّهُمْ إِلَى اَلْفُنْدُقِ، كَانَ (رَيَّانْ) فِي حيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَسُؤَالٌ يَتَرَدَّدُ فِي ذِهْنِهِ:

– مَقَرُّ "اَلنَّاسَا" يُوجَدُ فِي وَاشِنْطُن اَلْعَاصِمَةِ، فَلِمَاذَا نَحْنُ فِي (نِيُويُورْك)؟

كَانَ (رَيَّانْ) وَمُنْذُ طُفُولَتِهِ مَهْوُوسًا بِاكْتِشَافِ اَلْفَضَاءِ، تَجَاوُزَ مَرْحَلَةَ اَلْخَيَالِ اَلْعِلْمِيّ سَرِيعًا، وَاهْتَمَّ بِالْبَحْثِ عَنِ اَلْحَقَائِقِ اَلْعِلْمِيَّةِ، وَأَهَمّ اَلِاكْتِشَافَاتِ فِي مَجَالِ اَلْأَبْحَاثِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَلِهَذَا تَخَصَّصَ فِي عُلُومِ اَلْفَضَاءِ، وَبَعْدَ عَامٍ وَاحِدٍ، سَيَكُونُ بِمَقْدُورِهِ اَلْعَمَل فِي أَهَمّ مَرَاكِزِ اَلْأَبْحَاثِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَمِنْهَا " اَلنَّاسَا "، اَلَّتِي يَعْرِفُ عَنْهَا اَلْكَثِيرَ، فَهِيَ اَلْإِدَارَةُ اَلْوَطَنِيَّةُ لِلْمِلَاحَةِ اَلْجَوِّيَّةِ وَالْفَضَاءِ، مُؤَسَّسَةٌ أَمْرِيكِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ فِي اَلْعَالَمِ كُلِّهِ، وَتَضُمُّ أَهَمَّ اَلْعُلَمَاءِ وَالْخُبَرَاءِ فِي ذَلِكَ اَلْمَجَالِ. وَهَا هُوَ اَلْقَدَرُ يَمْنَحُهُ فُرْصَةَ اَلْوُلُوجِ إِلَى هَذِهِ اَلْمُؤَسَّسَةِ اَلْعَظِيمَةِ. لَكِنْ، مَا سَيَحْصُلُ بَعْدَهَا هُوَ مَا يُؤَرِّقُهُ وَيُوَتِّرُهُ.

لَمْ يَغْمُضْ لَهُ جَفْنٌ رَغْمَ اَلظُّرُوفِ اَلْمُوَاتِيَةِ لِلنَّوْمِ، وَاَلَّتِي وَفَّرَتْهَا اَلْغُرْفَةُ اَلْأَنِيقَةُ دَاخِلَ اَلْفُنْدُقِ. بَقِيَ مُسْتَلْقِيًا عَلَى سَرِيرِهِ يَتَأَمَّلُ سَقْفَ

اَلْغُرْفَةِ، اَلَّذِي تَدَلَّتْ مِنْهُ ثُرَيَّا كِرِيسْتَالِيَّةً، تَلْمَعَ قِطَعُهَا كَنُجُومٍ مُضِيئَة فِي لَيْلَـةٍ غَـابَ عَنْهَـا اَلْبَـدْرُ. عَشَـرَاتُ اَلْأَفْكَـارِ تَتَنَاسَـلُ فِي عَقْلِـهِ، وَسِينَارْيُوهَاتُ اَلْمُسْتَقْبَلِ تَبْدُو سَيِّئَةً وَمُخِيفَةً. تَذَكَّرَ اِتِّصَالَهُ اَلْأَخِيرَ مَعَ أُسْـرَتِه قُبَيْـلَ صُـعُودِهِ اَلطَّـائِرَةَ اَلْخَاصَّـةَ، حَـاوَلَ أَنْ يَتَمَاسَـكَ حَـتَّى لَا تَفْضَـحُهُ نَـبْرَةُ صَـوْتِهِ، وَرَغْـمُ ذَلِـكَ شَـكَّتِ اَلْأُمُّ فِي حَدِيثِـهِ عَـنْ دَوْرَةٍ تَكْوِينِيَّةٍ، وَعَنْ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى اَلِاتِّصَالِ بِهِمْ.

– أَيَّةُ دَوْرَةٍ تَكْوِينِيَّةٍ هَذِهِ اَلَّتِي سَتَمْنَعُكَ مِنَ اَلِاتِّصَالِ بِوَالِدَيْكَ؟ تَسَاءَلَتِ اَلْأُمُّ فِي اِسْتِنْكَارٍ وَاضِحٍ.

حَاوَلَ أَنْ يُبَرِّرَ، وَرَغْمُ ذَلِكَ لَمْ تَقْتَنِعْ. لَكِنَّهُ أَنْهَى اَلِاتِّصَالَ دُونَ أَنْ يَشْـفِيَ غَلِيـلَ أُمِّـهِ. أَخْـبَرَهُ أُسْـتَاذُهُ يَوْمًـا أَنَّ اَلْأُمَّهَـاتِ يَمْلِكْـنَ حَاسَّـةً سَادِسَةً تُمَكِّنهُنَّ مِن اِكْتِشَافِ خَبَايَا اَلنَّفْسِ، وَتَوَقُّعِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُصِيبَ اَلْآخَرِينَ، وَخَاصَّةً أَبْنَاءَهُنَّ. لَكِنَّهُنَّ وَبِالْمُقَابِلِ يُقَدِّمْنَ حَصَانَةً لِفَلَذَاتِ أَكْبَادِهِنَّ بِدَعْوَاتِهِنَّ اَلصَّادِقَة وَاَلَّتِي تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ اَلسَّمَاءِ بِسُرْعَةٍ.

عِنْدَ اِنْصِرَامِ اَلسَّاعَاتِ اَلثَّلَاث، دَقَّ أَحَدُهُمْ بَابَ غُرْفَةِ (رَيَّان)، كَانَ مُرَافِقًا جَدِيدًا مُكَلَّفًا بِنَقْلِهِ إِلَى اَلْمَكَانِ اَلْمُقَرَّرِ. مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ اَلنَّافِـذَةِ، اِنْشَـغَلَ (رَيَّان) بِتَأَمُّـلِ اَلْمَدِينَـةِ اَلْعِمْلَاقَـةِ، وَاَلَّـتِي تُجَسِّـدُ قُـوَّةَ

أَمْرِيكَا وَعَظَمَتَهَا. مَرَّتِ اَلسَّيَّارَةُ مِنْ " مَانْهَاتْنْ"، أَحَد أَرْقَى اَلْأَحْيَاءِ فِي اَلْمَدِينَةِ، وَالْمُتَمَوْقِعِ فِي جَزِيرَةٍ عَلَى نَهْرٍ (هَدْسُونْ)[1]، تَأْمُلَ (رَيَّانْ) بِانْبِهَارٍ، اَلْمَعَالِمَ اَلسِّيَاحِيَّةَ اَلْفَخْمَةَ اَلَّتِي ظَهَرَتْ أَمَامَهُ، وَازْدَادَ اِنْبِهَارُهُ بِرُؤْيَةِ حَدِيقَةِ (سِنْتِرَال بَارْكْ) اَلشَّهِيرَة. عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ اَلْكِيلُومِتْرَيْنِ وَنِصْف مِنْ اَلْحَيّ اَلرَّاقِي، ظَهَرَتْ مَعْلَمَةٌ أُخْرَى لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً وَعَظَمَةً، وَهِيَ تِمْثَالُ اَلْحُرِّيَّةِ اَلشَّهِير[2]. فِي لَحْظَةٍ تَذَكَّرَ (رَيَّان) بِلَادَهُ، وَشَعَرَ بِشَوْقٍ وَحَنِينٍ لِلِقَاءِ وَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ وَرِفَاقِهِ اَلْقُدَامَى، وَالتَّجَوُّلِ فِي مُدُنٍ عَشِقَهَا وَعَاشَ فِيهَا فَتَرَاتٍ مِنْ عُمْرِهِ، فَبِحُكْمِ عَمَلِ أَبِيهِ، كَانُوا يَتَنَقَّلُونَ كَثِيرًا مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى، لِيَخْتَزِنَ (رَيَّان) فِي ذَاكِرَتِهِ صُوَرًا كَثِيرَةً وَرَائِعَةً عَنْ (مُرَاكُشَ) اَلْحَمْرَاءِ، و(اَلدَّار اَلْبَيْضَاء) اَلْجَمِيلَة، و(فَاس) اَلْعَرِيقَة، و(طَنْجَةَ) عَرُوسِ اَلشَّمَالِ. صَحَا مِنْ زَخَمِ اَلذِّكْرَيَاتِ عَلَى صَوْتِ اَلسَّائِقِ اَلْخَالِي مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ:

– لَقَدْ وَصَلْنَا.

---

[1] هدسون: مجرى مائي يبلغ طوله 507 كلم، ويمتد من الشمال إلى الجنوب مرورا بولاية نيويورك.

[2] تمثال الحرية: تمثال موجود بمدينة نيويورك، قدمه الفرنسيون إلى أمريكا سنة 1886

تَرَجَّلَ (رَيَّان) مِنْ اَلسَّيَّارَةِ، كُتْلَةُ هَوَاءٍ بَارِدَةٍ صَفَعَتْ وَجْهَهُ، وَبَعَثَتْ قُشَعْرِيرَةً فِي أَطْرَافِهِ. شَابٌّ قَادِمٌ مِنْ أَرْضٍ تُشْرِقُ فِيهَا اَلشَّمْسُ عَلَى طُولِ اَلْأَيَّامِ، مِنْ اَلصَّعْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ صَقِيعَ (نِيُويُورْك)، كَمَا لَمْ يَتَحَمَّلْ سَابِقًا بُرُودَةَ (بَارِيس)، وَاحْتَاجَ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ لِيَتَعَوَّدَ عَلَى أَجْوَائِهَا وَعَلَى سَمَائِهَا اَلْغَائِمَةِ.

تَكَاد تَفَاصِيلُ اَلْمَكَانِ تُشْبِهُ اَلْمَكَانَ اَلسَّابِقَ فِي (بَارِيس)، قَطَعَ (رَيَّان) وَمُرَافِقُهُ مَمَرًّا طَوِيلًا، اِمْتَدَّتْ عَلَى جَانِبَيْهِ جُدْرَانٌ بَيْضَاء، وَبَيْنَ اَلْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى، يُصَادِفُ أَبْوَابًا خَشَبِيَّةً مُوصَدَةً.

وَصَلَا أَخِيرًا أَمَامَ مِصْعَدٍ حَمَلَهُمَا نَحْوَ اَلطَّابَقِ اَلرَّابِعِ، وَهُنَاكَ سَيدْخُلُ (رَيَّان) إِلَى قَاعَةٍ وَاسِعَةٍ، تَوَسَّطَتْهَا طَاوِلَةٌ دَائِرِيَّةٌ ضَخْمَةٌ، وَاحْتَلَّ بَعْضُ اَلْأَشْخَاصِ أَمَاكِنَهُمْ حَوْلَهَا، بَيْنَمَا أَشَارَ اَلْمُرَافِقُ لـ(رَيَّانْ) بِالْجُلُوسِ فِي مَكَانٍ مُحَدَّدٍ.

اِحْتَلَّ اَلْبرُوفِيسُور مَقْعَدَهُ اَلْمُوَاجِهَ لِلْجَمِيعِ، وَجَلَسَ رَجُلٌ غَرِيبٌ بِقُرْبِهِ، تُمَيِّزُهُ بِذْلَتُهُ اَلْعَسْكَرِيَّةُ وَكَثْرَةُ اَلنَّيَاشِينِ اَلْمُعَلَّقَةِ عَلَى صَدْرِهِ، وَنَظَرَاتُهُ اَلْحَادَّةُ، وَتَسْرِيحَةُ شَعْرِهِ اَلَّتِي جَعَلَتْ (رَيَّان) يُرَدِّدُ فِي نَفْسِهِ:

- يبْدُو كَجِنرالٍ فِي قُوَّاتِ المَارِينْز.[1]

قَطَعَ اَلْبرُوفِيسُور حَبْلَ أَفْكَارِهِ وَهُوَ يَتَنَحْنَحُ قَبْلَ أَنْ يُخَاطِبَ اَلْجَمِيعَ بِنَبْرَةٍ جَادَّةٍ:

– مرْحِبًا بِكُمْ مِنْ جَدِيدٍ، لَنْ نُطِيلَ فِي اَلتَّعَارُفِ فَالْوَقْتُ أَثْمَنُ مَا نَمْلِكُ اَلْآن. أُقَدِّمُ لَكُمْ اَلْجِنِرَالُ (رُوبِرْت) قَائِدُ وَحَدَاتِ اَلرَّدْعِ اَلْفَضَائِيِّ، لَا شَكَّ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ عَنْ هَذِهِ اَلْوَحْدَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ لِسِرِّيَّةِ عَمَلِيَّاتِهَا. أَتْرُكُ اَلْكَلِمَةُ اَلْآن لِلْجِنِرَالِ.

أَشَارَ اَلْجِنِرَالُ لِأَحَدِ مُسَاعِدِيهِ بِحَرَكَةٍ مِنْ رَأْسِهِ، فَأَسْرَعَ اَلضَّابِطُ اَلشَّابُّ لِيُشَغِّلَ حَاسُوبًا وَتَظْهَرَ عَلَى شَاشَةٍ ضَخْمَةٍ صُورَةٌ لِلْفَضَاءِ. بِنَبْرَةٍ قَوِيَّةٍ تَلِيقُ بِقَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ كَبِيرٍ، تَحَدَّثَ اَلْجِنِرَالُ وَعُيُونهُ تَرْمُقُ اَلْحَاضِرِينَ فَكَأَنَّهَا تُحَاوِل سَبْرَ أَغْوَارِ نُفُوسِهِمْ:

– مُنْذُ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ رَصَدَ اَلْعُلَمَاءِ فِي (اَلنَّاسَا) جِسْمًا مَجْهُولًا يَسِيرُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ فِي اَلْفَضَاءِ. حَاوَلُوا تَحْدِيدَ نَوْعِهِ وَمَصْدَرِهِ، لَكِنَّهُمْ وَاجَهُوا صُعُوبَاتٍ تِقْنِيَّةً فِي سَبِيلِ ذَلِكَ. لَكِنْ، وَقَبْلَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، تَفَاجَأَ

---

[1] المارينز: مشاة البحرية الأمريكية، يتميزون بالقدرة على العمل برا وبحرا وجوا، ولديهم مهام قتالية ودفاعية متعددة

خُبَرَاؤُنَا بِدُخُولِ هَذَا اَلْجِسْمِ اَلْغَرِيبِ إِلَى مَجْمُوعَتِنَا اَلشَّمْسِيَّةِ، وَهُنَا أَصْبَحَ اَلْأَمْرُ خَطِيرًا، وَيَسْتَدْعِي اَلتَّدَخُّلَ.

عُرِضَتْ عَلَى اَلشَّاشَةِ صُورَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ لِجِسْمٍ يَتَحَرَّكُ فِي اَلْفَضَاءِ، وَتَعَلَّقَتْ عُيُونُ اَلْجَمِيعِ بِالشَّاشَةِ تُحَاوِلُ تَبَيُّنَ طَبِيعَةَ ذَلِكَ اَلْجِسْمِ، وَيُحَاوِلُونَ فِي اَلْوَقْتِ نَفْسِهِ رَبْطَ اَلْأَحْدَاث لِيَفْهَمُوا سَبَبَ تَوَاجُدِهِمْ فِي هَذَا اَلْمَكَانِ. وَاصَلَ اَلْجِنِرَالُ حَدِيثَهُ:

– مَنَعَنَا اَلْوَهَجُ اَلشَّدِيدُ لِلشَّمْسِ مِنْ اَلتَّعَرُّفِ عَلَى هَذَا اَلْجِسْمِ اَلَّذِي اِقْتَرَبَ مِنْهَا، لَكِنَّنَا اِسْتَطَعْنَا مَعْرِفَتَهُ أَخِيرًا بَعْد لَحْظَةِ شَفَقٍ[1]. كَانَ كُوَيْكِبًا ضَخْمًا مُقَارَنَةً مَعَ اَلْكُوَيْكِبَاتِ اَلْأُخْرَى، وَالْخَطِيرُ فِي اَلْأَمْرِ أَنَّهُ يَقْتَرِبُ مِنْ اَلْأَرْضِ بِسُرْعَةٍ مُتَبَايِنَةٍ، وَبِمَسَارٍ مُتَغَيِّرٍ. لَقَدْ وَصَفَهُ أَحَدُ اَلْخُبَرَاءِ بِالْكُوَيْكِبِ اَلْمَاكِرِ، وَاَلَّذِي يُخَلْخِلُ كُلَّ حِسَابَاتِنَا، وَيَسْتَفِزُّ خِبْرَةَ وَذَكَاءَ عُلَمَائِنَا. لِهَذَا قَرَّرْنَا اَلِاسْتِعَانَةَ بِفَرِيقٍ مِنْ اَلْعَبَاقِرَةِ وَالْمَوْهُوبِينَ فِي هَذَا اَلْمَجَالِ، تَمَّ اِخْتِيَارُكُمْ بِعِنَايَةِ بِنَاءٍ عَلَى تَفَوُّقِكُمْ وَمَلَكَاتِكُم اَلْعَقْلِيَّةَ اَلنَّادِرَةِ، أَنْتُمْ أَيُّهَا اَلسَّادَةُ فِي مُهِمَّةٍ رَسْمِيَّةٍ لِإِنْقَاذِ اَلْأَرْضِ.

---

[6] الشفق هو الضوء الذي يظهر في جهة الغرب بعد غروب الشمس بفعل تبعثر ضوء الشمس في الطبقة العليا من الغلاف الجوي ثم يغيب بعد فترة، ويأتي بعده الغسق.

نَطَقَ عِبَارَاتِهِ اَلْأَخِيرَةَ بِحَمَاس، كَقَائِدٍ يَشْحَنُ جُنُودَهُ بِشُحْنَاتِ اَلْقُوَّةِ وَالطَّاقَةِ لِيَدْفَعَهُمْ نَحْوَ سَاحَةِ اَلْمَعْرَكَةِ. لَكِنَّ اَلْآخَرِينَ كَانُوا شِبْهَ مُخَدَّرِينَ، يُحَاوِلُونَ اِسْتِيعَابَ اَلْأَمْرِ، وَحَدِيثُ اَلْجِنِرَالِ عَنْ إِنْقَاذِ اَلْأَرْضِ يَرِنُّ فِي آذَانِهِمْ وَيُخَلِّفُ فِي نُفُوسِهِمْ بَالِغَ اَلْأَثَرِ. تَحَدَّثَ اَلْبرُوفِيسُور بِدَوْرِهِ:

– سَتَسْتَخْدِمُونَ كُلَّ إِمْكَانِيَّاتِكُمْ بِالْمُوَازَاةِ مَعَ جُهُودِ عُلَمَائِنَا وَخُبَرَائِنَا، لِتَتَوَصَّلُوا لِفَكِّ شِيفْرَةِ هَذَا اَلْكُوَيْكِبِ اَلْغَرِيبِ، وَمَعْرِفَةِ اَلْخَوَارِزْمِيَّات اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِمَسَارِهِ. نَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ شَيْئَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ: –مَتَى سَيَرْتَطِمُ بِالْأَرْضِ؟ وَأَيْنَ بِالضَّبْطِ؟ سَتَبْدَؤُونَ عَمَلَكُمْ فِي الحَالِ، وَسَتَجِدُونَ كُلَّ اَلظُّرُوفِ اَلْمُوَاتِيَةِ لِلْعَمَلِ. حَظٌّ سَعِيدٌ، وَلَا تَنْسَوْا أَنَّ حَيَاتَنَا وَحَيَاتَكُمْ وَحَيَاةَ أَحِبَّتِكُمْ عَلَى اَلْمِحَكِّ.

أَنْهَى الْبرُوفِيسُور كَلَامَهُ ثُمَّ غَادَرَ مَعَ اَلْجِنِرَالِ دُونَ أَنْ يَمْنَحَهُمْ فُرْصَةً لِلِاسْتِفْسَارِ أَو اَلْفَهْمِ. سَادَتْ لَحْظَةٌ مِنْ اَلصَّمْتِ بَعْد مُغَادَرَةِ اَلرِّجَالِ اَلْآخَرِينَ، وَلَمْ يَتَبَقَّ فِي اَلْقَاعَةِ سِوَى اَلشُّبَّانُ اَلْخَمْسَة.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَجْتَمِعُونَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ دُونَ مُرَافَقَةٍ أَوْ حِرَاسَةٍ. كَانَ اَلْأَمْرُ مُتَعَمَّدًا مِنْ طَرَفِ اَلْمَسْؤُولِينَ، فَقَدْ حَدَّدُوا لَهُمْ مُهِمَّتَهُمْ،

وَسَيَمْنَحُونَهُمْ مُهْلَةً لِلتَّعَارُفِ قَبْلَ اَلْبَدْءِ فِي اَلْعَمَلِ. اِنْتَبَهَ (رَيَّانْ) كَمَا اَلْآخَرُونَ لِكَامِيرَاتِ اَلْمُرَاقَبَةِ اَلْكَثِيرَةِ وَالْمُنْتَشِرَةِ فِي اَلْقَاعَةِ، وَانْشَغَلَ بِالتَّفْكِيرِ فِيمَا سَمِعَهُ. لَمْ يَكُنْ حَتَّى فِي أَسْوَأِ كَوَابِيسِهِ يَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ يَوْمًا مَا مَسْؤُولًا عَنْ إِنْقَاذِ اَلْأَرْضِ. بِالْكَادِ فِي عَامِهِ اَلرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ، فَهَلْ يُمْكِنُهُ تَحَمُّلُ مَسْؤُولِيَّةٍ جَسِيمَةٍ كَهَذِهِ؟ شَعَرَ بِأَحَدِهِمْ يَقْتَرِب مِنْهُ، اِقْتَرَبَ كَثِيرًا ثُمَّ انْحَنَى لِيَهْمِسَ فِي أُذُنِهِ:

– عَرَبِيٌّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

حَرَّكَ (رَيَّان) مَقْعَدَهُ قَلِيلًا لِيَبْتَعِدَ عَنْ مُحَدِّثِهِ، وَاَلَّذِي لَمْ يَكُنْ غَيْرَ اَلشَّابِّ اَلْعَرَبِيِّ اَلَّذِي سَمِعَهُ سَابِقًا فِي اَلطَّائِرَةِ وَتَبَادَلَ مَعَهُ اَلِابْتِسَامَ.

– نَعَم. رَدَّ بِلَهْفَةٍ.

– (زِيَاد)، تَشَرَّفَتْ بِمَعْرِفَتِكَ. وَمَدَّ يَدَهُ لِيُصَافِحهُ.

– (ريان)، لِي الشَّرَفُ . أجابَ (ريان) وهُو يَشُدُّ على يَدِ مُحَدِّثِهِ بِحَرارَةٍ.

– أَنَا مِنْ (اَلْإِمَارَات)، وَأُتَابِعُ دِرَاسَتِي فِي (لَنْدَن).

– أَنَا مِنْ (اَلْمَغْرِب)، أُتَابِعُ دِرَاسَتِي فِي (بَارِيس).

اِبْتَسَمَ (زِيَادْ) وَهُوَ يُبَادِرُ صَدِيقَهُ اَلْجَدِيدَ بِمَرَحٍ:

– سَنُنْقِذُ اَلْعَالَمَ يَا صَدِيقِي، أَيُّ شَرَفٍ عَظِيمٍ هَذَا؟

حَاوَلَ (رَيَّان) أَنْ يَبْتَسِمَ بِدَوْرِهِ لَكِنَّ زَخَمَ اَلْأَفْكَارِ فِي عَقْلِهِ مَنَعَهُ، فَسَأَلَ (زِيَاد):

– هَلْ صَدَّقَتْ مَا سَمِعْتَهُ؟

– كُوَيْكِبٌ ضَخْمٌ يُهَدِّدُ اَلْأَرْضَ. لَيْسَ اَلْأَمْرُ بِجَدِيدٍ، رَغْمَ أَنَّ تِلْكَ اَلْكُوَيْكِبَاتِ نَادِرَةٌ، إِلَّا أَنَّهَا تُسَمَّى بِقَاتِلَةِ اَلْكَوَاكِبِ، وَيُمْكِنَهَا أَنْ تَظْهَرَ بَيْنَ اَلْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى.

– أَتَحَدَّثُ عَنْ تَغْيِيرِهِ لِمَسَارِهِ وَتَبَايُنِ سُرْعَتِهِ. يَبْدُو اَلْأَمْرُ غَرِيبًا، فَلَا يُمْكِنُ لِكُتْلَةٍ مِنَ اَلصُّخُورِ أَنْ تَمْلِكَ عَقْلًا إِلِكْتِرُونِيًّا يَتَحَكَّمُ فِي سُرْعَتِهَا أَوْ مَسَارِهَا.

– أَتَّفِقُ مَعَكَ، لَكِنْ رُبَّمَا دُخُولُهُ إِلَى مَجْمُوعَتِنَا اَلشَّمْسِيَّةِ غَيَّرَ بَعْضًا مِنْ خَصَائِصِهِ، رُبَّمَا تَأْثِيرَاتُ اَلْجَاذِبِيَّةِ، أَوْ تَغَيُّرٌ مَا فِي كُتْلَتِهِ، أَوْ شَيْءٌ جَدِيدٌ لَا نَعْرِفُهُ. تَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّنَا لَا نَمْلِكُ مِنَ اَلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا، وَخَاصَّةً فِي أُمُورِ اَلْكَوْنِ اَلَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اَللَّهُ عَزَّ وَجَلّ.

– رُبَّمَا... كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٍ. كَيْفَ عَرَفْتَ بِأَنَّنِي عَرَبِيٌّ؟

غَيْر (رَيَّان) دَفَّةَ اَلْحَدِيثِ فَجْأَةً، فَابْتَسَمَ (زِيَاد) مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ يُرَدِّدُ:

– لَيْسَ اَلْأَمْرُ صَعْبًا، اَلشَّعْرُ اَلْأَسْوَدُ، وَالْعُيُونُ اَلْبُنِّيَةُ، وَالْبَشْرَةُ اَلْمُشْبَعَةُ بِأَشِعَّةِ اَلشَّمْسِ اَلدَّافِئَةِ. تَكَادُ مَلَامِحُ اَلْعَرَبِ تَتَشَابَهُ يَا صَدِيقِي، رَغْمَ اِخْتِلَافِ اَلْجُغْرَافْيَا. تَشَعَّبَ اَلْحَدِيثُ بَيْنَ اَلشَّابَّيْنِ إِلَى مَوَاضِيعَ كَثِيرَةٍ، وَتَعَرَّفَ (رَيَّان) عَلَى جَوَانِبَ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيَاةِ (زِيَاد)، فَقَدْ وُلِدَ فِي (دُبَيْ) لِأُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ، وَبَعْدَ إِنْهَائِهِ اَلْمَرْحَلَةَ اَلِابْتِدَائِيَّةَ، قَرَّرَ أَبُوهُ أَنْ يُرْسِلَهُ إِلَى (لُنْدُن) لِإِكْمَالِ دِرَاسَتِهِ بَعْدَمَا اكْتَشَفَ تَمَيُّزَهُ وَذَكَاءَهُ اَلْحَادَّ، وَمَهَارَتَهُ اَلْعَالِيَةَ فِي اَلتَّعَامُلِ مَعَ اَلْحَاسُوبِ، حَيْثُ تَخَصَّصَ (زِيَاد)، وَمُنْذُ سِنّ مُبَكِّرَةٍ، فِي بَرْمَجِيَّاتِ اَلْكُومبِيُوتر، وَأَبَانَ عَنْ كَفَاءَةٍ عَالِيَةٍ فِي ذَلِكَ اَلْمَجَالِ، وَمَعَ مُرُورِ اَلسَّنَوَاتِ تَعَمَّقَ اَلشَّابُّ فِي مَجَالَاتٍ أَكْثَرَ تَعْقِيدًا، لِيَصِلَ إِلَى اَلتَّخَصُّصِ فِي هَنْدَسَةِ اَلْمَرْكَبَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَيَلْقَى تَشْجِيعًا مِنْ أَهَمِّ اَلْمَسْؤُولِينَ فِي دَوْلَتِهِ، وَاَلَّذِينَ يَقُودُونَ مَشْرُوعًا رَائِدًا فِي مَجَالِ اَلِاكْتِشَافَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَلَمْ يَنْسَ (زِيَاد) أَنْ يُخْبِرَ صَدِيقَهُ اَلْجَدِيد بِحَذَرٍ بِأَنَّ اَلْعَمَلَ عَلَى تَصْنِيعِ أَوَّلِ مَرْكَبَةٍ فَضَائِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ سَيَبْدَأُ مِنْ بَلَدِهِ (اَلْإِمَارَات) .

تَحَدَّثَ (رَيَّان) بِدَوْرِهِ عَنْ طُفُولَتِهِ وَدِرَاسَتِهِ وَاهْتِمَامَاتِهِ وَأَحْلَامِهِ وَهَوَسِهِ بِمَجَالِ اَلْأَبْحَاثِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَتَسَاءَلَ فِي نِهَايَةِ اَلْحَدِيثِ:

– خَبِيرٌ فِي اَلْبَرْمَجِيَّاتِ وَمُهَنْدِسٌ فِي صِنَاعَةِ اَلْمَرْكَبَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَعَالِمٌ شَابٌّ فِي مَجَالِ اَلْأَبْحَاثِ اَلْفَضَائِيَّةِ وَعُلُومِ اَلْفَضَاءِ. هَلْ تُفَكِّرُ فِيمَا أُفَكِّرُ فِيهِ؟

عَقَدَ (زِيَاد) حَاجِبَيْهِ وَبَدَا مُسْتَغْرِقًا فِي اَلتَّفْكِيرِ، قَبْلَ أَنْ يُجِيبَهُ (رَيَّان) بِانْفِعَالٍ وَاضِحٍ:

– سَيَتِمُّ اَلْعَمَلُ عَلَى تَصْنِيعِ مَرْكَبَةٍ فَضَائِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، وَسَيَتِمُّ نَقْلُنَا إِلَى اَلْفَضَاءِ اَلْخَارِجِيِّ مِنْ أَجْلِ اَلتَّصَدِّي لِذَلِكَ اَلْكُوَيْكِبِ.

ضَحِكَ (زِيَاد) بِصَوْتٍ عَالٍ وَهُوَ يُجِيبُ: –خَيَالُكَ وَاسِعٌ جِدًّا يَا (رَيَّان)، لَسْنَا رُوَّادَ فَضَاءٍ يَا صَدِيقِي، وَلَمْ يَسْبِقْ لِلْمَرْكَبَاتِ اَلْمُعِدَّةِ لِلتَّصَدِّي لِأَجْسَامٍ مَجْهُولَةٍ أَنْ كَانَتْ مَأْهُولَةً.

اِبْتَسَمَ (رَيَّان) وَرَدَّ بِصَوْتٍ هَادِئٍ هَذِهِ اَلْمَرَّةَ:

– أَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّدًا، لَكِنَّنِي مُشَتَّتُ اَلْأَفْكَارِ قَلِيلًا.

اِقْتَرَحَ عَلَيْهِ (زِيَاد) أَنْ يُبَادِرَا بِالتَّعَرُّفِ عَلَى اَلْآخَرِينَ، تَحَفَّظَ (رَيَّان) قَلِيلًا، وَأَبْدَى قَلَقَهُ مِنْ عَدَمِ اِسْتِجَابَتِهِمْ وَمِنْ رَدَّةِ فِعْلِهِمْ اَلْغَيْرِ

مُتَوَقَّعَةٍ ، لَكِنَّ رُوحَ (زِيَاد) اَلْمَرِحَةَ مَارَسَتْ سِحْرَهَا عَلَى اَلشُّبَّانِ اَلثَّلَاثَةِ، وَأَبْدَوْا اِسْتِعْدَادًا كَبِيرًا لِلتَّعَارُفِ، فَفِي نِهَايَةِ اَلْأَمْرِ جَمِيعُهُمْ سَيُشَكِّلُونَ فَرِيقًا وَاحِدًا، وَالشَّرْطُ اَلْوَحِيدُ لِنَجَاحِ أَيِّ فَرِيقٍ فِي مُهِمَّتِهِ هُوَ تَوَفُّرُ عُنْصُرَيْ اَلِانْسِجَامِ وَالتَّفَاهُمِ بَيْنَ أَعْضَائِهِ.

تَعَرَّفَ (رَيَّان) إِذَنْ عَلَى (فْلَادِيمِيرْ)، وَاكْتَشَفَ أَنَّ تَخْمِينَهُ اَلسَّابِقَ كَانَ صَائِبًا، فَقَدْ كَانَ اَلشَّابُّ رُوسِيًّا، وَكَانَ يُتَابِعُ دِرَاسَاتِهِ اَلْعُلْيَا فِي مَعْهَدٍ مَرْمُوقٍ لِعُلُومِ اَلْفَضَاءِ، كَمَا كَانَ يُتَابِعُ دَوْرَاتٍ تَكْوِينِيَّةً مُعَمَّقَةً فِي مَرْكَزٍ مُتَخَصِّصٍ فِي تَكْوِينِ رُوَّادِ اَلْفَضَاءِ، بَعْدَمَا أَثَّرَ عَلَيْهِ عَمُّهُ، رَائِدُ اَلْفَضَاءِ اَلسَّابِقِ، وَاَلَّذِي سَبَقَ لَهُ وَأَنْ حَطَّ بِمَرْكَبَتِهِ اَلْفَضَائِيَّةِ يَوْمًا ما عَلَى سَطْحِ كَوْكَبِ اَلْمِرِّيخِ. كَانَ حُلْمُ (فْلَادِيمِيرْ) أَنْ يَقُومَ بِرِحَلَاتٍ عَدِيدَةٍ إِلَى اَلْفَضَاءِ اَلْخَارِجِيّ، وَيَكْتَشِفَ ظُرُوفَ اَلْحَيَاةِ عَلَى اَلْكَوَاكِبِ اَلَّتِي تُكَوِّنُ مَجَرَّتَنَا، بَلْ وَمَجَرَّاتٍ أُخْرَى. لَكِنَّهُ كَانَ قَلِيلَ اَلْكَلَامِ، جِدِّيًّا أَكْثَرَ مِنْ اَللُّزُومِ، وَيَخْلُو وَجْهُهُ مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ، كَمَا هُمْ اَلرُّوسُ عَادَةً.

تَعَرَّفَ (رَيَّان) أَيْضًا عَلَى (سُونْغْ)، اَلشَّابُّ اَلصِّينِيُّ اَلَّذِي اِحْتَارَ سَابِقًا فِي تَحْدِيدِ مَوْطِنِهِ اَلْأَصْلِيّ، كَانَ مَهْوُوسًا بِالْأَلْعَابِ اَلْإِلِكْتِرُونِيَّةِ، تَمَامًا كَهَوَسِهِ بِاخْتِرَاعِ اَلرُّقَاقَاتِ اَلْإِلِكْتِرُونِيَّةِ وَالرُّوبُوتَاتِ وَغَيْرِهَا. كَانَ

اَلشَّـابُّ عَبْقَـرِيًّا بِحَـقٍّ، مَلَكَاتُـهُ اَلْعَقْلِيَّـةُ وَقُدْرَتُـهُ عَلَـى اِسْـتِعْمَالِ يَدَيْـهِ بِمَهَـارَةٍ، جَعَلَـتْ مِنْـهُ وَاحِـدًا مِـنْ أَكْثَـرِ اَلْمُخْتَرِعِـينَ اَلشَّـبَاب مَوْهِبَـةً فِي اَلْعَالَمِ. تَحَدَّثَ (سُونْغْ) عَنْ أُصُولِهِ اَلْقَرَوِيَّةِ فِي إِحْدَى مُقَاطَعَاتِ اَلصِّينِ، وَعَنْ بُـرُوزِ مَوْهِبَتِهِ مُنْذُ سَنَوَاتِ عُمْـرِهِ اَلْأُولَى، وَكَيْفَ تَكَفَّلَتْ اَلدَّوْلَةُ بِتَدْرِيسِهِ وَإِرْسَالِهِ لَاحِقًا إِلَى دُوَلٍ أُورُوبِيَّةٍ عَدِيدَةٍ، وَكَانَ مِنْ اَلْمُقَرَّرِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى (أَمْرِيكَا) قَبْلَ أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ فِيهَا قَبْلَ اَلْمَوْعِدِ اَلْمُحَدَّدِ.

وَأَخِيرًا تَعَرَّفَ (رَيَّانْ) عَلَى (كِيفِن)، اَلشَّـابُّ اَلْأَمْرِيكِيُّ. وَاَلَّـذِي تَكَتَّم عَلَى أُصُولِهِ اَلْحَقِيقِيَّةِ، وَخَمَّنَ (زِيَاد) أَنَّهُ يَنْحَدِرُ مِنْ عِرْقٍ لَاتِينِيٍّ بِسَبَبِ بَعْضِ صِفَاتِهِ اَلْجَسَدِيَّةِ، بَيْنَمَا أَكَّدَ (سُونْغ) أَنَّ أُصُولَهُ أَسْيَوِيَّةً، بِنَاءً عَلَى سَوَادِ شَعْرِهِ اَلْفَاحِمِ، وَلَمْ يُعَلِّقْ (فلَادِيمِيرْ).

أَكْمَلَ (كِيفِن) دِرَاسَاتِهِ اَلْعُلْيَا فِي مَعْهَدِ كَالِيفُورْنِيَا لِلتِّكْنُولُوجْيَا، وَالْتَحَقَ لِتَوِّهِ بِالْمُخْتَبَرِ اَلتَّابِعِ لِلنَّاسَا وَالْمُتَوَاجِدِ بِهَذَا اَلْمَعْهَدِ اَلْمَرْمُوقِ لِيُشْـرِفَ رُفْقَةَ فَرِيـقٍ مِـنَ اَلْعُلَمَـاءِ عَلَـى تَصْـنِيعِ مَرْكَبَـاتٍ فَضَـائِيَّةٍ جَـدِّ مُتَطَوِّرَةٍ لِاكْتِشَافِ اَلْفَضَاءِ، كَانَ أَصْغَرَ أَعْضَاءِ اَلْفَرِيقِ، وَكَانَ فِي اَلْوَقْتِ نَفْسِهِ يُكْمِلُ دِرَاسَاتِهِ فِي اَلْفِيزْيَاءِ اَلنَّوَوِيَّةِ، وَلَمْ يَتَوَانَ فِي إِخْبَارِ اَلْآخَرِينَ

عَنْ حُلْمِهِ فِي اَلْعَمَلِ عَلَى تَطْوِيرِ اَلتِّرْسَانَةِ اَلنَّوَوِيَّةِ لِبِلَادِهِ. لِتُحَافِظ عَلَى سَيْطَرَتِهَا عَلَى اَلْعَالَمِ وعلى تَفَوُّقِهَا.

مَرَّتْ قُرَابَةُ اَلسَّاعَةِ عَلَى جُلُوسِهِمْ فِي اَلْقَاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ أَحَدُ اَلْحُرَّاسِ اَلْبَابَ وَيَدْعُوهُمْ لِلِالْتِحَاقِ بِمَرْكَزِ اَلْعَمَلِيَّاتِ، وَهِيَ قَاعَةٌ فِي طَابَقٍ تَحْت أَرْضِيٍّ، دَائِرِيَّةُ اَلشَّكْلِ، غَصَّتْ بِحَوَاسِيبَ وَأَجْهِزَةِ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ عَدِيدَةٍ، وَانْتَشَرَتْ شَاشَاتٌ عِمْلَاقَةٌ فِي جَنَبَاتِهَا. وَكَانَتِ اَلْمُفَاجَأَةُ تَوَاجُدَ جِهَازٍ ضَخْمٍ، لَمْ يَتَبَيَّنْ (رَيَّان) طَبِيعَتَهُ فِي اَلْبِدَايَةِ، قَبْلَ أَنْ يَهْمِسَ (سُونْغ) فِي أُذُنِهِ بِحَماسٍ:

- وَاوْ... تِلِسْكُوبْ (جَامَا)[1]، أَحْدَثَ نُسْخَةٍ مِنْ اَلتِّلِسْكُوبَاتِ اَلْعِمْلَاقَةِ وَأَكْثَرُهَا تَطَوُّرًا. كُلُّ مَا كَانَ يَجْرِي فِي اَلْفَضَاءِ اَلْخَارِجِيِّ كَانَ يَظْهَرُ عَلَى اَلشَّاشَاتِ اَلْعِمْلَاقَةِ اَلْمُنْتَشِرَةِ فِي اَلْقَاعَةِ. لِذَا بَدَأَ اَلْفَرِيقُ اَلْعَمَلَ فِي اَلْحِينِ، فَانْهَمَكُوا فِي تَحْلِيلِ اَلْبَيَانَاتِ وَالْمُعْطَيَاتِ اَلْمُتَوَفِّرَةِ، وَتَبَادَلُوا نَظَرَاتٍ قَلَقَةً بَعْدَمَا اكْتَشَفُوا أَنَّ حَجْمَ اَلْكُوَيْكِبِ كَبِيرٌ جِدًّا بِحَيْثُ يُشَكِّلُ خَطَرًا كَبِيرًا عَلَى اَلْأَرْضِ فِي حَالَةِ اِصْطِدَامِهِ بِهَا،

---

[1] تلسكوب "جاما": الاسم من خيال الكاتب فقط. حاليا يعتبر تلسكوب " جيمس ويب" أكبر وأقوى تلسكوب في العالم.

فَكُوَيْكِبٌ بِذَلِكَ اَلْحَجْمِ كَفِيلٌ بِالْقَضَاءِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ 50% مِنَ اَلْكَائِنَاتِ اَلْحَيَّةِ اَلَّتِي تَعِيشُ عَلَى اَلْأَرْضِ، مَعَ نِسْبَةِ تَدْمِيرٍ هَائِلَةٍ لِكُلِّ مَا بَنَاهُ اَلْإِنْسَانُ وَشَيَّدَهُ .

كَانَ اَلْوَقْتُ عَدُوَّهُمْ اَلثَّانِي فِي ظِلِّ شُحِّ اَلْمَعْلُومَاتِ اَلْكَافِيَةِ، لِذَلِكَ اِسْتَمَرُّوا فِي اَلْعَمَلِ إِلَى سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ اَللَّيْلِ. أَبْدَى (سُونْغ) اِسْتِغْرَابَهُ مِنْ عَدَمِ تَوَفُّرِ صُوَرٍ وَاضِحَةٍ لِهَذَا اَلْكُوَيْكِبِ رَغْمَ تَوَفُّرِ اَلْوِكَالَةِ عَلَى تِلِسْكُوبٍ مُتَطَوِّرٍ بِذَلِكَ اَلْحَجْمِ، وَبَرَّرَ (كِيفِن) ذَلِكَ بِعَمَلِيَّةِ اَلتَّمْوِيهِ اَلَّتِي يَقُومُ بِهَا اَلْكُوَيْكِبُ وَهُوَ اَلتَّبْرِيرُ اَلَّذِي لَمْ يُوَافِقْ عَلَيْهِ (ريان)، مُعَلِّلًا مَوْقِفَهُ بِكَوْنِ اَلْكُوَيْكِبَاتِ عِبَارَةٌ عَنْ كُتَلٍ صَخْرِيَّةٍ تَدُورُ حَوْلَ اَلشَّمْسِ مِثْلُهَا مِثْلَ اَلْكَوَاكِبِ، وَمِنْ بَيْنِ اَلسِّتُّمِائَةِ أَلْفِ كُوَيْكِبٍ اَلَّتِي تَتَوَاجَدُ فِي مَجْمُوعَتِنَا اَلشَّمْسِيَّةِ، لَمْ يَسْبِقْ أَنْ تَمَّ رَصْدُ كُوَيْكِبٍ يَقُومُ بِتَحْرِيفٍ دَوْرِيٍّ لِمَسَارِهِ وَتَبَايُنٍ فِي سُرْعَتِهِ كَمَا هُوَ اَلْحَالُ مَعَ هَذَا اَلْكُوَيْكِبِ. كَمَا لَمْ يَسْبِقْ لِكُوَيْكِبٍ أَنِ اصْطَدَمَ بِالْأَرْضِ. وَهُنَا تَدَخُّلُ (سُونْغ) لِيُذَكِّرِهُمْ بِتِلْكَ اَلنَّظَرِيَّةِ اَلَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ اِصْطِدَامِ كُوَيْكِبٍ قَبْلَ مَلَايِينِ اَلسِّنِينَ بِكَوْكَبِ اَلْأَرْضِ مِمَّا أَدَّى لِانْقِرَاضِ اَلدِّينَاصُورَاتِ. اِحْتَدَّ اَلنِّقَاشُ بَيْنَ أَفْرَادِ اَلْمَجْمُوعَةِ، وَانْهَمَكَ (رَيَّان) فِي إِنْجَازِ مُعَادَلَاتٍ

رِيَاضِيَّةٍ لِفَكِّ لُغْزِ اَلسُّرْعَةِ اَلْمُتَبَايِنَةِ لِلْكُوَيْكِبِ وَسَبَبِ تَحْرِيفِهِ اَلْمُسْتَمِرِّ لِمَسَارِهِ، كَمَا الْتَزَمَ (فلَادِيمِير) بِالصَّمْتِ، وَبَدَا مُنْهَمِكًا بِدَوْرِهِ فِي تَتَبُّعِ بَيَانَاتٍ عَلَى حَاسُوبِهِ. نَالَ اَلتَّعَبُ مِنْهُمْ بَعْد سَاعَاتٍ مِنْ اَلْعَمَلِ اَلذِّهْنِيِّ اَلْمُتَوَاصِلِ، وَتَثَاءَبَ (سُونْغ) بِقُوَّةٍ قَبْلَ أَنْ يُخَاطِبَ اَلْجَمِيعُ:

–لَا أَسْتَطِيعُ اَلتَّرْكِيز، أَحْتَاجُ إِلَى فَتْرَةِ رَاحَةٍ.

حَمَلَ سُتْرَتَهُ وَاتَّجَهَ نَحْوَ اَلْبَابِ لِيُغَادِرَ اَلْقَاعَةَ، لَكِنَّهُ فُوجِئَ بِالْبَابِ مُوصَدًا، حَاوَلَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً دُونَ جَدْوَى، فَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ إِمَارَاتُ اَلْقَلَقِ وَصَاحَ بِغَضَبٍ:

– هَلْ أَصْبَحْنَا سُجَنَاءَ فِي هَذَا اَلْمَكَانِ؟

اِنْتَقَلَتِ اَلْعَدْوَى إِلَى اَلْآخَرِينَ، وَانْتَابَهُمْ إِحْسَاسٌ سَيِّئٌ بِأَنَّهُمْ مَسْجُونُونَ وَحُرِّيَّتُهُمْ مُقَيَّدَةٌ، فَأَطْلَقَ (زِيَاد) صَرْخَةً غَاضِبَةً، وَكَذَلِكَ فَعَلَ (رَيَّان)، بَيْنَمَا جَالَ (كِيفِن) بِبَصَرِهِ فِي أَرْجَاءِ اَلْقَاعَةِ كَأَنَّمَا يَبْحَثُ عَنْ مَنْفَذٍ مَا، وَظَلَّتْ قَسَمَاتُ (فلَادِيمِير) جَامِدَةً وَإِنْ ضَاقَتْ عَيْنَاهُ قَلِيلًا دَلَالَةً عَلَى اِسْتِغْرَاقِهِ فِي اَلتَّفْكِيرِ. بَعْدَ دَقَائِقَ مِنْ حَالَةِ اَلتَّوَتُّرِ وَالِانْفِعَالِ اَلَّتِي عَاشُوهَا، اِنْبَعَثَ صَوْتٌ آلِيٌّ يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ وَقْتَ اَلرَّاحَةِ لَمْ

يَحِنْ بَعْدُ، وَأَنَّ اَلْبَابَ سَيُفْتَحُ تِلْقَائِيًّا عِنْدَ اَلْوَقْتِ اَلْمُحَدَّدِ. فَهَدَأَتْ ثَائِرَتُهُمْ قَلِيلًا وَإِنَّ ظَلَّ اَلشُّعُورُ بِتَقْيِيدِ حُرِّيَّتِهِمْ مُلَازِمًا لَهُمْ.

تَحَدَّثَ (فلَادِيمِيرْ) أَخِيرًا، بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ وَدُونَ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ عَنِ اَلْحَاسُوبِ:

– تَتَوَقَّرُ هَذِهِ اَلْوِكَالَةُ عَلَى تِلسْكُوبَاتٍ يُمْكِنُهَا رَصْدُ اَلْكُوَيْكِبَاتِ قَبْلَ اِقْتِرَابِهَا مِنَ اَلْأَرْضِ بِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ. فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَتِمَّ اِكْتِشَافُ هَذَا اَلْكُوَيْكِبِ قَبْل أَسَابِيعَ فَلَيْلَة فَقَط؟ هَلِ اِنْبَعَثَ مِنْ اَلْعَدَمِ؟ أَمْ هَلْ تَكَوَّنَ فَجْأَةً فِي اَلْفَضَاءِ؟

أَضَافَ (رَيَّان) بِاهْتِمَامٍ: –وَمَاذَا عَنْ قُوَّةِ اَلْجَاذِبِيَّةِ وَاَلَّتِي تُخَفِّفُ مِنْ سُرْعَةِ اَلْأَجْسَامِ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اَلْكُوَيْكِبِ مُضَادًّا لِلْجَاذِبِيَّةِ أَيْضًا؟

حَرَّكَ (زِياد) رَأْسَهُ مُوافِقًا علَى كَلامِ رَفِيقَيْهِ، وتَساءَلَ بِصَوْتٍ عَالٍ:

- هَلْ تَتَّفِقُونَ مَعِي بِأَنَّ الأُمُورَ لَيْسَتْ كَمَا تَبْدُو عَلَيْهِ؟؟

رَدَّ (سُونْغ) بِمَرَحٍ:

- لَوْ كَانَ (كُوبْرْفِيلْدْ[1]) حَيًّا، لَاعْتَبَرْتُ الأَمْرَ مُجَرَّدَ خُدْعَةٍ مِنْ خُدَعِهِ .

– تَسْوِيقُ اَلْوَهْمِ. لَكِنْ لِمَاذَا؟ وَمَاذَا سَتَسْتَفِيدُ اَلْوِكَالَةُ مِنْ ذَلِكَ؟ لَا أَتَّفِقُ مَعَكُمْ، وَأَنْصَحُكُمْ بِتَوْفِيرِ طَاقَتِكُمْ وَأَفْكَارِكُمْ لِتَنْفِيذِ اَلْمُهِمَّةِ يَا رِفَاق. تَحَدَّثَ (كِيفِنْ) بِنَبْرَةٍ حَادَّةٍ.

اِنْبَعَثَ صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ صَفَّارَاتِ اَلْإِنْذَارِ، فُتِحَتْ عَلَى إِثْرِهِ اَلْأَبْوَابُ اَلْمُوصَدَةُ إِلِكْتِرُونِيًّا، وَسَمِعَ اَلشُّبَّانُ اَلْخَمْسَةُ صَوْتًا آلِيًّا يُخْبِرُهُمْ بِحُلُولِ مَوْعِدِ رَاحَتِهِمْ، وَلَهُمْ مَوْعِدٌ فِي اَلْغَدِ لِإِكْمَالِ اَلْعَمَلِ. اِلْتَحَقَ كُلٌّ وَاحِد بِغُرْفَتِهِ اَلْخَاصَّةِ، أُعْجِبَ (رَيَّان) بِغُرْفَتِهِ اَلْجَدِيدَةِ، فَقَدْ تَوَفَّرَتْ فِيهَا وَسَائِلُ اَلرَّاحَةِ، وَتَمَيَّزَتْ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ اَلنَّظَافَةِ وَالتَّنْسِيقِ. كَانَ وَاضِحًا ل (رَيَّان) اِهْتِمَامَ اَلْمَسْؤُولِينَ بِخَلْقِ جَوٍّ مُلَائِمٍ لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالتَّفْكِيرِ لِهَؤُلَاءِ اَلشُّبَّانِ اَلْمَوْهُوبِينَ.

وَاَلَّذِينَ يُعَوَّلُ عَلَيْهِمْ فِي حَلِّ لُغْزِ ذَلِكَ اَلْكُوَيْكِبِ اَلْمُدَمِّرِ. اِسْتَلْقَى (رَيَّانْ) عَلَى اَلسَّرِيرِ اَلْوَثِيرِ، وَشَعَرَ بِثِقْلِ اَلنُّعَاسِ عَلَى عَيْنَيْهِ،

---

[1] كوبرفيلد: ساحر أمريكي وخبير في فن الوهم، من أشهر عروضه إخفاء تمثال الحرية.

وَقَبْلٌ أَنْ يُغْمِضَهُمَا، أَخْرَجَ وَرَقَةً مِنْ جَيْبِهِ دَوَّنَ عَلَيْهَا مُعَادَلَاتِهِ اَلْأَخِيرَةَ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً أَخِيرَةً، قَبْلَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ لِلنَّوْمِ بَعْدَ اَلْيَوْمِ اَلْحَافِلِ اَلَّذِي عَاشَهُ.

اِسْتَفَاقَ فَزِعًا عَلَى صَوْتٍ صَاخِبٍ لِمُنَبِّهٍ، لَمْ يَتَذَكَّرْ أَنَّهُ ضَبَطَ مُنَبِّهًا مَا لِيُوقِظَهُ، لَكِنَّهُ اِكْتَشَفَ أَنَّ اَلْأَمْرَ خَارِجٌ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَأُولَئِكَ اَلْمَسْؤُولُونَ يَتَحَكَّمُونَ فِي حَيَاتِهِمْ وَنَوْمِهِمْ وَأَوْقَاتِ عَمَلِهِمْ وَسَاعَةِ اِسْتِيقَاظِهِمْ.

اِلْتَحَقَ اَلشُّبَّانُ بِالْقَاعَةِ مِنْ جَدِيدٍ، أَجْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ اِسْتَسْلَمُوا لِنَوْمٍ عَمِيقٍ، وَأَبْدَى (سُونْغْ) سُخْطَهُ مِنَ اَلصَّوْتِ اَلْمُزْعِجِ لِذَلِكَ اَلْمُنَبِّهِ اَلْإِلِكْتِرُونِيّ. بَدَا (زِيَاد) مُتَذَمِّرًا بِدَوْرِهِ، فَأَكْثَرَ مَا يَكْرَهُهُ أَنْ يَتَحَكَّمَ أَحَدٌ غَيْرُهُ فِي سَاعَةِ إِيقَاظِهِ، وَدَعَاهُمْ بِحَمَاس إِلَى اَلِانْتِهَاءِ مِنْ هَذَا اَلْعَمَلِ اَلْيَوْمَ قَائِلًا بِنَبْرَةِ تَذَمُّرٍ:

– لَنْ أَتَحَمَّلَ اَلْعَيْشَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ اَلْآخَرِينَ، لِذَا لِنُحَاوِلْ إِنْهَاءَ هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ اَلسَّخِيفَةِ، وَمُغَادَرَةَ هَذَا اَلْمَكَانِ.

– كُلُّنَا نَتَمَنَّى ذَلِكَ يَا (زِيَاد)، فَلِنَبْذُلْ أَقْصَى اَلْجُهُودِ إِذْن. أَجَابَهُ (سُونْغْ) مُحَاوِلًا بَثَّ اَلْحَمَاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ بِدَوْرِهِ.

لَكِنَّ (فِلَادِيمِيرْ) سُرْعَانَ مَا أَعَادَهُمْ إِلَى نُقْطَةِ اَلصِّفْرِ وَهُوَ يَسْأَلُهُمْ بِاهْتِمَامٍ:

– مِئَاتُ اَلْخُبَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ يَشْتَغِلُونَ فِي اَلْوِكَالَةِ، فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ تَتِمَّ اَلِاسْتِعَانَةُ بِشُبَّانٍ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا عَبَاقِرَةً وَمَوْهُوبِينَ؟ سَبَقَ ل (رَيَّان) أَنَّ تَسَاءَلَ اَلسُّؤَالَ ذَاتَهُ فِي نَفْسِهِ، وَرُبَّمَا فَعَلَ اَلْآخَرُونَ ذَلِكَ. لَكِنَّ اَلْبرُوفِيسُور أَخْبَرَهُمْ مِنْ قَبْل بِأَنَّ اَلْجُهُودَ تَتَضَافَرُ مِنْ أَجْلِ فَكِّ لُغْزِ اَلْكُوَيْكِبِ اَلْمَجْهُولِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ فِرَقًا كَثِيرَةً تَعْمَلُ عَلَى نَفْسِ اَلْهَدَفِ. وَلَمْ يَتَأَخَّرْ (كِيفِنْ) فِي تَأْكِيدِ تَوَقُّعَاتِهِ وَهُوَ يُخَاطِبُ اَلْجَمِيعَ بِصَوْتِهِ اَلْقَوِيِّ:

– لَسْنَا وَحْدَنَا مِنْ يَشْتَغِلُ عَلَى هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ، هُنَاكَ حَوَالَيْ عَشَرَة فِرَقٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَلَا نَعْرِفُ لِمَنْ سَيَكُونُ اَلسَّبْقُ؟

كَانَتْ نَبْرَةٌ (كِيفِنْ) تُوحِي بِأَنَّهُ مُتَأَكِّدٌ مِنْ كَلَامِهِ، مِمَّا جَعَلَ (زِيَادْ) يَسْتَفْسِرُهُ عَنْ مَصْدَرِ مَعْلُومَاتِهِ، فَابْتَسَمَ فِي هُدُوءٍ وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ اَلْحَارِسِ اَلْأَمْرِيكِيِّ اَلَّذِي تَبَادَلَ مَعَهُ اَلْحَدِيثَ وَأَفْشَى لَهُ بِهَذِهِ اَلْمَعْلُومَةِ. لَمْ يَسْتَسِغِ اَلْآخَرُونَ أَنْ يَحْظَى (كِيفِنْ) بِمُعَامَلَةٍ مُمَيَّزَةٍ، فَقَطْ لِأَنَّهُ أَمْرِيكِيٌّ وَلِأَنَّهُمْ فَوْق أَرْضٍ أَمْرِيكِيَّةٍ، وَلَمْ يَشْعُرْ (زِيَادْ) إِلَّا وَهُوَ يَصْرُخُ بِحُرْقَةٍ:

– مُؤْسِفٌ أَنْ يَتِمَّ اَلتَّعَامُلُ مَعَنَا بِنَوْعٍ مِنْ اَلتَّمْيِيزِ، كُلُّنَا بَشَرٌ فِي اَلنِّهَايَةِ وَنَحْتَاجُ لِنَفْسِ اَلْحُقُوقِ. لَمْ يُعَقِّبْ (كِيفِنْ) عَلَى كَلَامِهِ، وَوَافَقَ (سُونْغْ) عَلَى كَلَامِ (زِيَادْ) وَهُوَ يُرَدِّدُ:

– فِعْلًا، لَا يُمْكِنُ...

لَمْ يُكْمِلْ كَلَامُهُ، فَقَدْ قَاطَعَهُ (فلَادِيمِيرْ) بِنَبْرَةٍ غَاضِبَةٍ:

– اُتْرُكُوا خِلَافَاتِكُمْ جَانِبًا، نَحْتَاجُ لِلْعَمَلِ كَجَسَدٍ واحِدٍ، وَإِنْهَاءَ هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ.

تَقَمَّصَ (فلَادِيمِيرْ) شَخْصِيَّةَ رَجُلٍ حَكِيمٍ وَهُوَ يُطْلِقُ عِبَارَتَهُ اَلْأَخِيرَةَ. وَنَجَحَ بِذَلِكَ فِي تَهْدِئَةِ اَلْأُمُورِ وَدَفْعِهِمْ إِلَى اَلتَّرْكِيزِ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى مُهِمَّتِهِمْ. فَتَوَجَّهَ (سُونْغْ) نَحْوَ اَلتِّلِسْكُوبِ اَلْمُتَطَوِّرِ، وَأَخْرَجَ عُلْبَةً مُتَوَسِّطَةَ اَلْحَجْمِ كَانَتْ تَحْتَ تَصَرُّفِهِمْ، وَبَدَأَ فِي تَفْكِيكِ أَجْزَاءٍ مِنْ اَلْجِهَازِ وَتَغْيِيرِ رُقَاقَاتٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، بَيْنَمَا تَذَكَّرَ (رَيَّانْ) وَرَقَتَهُ اَلْمَطْوِيَّةَ فِي جَيْبِ سُتْرَتِهِ، وَأَعَادَ تَعْدِيلَ بَعْضِ اَلْمُعَادَلَاتِ وَالرُّمُوزِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ لِلْعَمَلِ عَلَى حَاسُوب وَهُوَ فِي غَايَةِ اَلتَّرْكِيزِ. (زِيَادْ) بِدَوْرِهِ كَانَ يُحَرِّكُ أَصَابِعَهُ عَلَى أَزْرَارِ اَلْحَاسُوبِ بِخِفَّةٍ، وَضَاقَتْ عَيْنَاهُ فِي لَحْظَةٍ كَمَن اِكْتَشَفَ شَيْئًا جَدِيرًا بِالِاهْتِمَامِ، فِي حِينِ اِنْكَبَّ (فِلَادِيمِيرْ) و (كِيفِنْ)

عَلَى اَلْعَمَلِ بِالتَّوَازِي فِي حَوَاسِيبَ وَشَاشَاتٍ تَفَاعُلِيَّةٍ. مَرَّتْ سَاعَتَانِ وَهُمْ مُلْتَزِمُونَ بِالصَّمْتِ، قَبْلُ أَنْ يَصْرُخَ (سُونْغْ) عَالِيًا:

– لَقَدْ فَعَلْتُهَا... لَقَدْ فَعَلْتُهَا... !

تَوَجَّهَتِ اَلْأَنْظَارُ نَحْوَ اَلشَّابِّ اَلصِّينِيِّ اَلَّذِي كَانَ يُلَوِّحُ بِقَبْضَتِهِ وَيَقْفِزُ فِي مَكَانِهِ، وَاسْتَرْسَلَ فِي حَمَاسٍ مُلْفِتٍ:

– لَقَدْ عَدَّلْتُ بَعْضَ اَلرُّقَاقَاتِ اَلْإِلِكْتِرُونِيَّةِ اَلْخَاصَّةِ بِالتِّلِسْكُوبِ، وَتَوَصَّلْتُ إِلَى طَبِيعَةِ ذَلِكَ اَلشَّيْءِ أَخِيرًا. أَيُّهَا اَلسَّادَةُ، نَحْنُ لَسْنَا أَمَامَ كُوَيْكِبٍ، بَلْ مَرْكَبَةٌ فَضَائِيَّةٌ.

اِتَّسَعَتْ عُيُونُ اَلْجَمِيعِ مِنَ اَلدَّهْشَةِ وَالِاسْتِغْرَابِ وَهُمْ يَسْمَعُونَ حَدِيثَ زَمِيلِهِمْ. وَفِي اَللَّحْظَةِ نَفْسِها، فُتِحَتِ اَلْأَبْوَابُ اَلْمُوصَدَةُ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا، وَدَخَلَ اَلْبرُوفِيسُور يُرَافِقُهُ اَلْجِنِرَالُ وَرِجَالٌ آخَرُونَ. كَانَتْ قَسَمَاتُ اَلْبرُوفِيسُور مُتَجَهِّمَةً عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ، بَيْنَمَا اِرْتَسَمَتْ عَلَامَاتُ اَلْغَضَبِ عَلَى وَجْهِ اَلْجِنِرَالِ. كَانَتْ مَلَامِحُ اَلرَّجُلَيْنِ تُوحِي بِأَنَّ أَمْرًا سَيِّئًا قَدْ وَقَعَ، وَأُسْقِطَ فِي قُلُوبِ اَلشُّبَّانِ اَلْخَمْسَةِ وَهُمْ يَتَوَقَّعُونَ أَسْوَأَ اَلْعَوَاقِبِ. صَرَخَ اَلْبرُوفِيسُور فِي وُجُوهِهِمْ بِحِدَّةٍ:

– لَقَدْ تَجَاوَزْتُمْ حُدُودَكُمْ بِالْفِعْلِ. ثُمَّ وَجَّهَ اَلْحَدِيثَ لِ (سُونْغْ) وَهُوَ فِي قِمَّةِ اَلْغَضَبِ:

– وَأَنْتَ أَيُّهَا اَلْفُضُولِيُّ! مِنْ طَلَبِ مِنْكَ اَلْعَبَثَ بِالتِّلِسْكُوبِ؟ هَلْ تَعْرِفُ كَمْ تَبْلُغُ تَكْلُفَتُهُ؟

بَدَا اَلِارْتِبَاكُ عَلَى مُحَيَّا (سُونْغْ)، وَوَزَّعَ نَظَرَاتِهِ عَلَى رِفَاقِهِ كَأَنَّمَا يَطْلُب مِنْهُمْ اَلْعَوْنَ وَالْمَدَدَ، بَيْنَمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ اَلْجِنِرَالُ وَأَمْسَكَهُ مِنْ تَلَابِيبِهِ بِعُنْفٍ وَهُوَ يَصْرُخُ فِي وَجْهِهِ:

–هَلْ تَعْرِفُ عُقُوبَةَ تَخْرِيبِ مُمْتَلَكَاتِ اَلدَّوْلَةِ أَيُّهَا اَلْعَبْقَرِيُّ اَلْغَبِيُّ؟

حَرَّكَ (سُونْغْ) رَأْسَهُ عَلَامَةً عَلَى اَلنَّفْيِ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُفْلِتَ مِنْ قَبْضَةِ اَلْجِنِرَالِ اَلْقَوِيَّةِ، وَاَلَّذِي اِسْتَرْسَلَ فِي تَعْنِيفِ اَلْفَتَى وَالصُّرَاخِ فِي وَجْهِهِ:

- – أَنْتَ رَهْنَ اَلِاعْتِقَالِ مُنْذُ اَللَّحْظَةِ.

ثُمَّ الْتَفَتَ نَحْوَ جُنُودِهِ وَأَمَرَهُمْ بِلَهْجَةٍ صَارِمَةٍ بِأَنْ يَقْتَادُوا (سُونْغْ) نَحْوَ وِجْهَةٍ مَجْهُولَةٍ. سَادَ اَلْهُدُوءُ لِلَحَظَاتٍ دَاخِل اَلْقَاعَةِ، لَكِنَّهُ اَلْهُدُوءُ

اَلَّـذِي يَسْـبِقُ اَلْعَاصِـفَةَ، فَسُـرْعَانَ مَـا عَـادَ اَلْبرُوفِيسُـور لِيَصْـرُخَ بِلَهْجَـةٍ حَازِمَةٍ:

– اِسْمَعُونِي جَيِّدًا! مَا سَمِعْتُمُوهُ وَمَا عَرَفْتُمُوهُ يُعْتَبَرُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ اَلْأَمْنِ اَلْقَوْمِيِّ، وَتَعْرِفُونَ جَيِّدًا عُقُوبَةَ إِفْشَـاءِ أَسْـرَارٍ مُمَاثِلَةٍ. مَـا يَهُمُّنَـا اَلْآنَ هُـوَ مَعْرِفَـةُ تَوْقِيـتِ اَلِارْتِطَـامِ وَمَكَانِـهِ، هَـلْ سَمِعْتُمْ؟ وَحَـذَارِي أَنْ تَحْشُرُوا أُنُوفَكُمْ فِيمَا لَا يَعْنِيكُمْ.

أَضَافَ اَلْجِنِرَالُ اَلَّذِي أَحْمَرَّ وَجْهُهُ بِفِعْلِ اَلِانْفِعَالِ وَالْغَضَبِ:

– لَدَيْكُمْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً لِتَقْدِيمِ تَقْرِيرِكُمْ اَلنِّهَائِيِّ، اِعْتَبِرُوا كَلَامِي أَمْـرًا عَسْـكَرِيًّا. لَمْ يَتْرُكُـوا لَهُـمْ مَجَـالًا لِلِاسْتِفْسَـارِ أَو اَلِاعْـتِرَاضِ، فَقَدْ غَادَرُوا بِسُرْعَةٍ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ اَلْقَاعَةِ مِنْ جَدِيدٍ.

تَبَـادَلَ اَلشُّـبَّانُ اَلْأَرْبَعَـةُ نَظَـرَاتٍ قَلِقَـةً، وَبَـدَتْ عَلَـى وُجُـوهِهِمْ عَلَامَاتُ اَلِارْتِبَاكِ وَالتَّوَتُّرِ، لَمْ يَتَصَوَّرُوا أَنْ يَقُودَهُمْ تَفَوُّقُهُمْ وَنُبُوغُهُمْ إِلَى هَـذَا اَلْمَصِيرِ، وَتَـرَاءَتْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ صُورَةُ (سُونْغْ) وَهُـوَ يُجَرُّ نَحْوَ اَلْخَارِجِ مِنْ طَرَفِ جُنْدِيَّيْنِ مُسَلَّحَيْنِ، وَقَادَهُمْ خَيَالُهُمْ نَحْوَ تَوَقُّعِ اَلْأَسْوَأِ. أَصْبَحَتْ اَلْأُمُورُ وَاضِحَةً اَلْآنَ، وَلَا تَحْتَاجُ لِتَفْسِيرٍ مُفَصَّلٍ، شُكُوكُهُمْ كَانَتْ فِي مَحَلِّهَا، وَأَسْئِلَتُهُمْ اَلسَّابِقَةُ كَانَتْ مَنْطِقِيَّةً.

- مَرْكَبَـة فَضَـائِيَّةٌ أَيُّهَـا اَلرِّفَـاقُ، هَـلْ سَمِعْـتُمْ؟ رَدَّدَ (زِيَاد) وَهُـوَ يَضْحَكُ بِعَصَبِيَّةٍ.

- لَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَ مَرْكَبَةٍ لِلِاسْتِكْشَافِ أَوْ مِنْ أَجْلِ وَضْعِ قَمَرٍ صِنَاعِيٍّ فِي مَدَارِهِ، غَالِبًا سَتَكُونُ مَرْكَبَةً مُجَهَّزَةً لِاعْتِرَاضِ كُوَيْكِبَاتٍ تُهَدِّدُ اَلْأَرْض. تَحَدَّثَ (رَيَّانْ) بِثِقَةٍ.

وَأَضَافَ (فلَادِيمِيرْ) مُوَافِقًا عَلَى تَحْلِيلِهِ:

- هَـذَا اَلنَّـوْعُ مِـنْ اَلْمَرْكَبَـاتِ يَكُـونُ مُـزَوَّدًا بِشُـحْنَاتٍ نَوَوِيَّـةٍ تُسْـتَعْمَلُ لِتَـدْمِيرِ اَلْكُوَيْكِبَـاتِ وَتَفْتِيتِهَـا فِي اَلْفَضَـاءِ، لَكِنَّنَـا أَمَـامَ مَرْكَبَـةٍ فَقَدَتِ اَلْوِكَالَةُ اَلسَّيْطَرَةَ عَلَيْهَا، وَأَصْبَحَتْ تُشَكِّلُ خَطَرًا عَلَى اَلْأَرْضِ.

- نَتَحَدَّثُ عَنْ قُنْبُلَةٍ تَبْلُغُ قُوَّتُهَا حَوَالَيْ سِتِّينَ كِيلُوطُنّ مِنْ مَادَّةٍ (tnt) اَلْمُتَفَجِّرَةَ، وَنَظَرًا لِسُرْعَةِ اَلْمَرْكَبَةِ وَالِارْتِفَاعِ اَلْكَبِيرِ فَإِنَّ قُوَّتَهَا اَلتَّدْمِيرِيَّةَ سَتَكُونُ هَائِلَةً جِدًّا، فِي نِهَايَةِ اَلْمَطَافِ لَا فَـرْقَ بَيْنَ كُوَيْكِبٍ وَقُنْبُلَةٍ فَكِلَاهُمَا يُهَدِّدَانِ اَلْأَرْضَ. تَحَدَّثَ (كِيفِنْ) بِدَوْرِهِ.

- اَلْقُنْبُلَةُ اَلَّتِي أُلْقِيَتْ عَلَى هِيرُوشِيمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهَا حَوَالَيْ 18 كِيلُـوطُنٍّ فَقَـطْ، وَرَغْـمَ ذَلِـكَ تَسَـبَّبَتْ فِي قَتْـلِ حَـوَالَيْ 140000

إِنْسَانٍ، فَمَا بَالُكَ بِهَذِهِ اَلْقُنْبُلَةِ اَلْعِمْلَاقَةِ؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) فِي قَلَقٍ وَاضِحٍ.

- دَمَارٌ هَائِلٌ، وَمَلَايِينُ اَلْقَتْلَى، وَإِشْعَاعَاتٌ حَرَارِيَّةٌ، وَتَلَوُّثٌ إِشْعَاعِيٌّ... مَأْسَاةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ تَخَيُّلُهَا. أَجَابَهُ (زِيَاد) بِتَأَثُّرٍ. قَبْلَ أَنْ يَصْرُخَ فِي أَسىً:

– أَلَمْ يَكُنْ مِنْ اَلْمُفْتَرَضِ أَنْ يُخْبِرُونَا بِالْحَقِيقَةِ؟ لِمَاذَا تَعَمَّدُوا إِخْفَاءَهَا بِذَلِكَ اَلشَّكْلِ اَلسَّخِيفِ؟

أَجَابَ (رَيَّان) وَهُوَ يَمُطُّ شَفَتَيْهِ مُبْدِيًا اَلْأَسَفَ:

– بِبَسَاطَةٍ لِأَنَّهُم اَلسَّبَبُ فِي هَذَا اَلْخَطَأِ اَلْقَاتِلِ.

اِقْتَرَبَ اَلشُّبَّانُ اَلْأَرْبَعَةُ مِنْ بَعْضِهِمْ اَلْبَعْض، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهَا اَلْبَعْضِ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى بَذْلِ كُلِّ اَلْجُهُودِ لِإِنْهَاءِ اَلْمُهِمَّةِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، خَاصَّةً مَعَ تَأْكِيدِ (زِيَاد) عَلَى أَنَّ نَجَاحَهُمْ يَعْنِي إِنْقَاذَ اَلْحَيَاةِ عَلَى جُزْءٍ مِنْ هَذَا اَلْكَوْكَبِ، وَإِنْقَاذَ حَيَاةِ اَلْبَشَرِ. كُلُّ إِمْكَانِيَّاتِهِمْ اَلْعَقْلِيَّةِ، وَمَلَكَاتِهِمْ اَلْفَرِيدَة مِنْ نَوْعِهَا، وَذَكَائِهِمْ اَلَّذِي يَتَجَاوَزُ اَلْمُعَدَّلَاتِ اَلطَّبِيعِيَّةَ، سَيَتِمُّ تَوْظِيفُهَا وَتَحْفِيزُهَا. مُعَادَلَاتٌ رِيَاضِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ، وَتَحْلِيلٌ شَدِيدُ اَلصُّعُوبَةِ لِلْبَيَانَاتِ، يَتْلُوهُ مُنَاقَشَةٌ وَتَقَاسُمٌ

لِلْأَفْكَارِ، وَعُيُونٌ تَتَرَقَّبُ بَيْنَ اَلْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى شَاشَةً تُحَدِّدُ مَسَارَ اَلْمَرْكَبَةِ وَمَدَى اِقْتِرَابِهَا مِنَ اَلْأَرْضِ وَاَلَّذِي يَنْتُجُ عَنْهُ تَشْغِيلٌ آلِيٌّ لِرَنِينٍ مُتَقَطِّعٍ دَلَالَةً عَلَى اِقْتِرَابِ اَلْخَطَرِ. كَانُوا أُشْبَهَ بِجَرَّاحِينَ وَسَطَ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ، وَأَمَامَهُمْ جِهَازُ رَصْدِ اَلْمُؤَشِّرَاتِ اَلْحَيَوِيَّةِ لِجَسَدِ اَلْمَرِيضِ، وَاَلَّذِي يَرِنُّ كُلَّمَا هُدِّدَتْ حَيَاتُهُ، أَوْ فَقَدَهَا نِهَائِيًّا.

– أَنْهَيْتُ عَمَلِي أَيُّهَا اَلرِّفَاق. صَاحَ (رَيَّان) فَجْأَةً.

ضَغَطَ (زِيَاد) آخِرَ زِرٍّ فِي لَوْحَةِ اَلتَّحَكُّمِ عَلَى حَاسُوبٍ، وَالْتَفَتَ نَحْوَهُمْ لِيَقُولَ بِصَوْتٍ مُتْعَبٍ وَقَلِقٍ:

– أَنَا أَيْضًا.

ثُمَّ رَفَعَ كُلٌّ مِنْ (فلَادِيمِيرْ) و (كِيفِنْ) يَدَيْهِمَا عَلَامَةً عَلَى اِنْتِهَائِهِمَا هُمَا أَيْضًا. كَانَ مِنَ اَلْغَرِيبِ أَنْ يُعْلِنُوا جَمِيعُهُمْ وَفِي اَلْوَقْتِ عَيْنِهِ نِهَايَةَ اَلْعَمَلِ، لَكِنْ بِالنَّظَرِ إِلَى قُدُرَاتِهِمْ وَمُؤَهِّلَاتِهِمْ وَرُوحِ اَلتَّحَدِّي بِدَاخِلِهِمْ، فَالْأَمْرُ يَبْدُو طَبِيعِيًّا.

– مَنْ سَيَبْدَأُ إِذَنْ؟ تَسَاءَلَ (كِيفِنْ) عَمَّنْ يُعْلِنُ نَتِيجَتَهُ أَوَّلًا.

بَدَأَ اَلتَّرَدُّدُ وَاضِحًا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَتَمْلَمَلَ (زِيَاد) كَثِيرًا فِي مَقْعَدِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ أَصَابِعَ يَدَيْهِ بِطَرِيقَةٍ عَصَبِيَّةٍ تُنْبِئُ عَنْ حَالَتِهِ اَلنَّفْسِيَّةِ اَلَّتِي

اِزْدَادَتْ سُوءًا، وَلَمْ يَخْتَلِفْ اَلْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِ (رَيَّان)، وَاَلَّذِي كَانَ يُوَزِّعُ نَظَرَاتِهِ بَيْنَ أَوْرَاقٍ مَوْضُوعَةٍ أَمَامَهُ، وَبَيْنَ رِفَاقِهِ، دُونُ أَنْ يَمْلِكَ اَلْقُدْرَةَ عَلَى اَلْحَدِيثِ رَغْمَ رَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ.

وَحْدَهُ (فلَادِيمِيرْ) مَنْ حَافَظَ عَلَى هُدُوئِهِ، وَبُرُودَةُ مَلَامِحِهِ، وخَاطَبَ اَلْجَمِيعَ بِهُدُوءٍ مُسْتَفِزٍّ:

– اَلْوَقْتُ: شَهْرٌ وَاحِدٌ يَفْصِلُنَا عَنْ اَلِاصْطِدَامِ. اَلْمَكَانُ: اَلْإِحْدَاثِيَّاتُ 31.13 ® شَرْقًا 30.02 ® شَمَالًا، يَعْنِي... سَكَتَ (فلَادِيمِيرْ) وَرَمَقَ رِفَاقَهُ كَأَنَّمَا يَنْتَظِر مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يُكْمِلَ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ (كِيفِنْ) اَلَّذِي قَالَ بِثِقَةٍ:

– اَلْقَاهِرَةُ، مِصْر. ثُمَّ رَفْعِ يَدَهُ وَسَأَلَهُمْ بِاهْتِمَامٍ:

– مَنْ يُؤَكِّدُ؟

رَفَعَ (فلَادِيمِيرْ) يَدَهُ بِدَوْرِهِ عَلَامَةً عَلَى تَأْكِيدِهِ لِلْأَمْرِ، بَيْنَمَا اِسْتَسْلَمَ كُلٌّ مِنْ (رَيَّان) و (زِيَادْ) لِحَالَةِ شُرُودٍ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ، وَبَدَتْ نَظَرَاتُهُمَا زَائِغَةٌ كَأَنَّمَا يُحَمْلِقَانِ فِي اَلْفَرَاغِ. نَادَاهُمَا (كِيفِنْ) دُونَ أَنْ يَجِدَ اِسْتِجَابَةً، وَكَذَلِكَ فَعَلَ (فلَادِيمِيرْ)، لَكِنَّ اَلشَّابَّيْنِ كَانَا خَارِجَ سِيَاقِ اَلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَكَأَنَّ رُوحَيْهِمَا تَهِيمَانِ فِي اَلْفَضَاءِ اَلْبَعِيدِ، بَيْنَمَا

جَسَدَيْهِمَا جَالِسَيْنَ فِي اَلْقَاعَةِ. لَمْ يَتَرَدَّدْ (كِيفِنْ) فِي اَلصُّرَاخِ بِصَوْتٍ عَالٍ هَذِهِ اَلْمَرَّةِ:

– (رَيَّانْ)... (زِيَادْ)...!!

اِنْتَفَضَ اَلشَّابَّانِ كَأَنَّمَا اسْتَفَاقَا مِنْ كَابُوسٍ مُرْعِبٍ. وَابْتَسَمَ (كِيفِنْ) وَهُوَ يَسْأَلُهُمَا:

– مَا اَلَّذِي أَصَابَكُمَا؟ كُنْتُمَا خَارِجَ اَلتَّغْطِيَةِ بِالْفِعْلِ.

بَيْنَمَا انْبَرَى (فلَادِيمِيرْ) بِبُرُودِهِ اَلْمُعْتَادِ وَجِدِّيَّتِهِ اَلْمُبَالَغِ فِيهَا لِيَسْأَلَهُمَا بِدَوْرِهِ:

– هَلْ تُؤَكِّدَانِ؟

– نُؤَكِّدُ مَاذَا؟ تَسَاءَلَ (زِيَادْ) بِشُرُودٍ.

– اَلنَّتَائِجُ اَلَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا، وَقْتُ اَلِارْتِطَامِ وَمَكَانُهِ. تَحَدَّثَ (كِيفِنْ) بِاسْتِنْكَارٍ، بَعْدَمَا اِسْتَفَزَّتْهُ حَالَةُ اَلشَّابَّيْنِ اَلْغَرِيبَةِ وَالْغَيْرِ مُتَوَقَّعَة. تَبَادَلَ (رَيَّانْ) و (زِيَادْ) نَظَرَاتٍ غَرِيبَةً، وَبِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ كَمَا يَحْدُثُ فِي اَللَّقَطَاتِ اَلْمُعَادَةِ، رَفَعَ اَلشَّابَّانِ يَدَيْهِمَا مُؤَكِّدَيْنِ اَلنَّتِيجَةَ اَلْمُتَوَصَّلِ إِلَيْهَا.

سَادَ اَلصَّمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ، تَبَقَّتْ حَوَالَيْ عَشَرُ دَقَائِق عَلَى فَتْحِ اَلْقَاعَةِ، عَلَى شَاشَةٍ تَفَاعُلِيَّةٍ أَمَامَهُمْ كَانَ مُؤَشِّرُ اَلسَّاعَةِ اَلْإِلِكْتِرُونِيّ يَعْمَلُ بِشَكْلٍ تَنَازُلِيّ، فَتَعَلَّقَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالثَّوَانِي اَلَّتِي تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ. وَهَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي أَفْكَارِهِ. بَدَا (كِيفِنْ) مُنْفَرِجَ اَلْأَسَارِيرِ وَهُوَ يُطْفِئُ شَاشَةَ اَلْحَاسُوبِ أَمَامَهُ، لَقَدْ أَنْهَى اَلْمُهِمَّةَ، وَآنَ لَهُ أَنْ يَفْتَخِرَ بِالْعَمَلِ اَلْجَيِّدِ اَلَّذِي قَامَ بِهِ، وَبِالتَّوْصِيَةِ اَلْغَالِيَة اَلَّتِي سَيَنَالُهَا وَسَيَتَمَكَّنُ مِنْ خِلَالِهَا مِنْ وُلُوجِ وِكَالَةِ (اَلنَّاسَا). حُلْمُهُ بِأَنْ يُصْبِحَ رَائِدَ فَضَاءٍ، وَيُسَافِرَ فِي رِحْلَةٍ مَأْهُولَةٍ إِلَى اَلْقَمَرِ أَوْ اَلْمِرِّيخِ، أَصْبَحَ أَقْرَبَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مضَى. أَمَّا (فلَادِيمِيرْ) فَقَدْ حَافَظَ عَلَى هُدُوئِهِ، وَاسْتَلْقَى عَلَى كُرْسِيِّهِ يَتَأَمَّلُ اَلشَّاشَاتِ اَلْمُنْتَصِبَةَ أَمَامَهُ، كَانَ يَتَأَمَّلُ اَلْفَضَاءَ بِإِعْجَابٍ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِ نَوْعٌ مِنْ اَلِارْتِيَاحِ، فَقَدْ أَنْهَى مُهِمَّتَهُ أَخِيرًا، وَاطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّ اَلْخَطَرَ لَا يَتَهَدَّدُ بِلَادَهُ.

فَقَبْلَ أَنْ تَتِمَّ اَلِاسْتِعَانَةُ بِخِدْمَاتِهِ، كَانَ لَهُ لِقَاءٌ مَعَ عُمَلَاءٍ مِنَ (الكَ جِي بِي)[1]، وَاَلَّذِينَ حَفَّزُوهُ عَلَى اَلِانْخِرَاطِ فِي هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ بَعْدَمَا تَوَصَّلُوا بِمَعْلُومَاتٍ عَنْ خَطَرٍ يَتَهَدَّدُ اَلْأَرْضَ، وَكَانَتْ مَخَاوِفُهُمْ تَتَعَلَّقُ

[1] ك جي بي: جهاز المخابرات الروسي.

أَسَاسًا بِوُجُودِ مُؤَامَرَةٍ لِاسْتِهْدَافٍ (رُوسْيَا) مِنْ طَرَفِ (أَمْرِيكَا)، خَاصَّةً بَعْدَ اَلْحَادِثِ اَلْمُفَاجِئِ اَلَّذِي وَقَعَ فِي مَحَطَّةِ اَلْفَضَاءِ اَلرُّوسِيَّةِ وَاَلَّذِي أَدَّى لِتَدْمِيرِهَا وَتَعْطِيلِ كُلِّ خِدْمَاتِهَا.

لِهَذَا كَانَ (فلَادِيمِيرْ) فِي قِمَّةِ سَعَادَتِهِ دُونَ أَنْ يُظْهِرَ ذَلِكَ، وَكَانَ يَتَرَقَّبُ مَوْعِدَ اَلْعَوْدَةِ لِيُخْبِرَ اَلْعُمَلَاءَ بِالنَّتَائِجِ اَلْمُتَوَصَّلِ إِلَيْهَا، وَيُطَمْئِنَهُمْ بِأَنَّ (رُوسْيَا) لَيْسَتْ فِي مَرْمَى اَلْخَطَرِ. وَحْدَهُمَا (رَيَّان) و(زِيَادْ) مَنْ كَانَتْ أَفْكَارُهُمَا مُتَشَابِهَةً وَهَوَاجِسُهُمَا أَيْضًا، لَمْ يَتَصَوَّرَا فِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ أَنْ يَتَهَدَّدَ اَلْخَطَرُ دَوْلَةً عَرَبِيَّةً عَزِيزَةً عَلَى قَلْبَيْهِمَا، فَطَبِيعَةُ اَلْمُهِمَّةِ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهَا وَمَكَانُ تَوَاجُدِهِمَا، وَكُلُّ اَلْأَحْدَاثِ اَلَّتِي سَبَقَتْ، كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اَلْخَطَرَ يَتَهَدَّدُ اَلْغَرْبَ، سَوَاءً (أَمْرِيكَا) أَوْ مِنْطَقَةً مَا فِي أُورُوبَّا. وَلَمْ يَفْهَمْ (رَيَّان) لِمَ تَرَاءَتْ أَمَامَ عَيْنَيْهِ صُورَةُ اَلْأَهْرَامَاتِ وَهِيَ تُدَمَّرُ بِصِفَةٍ كَامِلَةٍ، هِيَ اَلَّتِي حَافَظَتْ عَلَى شُمُوخِهَا لِآلَافِ اَلسَّنَوَاتِ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَخْتَفِيَ فِي رِمْشِهِ عَيْنٍ؟

أَمَّا (زِيَاد) فَقَدَ تَخَيَّلَ نَهْرَ اَلنِّيلِ اَلْعَظِيمِ وَقَدْ جفَّتْ مِيَاهُهُ أَوْ تَسَمَّمَتْ بِفِعْلِ اَلتَّلَوُّثِ اَلْإِشْعَاعِيِّ اَلْكَبِيرِ. فُتِحَتِ اَلْأَبْوَابُ بَعْد اِنْتِهَاءِ اَلْوَقْتِ اَلْمَسْمُوحِ بِهِ لِلْعَمَلِ، وَأُطْفِئَتْ جَمِيعُ اَلْأَجْهِزَةِ اَلْمَوْجُودَةِ دَاخِلَ

اَلْقَاعَةِ بِشَكْلٍ تِلْقَائِيٍّ، وَكَانَتْ تِلْكَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُمْ بِالْفِعْلِ اِنْتَهَوْا مِنْ عَمَلِهِمْ، وَبِأَنَّهَا اَلْمَرَّةُ اَلْأَخِيرَةُ اَلَّتِي سَيَرَوْنَ فِيهَا هَذِهِ اَلْقَاعَةِ. وَهُمْ عَلَى مَشَارِفِ اَلْبَابِ، اِلْتَفَتَ (فلَادِيمِيرْ) نَحْوهُمْ وَبِلَكْنَتِهِ اَلْمُعْتَادَةِ الْخَالِيَةِ مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ، سَأَلَهُمْ:

– لِمَاذَا لَمْ يَفْتَحُوا اَلْأَبْوَابَ مِنْ قَبْلُ؟ يَرَوْنَ كُلَّ مَا نَفْعَلُهُ وَيَسْمَعُونَ أَحَادِيثَنَا جَيِّدًا، فَلِمَاذَا لَمْ يَدْخُلُوا فَوْرَ إِعْلَانِنَا اَلنَّتِيجَةَ؟

لَمْ يُعَقِّبْ أَحَدٌ عَلَى كَلَامِ (فلَادِيمِيرْ)، فَلَمْ يَعُودُوا قَادِرِينَ عَلَى اَلتَّفْكِيرِ بَعْد سَاعَاتِ اَلتَّوَتُّرِ وَالْإِنْهَاكِ اَلْعَقْلِيِّ اَلَّتِي عَاشُوهَا، وَرُبَّمَا لَمْ يَجِدُوا اَلْجَوَابَ اَلْمُنَاسِبَ عَلَى ذَلِكَ اَلسُّؤَالِ اَلْغَيْرِ مُتَوَقَّعٍ.

وَحْدَهُ (كِيفِنْ) مَنْ تَحَدَّثَ وَهُوَ يَهُمُّ بِالْمُغَادَرَةِ رُفْقَةَ مُرَافِقِهِ:

– وَدَاعًا أَيُّهَا اَلرِّفَاق، وَإِلَى لِقَاءٍ قَرِيبٍ.

كَانُوا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ لَهُمْ مَوْعِدٌ مَعَ اَلْبرُوفِيسُور لِيُسَلِّمُوهُ تَقْرِيرَهُمْ اَلنِّهَائِيَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ تَقْرِيبًا، وَهِيَ اَلْمُدَّةُ اَلَّتِي قَضَوْهَا مُسْتَغْرِقِينَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، لِيُوقِظَهُمْ اَلصَّوْتُ اَلْمُزْعِجُ لِلْمُنَبِّهِ اَلْإِلِكْتِرُونِيِّ عَلَى مَضَضٍ. لَمْ تَكُنْ قَسَمَاتُ اَلْبرُوفِيسُور تُوحِي بِشَيْءٍ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُهُمْ.

أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِالْجُلُوسِ، وَاسْتَغْرَقَ وَقْتًا وَجِيزًا فِي قِرَاءَةِ تَقْرِيرِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يُخَاطِبَهُمْ بِهُدُوءٍ مُسْتَفِزٍّ:

– حَسَنًا، يُمْكِنُ اِعْتِبَارُ مَا تَوَصَّلْتُمْ إِلَيْهِ مُقْنِعًا، وَيَنْسَجِمُ مَعَ اِسْتِنْتَاجَاتِ اَلْفِرَقِ اَلْأُخْرَى.

– لَكِنْ، مَنْ كَانَ لَهُ اَلسَّبْقُ فِي ذَلِكَ برُوفِيسُور؟ تَسَاءَلَ (كِيفِنْ) بِلَهْفَةٍ.

– لَا يَهُمُّ مَنْ كَانَ اَلْأَسْبَقَ، لَدَيْنَا تَأْكِيدٌ مَوْثُوقٌ وَهُوَ مَا يَهُمُّنَا اَلْآنَ. أَجَابَهُ اَلْبرُوفِيسُور بِخُشُونَةٍ.

لَمَسَ (رَيَّان) فِي نَيْرَةِ اَلْبرُوفِيسُور وَفِي رُدُودِ أَفْعَالِهِ تَغَيُّرًا عَنِ اَلْمَأْلُوفِ، أَبْدَى اَلرَّجُلُ لَا مُبَالَاةً وَاضِحَةً، وَلَمْ يَرْفَعْ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ، كَمَا أَنَّ عِبَارَاتِهِ كَانَتْ مُقْتَضَبَةً، وَلَمْ يُخْفِ ضَيْقَهُ فِي لَحْظَةٍ وَهُوَ يَتَأَفَّفُ، فِي حَرَكَةٍ أَثَارَتْ انْتِباهَ (زِيَادْ) أَيْضًا، وَاَلَّذِي اِنْحَنَى لِيَهْمِسَ فِي أُذُن (رَيَّانْ):

– اَلْأُمُورُ لَا تُبَشِّرُ بِخَيْرٍ.

بَعْدَ لَحْظَةٍ مُرِيبَةٍ مِنْ اَلصَّمْتِ، رَفَعَ اَلْبرُوفِيسُور رَأْسَهُ أَخِيرًا، وَرَمَقَ اَلْجَمِيعَ بِعَيْنَيْهِ اَلصَّغِيرَتَيْنِ وَاَللَّتَيْنِ تَبْدُوَانِ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ نَظَّارَتِهِ اَلطِّبِّيَّةِ

كَكُرَيَّتْ بِلْيَةٍ زَرْقَاوَتيْنِ وَجَامِدَتَيْن، قَبْلَ أَنْ يُبَادِرَهُمْ بِعِبَارَاتٍ مُنْتَقَاةٍ وَهُوَ يَضْغَطُ عَلَى أَسْنَانِهِ:

– أَهْنِيْتُمْ اَلْمُهِمَّة وَسَتَعُودُونَ لِبُلْدَانِكُمْ... شُكْرًا جزيلا.

لَمْ يَسْتَسِغْ أَحَدٌ مِنْ اَلشُّبَّانِ اَلْأَرْبَعَةِ طَرِيقَةَ كَلَامِ اَلرَّجُلِ، وَانْتَبَهَ (رَيَّان) إِلَى أَنَّهُ تَرَدَّدَ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ شُكْرِهِ، بَيْنَمَا اِنْتَابَتْ (زِيَاد) نَوْبَةُ غَضَبٍ بِسَبَبِ تَصَرُّفِ اَلْبرُوفِيسُور اَلْمُفْتَقِدِ لِلَّبَاقَةِ، وَاَلَّذِي بَخَّسَ عَمَلَهُمْ وَلَمْ يُقَدِّرْ جُهُودَهُمْ. كَمَا بَدَا اَلِانْفِعَالُ وَاضِحًا عَلَى وَجْهِ (كِيفِنْ)، وَتَرَدَّدَ كَلَامٌ كَثِيرٌ عَلَى شَفَتَيْهِ لَكِنَّهُ لَمْ يَبُحْ بِهِ بَعْدَمَا تَحَكَّمَ فِي رَدَّةِ فِعْلِهِ فِي اَللَّحْظَةِ اَلْأَخِيرَةِ. أَمَّا (فلَادِيمِيرْ) فَقَدْ نَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ وَغَادَرَ اَلْغُرْفَةَ دُونَ أَنْ يُوَدِّعَ أَحَدًا.

وَسُرْعَانَ مَا تَبِعَهُ (كِيفِنْ). لَمْ يَنْبِسِ اَلْبرُوفِيسُور بِكَلِمَةٍ، وَانْشَغَلَ بِجَمْعِ حَاجِيَاتِهِ وتَوْضِيبِهَا فِي حَقِيبَتِهِ اِسْتِعْدَادًا لِلْمُغَادَرَةِ هُوَ أَيْضًا. وَحِينَمَا غَادَرَ مَكْتَبَهُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ بَابِ اَلْخُرُوجِ اِسْتَوْقَفَهُ (زِيَادْ)، وَحَاوَلَ أَنْ يُضْفِيَ عَلَى كَلِمَاتِهِ بَعْضَ اَللَّبَاقَةِ وَالِاحْتِرَامِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ بِاهْتِمَامٍ:

– مَاذَا بَعْد أَيُّهَا اَلْبرُوفِيسُور؟ مَا هِيَ اَلْإِجْرَاءَاتُ اَلَّتِي سَتُتَّخَذُ لِحِمَايَةِ تِلْكَ اَلْمِنْطَقَةِ؟

عَقَدَ اَلرَّجُلُ حَاجِبَيْهِ مُتَذَمِّرًا مِنْ حَرَكَةِ اَلشَّابِّ غَيْرِ اَلْمُتَوَقَّعَةِ وَالَّذي اعْتَرَضَ طَرِيقَهُ، وَأَبْدَى اِمْتِعَاضَهُ مِنْ سُؤَالِهِ وَهُوَ يُجِيبُهُ بِلَا مُبَالَاةٍ:

– لَسْنَا فِي مَرْمَى اَلْخَطَرِ وَهَذَا مَا يَهُمُّ.

صَرَخَ (رَيَّان) بِحُرْقَةٍ:

– وَمَاذَا عَنِ (اَلْقَاهِرَةِ) وَالْمِنْطَقَةِ كُلِّهَا؟ هَلْ تُدْرِكُ حَجْمَ اَلْمَأْسَاةِ اَلَّتِي تُهَدِّدُ اَلْبَشَرَ وَالْحَيَاةَ هُنَاكَ يَا برُوفِيسُور؟

اِبْتَسَمَ اَلْبرُوفِيسُور فِي سُخْرِيَةٍ وَهُوَ يُجِيبُهُ:

– مُهِمَّتُنَا اِنْتَهَتْ أَيُّهَا اَلشَّابَّانِ، فَلَا دَاعِي لِإِطَالَةِ اَلْحَدِيثِ دُونَ جَدْوَى.

أَزَاحَ (زِيَاد) عَنْ طَرِيقِهِ، قَبْلَ أَنْ يَعْتَرِضَهُ (رَيَّان) هَذِهِ اَلْمَرَّة وَاَلَّذِي نَظَرَ فِي عَيْنَيْهِ مُبَاشَرَةً وَقَالَ بِحَزْمٍ:

– مَاذَا لَوْ كَانَتْ أَمْرِيكَا هِيَ اَلْمُهَدَّدَة؟ أَوْ أُورُوبَّا؟ هَلْ سَتَكُونُ هَذِهِ رَدَّةُ فِعْلِكَ؟

– أَيُّهَا اَلْحُرَّاسُ!! صَرَخَ اَلْبرُوفِيسُور عَالِيًا لِيَدْخُلَ جُنْدِيَّانِ مُدَجَّجَانِ بِالسِّلَاحِ وَعَلَى وَجْهَيْهِمَا اِرْتَسَمَتْ صَرَامَةٌ مَلْحُوظَةٌ. تَرَاجَعَ (رَيَّان) وَفَسَحَ اَلْمَجَالَ لِلْبرُوفِيسُور، اَلَّذِي اِلْتَفَتَ نَحْوهُمَا لِبُرْهَةٍ، قَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ وَهو يلَوِّحُ بِيَدِهِ قَائِلًا:

– وَدَاعًا.

فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ تَيَقَّنَ (رَيَّان) و (زِيَادْ) بِأَنَّ اَلْقَاهِرَةَ وَالْمِنْطَقَةَ اَلْعَرَبِيَّةَ كُلَّهَا قَدْ تُرِكَتَا لِتُوَاجِهَا مَصِيرهُمَا وَحْدَهُمَا، وَأَنَّ اَلْأَسْوَأَ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ.

وَرُبَّمَا لَمْ يَتَأَخَّر اَلْأَسْوَأَ، عَلَى اَلْأَقَلِّ بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا، فَقَدْ اِسْتَفْرَدَ بِهِمَا اَلْجِنِرَالُ دُونًا عَنْ (كِيفِنْ) و (فلَادِيمِيرْ)، وَتَعَمَّدَ اَلرَّجُلُ أَنْ يُحِيطَ نَفْسَهُ بِجُنُودٍ مُسَلَّحِينَ وَمُلَثَّمِينَ، لِيُضْفِيَ عَلَى اَلْمَشْهَدِ كَثِيرًا مِنْ اَلْهَالَةِ، وَيُشْعِرَ اَلشَّابَّيْنِ بِخُطُورَةِ اَلْأَمْرِ وَجِدِّيَّتِهِ. ثُمَّ حَدَّثَهُمَا بِجِدِّيَّةٍ يَشُوبُهَا كَثِيرٌ مِنَ اَلتَّهْدِيدِ:

– سَتَعُودَانِ إِلَى بَلَدَيْكُمَا، وَسَتَسْتَفِيدَانِ مِنْ فَتْرَةِ رَاحَةٍ قَصِيرَةٍ لِتَسْتَعِيدَا حَيَوِيَّتَكُمَا وَنَشَاطَكُمَا. لَقَدْ تَمَّ تَرْتِيبُ اَلْأُمُورِ مَعَ مُؤَسَّسَتَيْكُمَا، وَلَنْ تَجِدَا أَيَّ مُشْكِلٍ عِنْدَ اَلِالْتِحَاقِ بِهِمَا لِاسْتِكْمَالِ

دِرَاسَتِكُمَا. لَمْ تَرَيَا شَيْئًا وَلَمْ تَسْمَعَا شَيْئًا وَلَا تَعْرِفَانِ شَيْئًا. هَذِهِ ثلاثُ مَبَادِئَ عَلَيْكُمَا اَلِالْتِزَامُ بِهَا.

وَتَذَكَّرَا أَنَّكُمَا تَحْتَ اَلْمُرَاقَبَةِ، وَأَيُّ تَجَاوُزٍ مِنْكُمَا سَتَدْفَعَانِ ثَمَنَهُ غَالِيًا. أَنْهَى اَلْجِنِرَالُ كَلَامَهُ، وَهَمَّ بِالِانْصِرَافِ قَبْلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ شَيْئًا، فَالْتَفَتَ نَاحِيَتَهُمَا وَبَادَرَهُمَا بِابْتِسَامَةٍ شَامِتَةٍ:

– (سُونْغْ) يُرْسِلُ إِلَيْكُما تَحِيَّاتِهِ، لَا شَك سَتَكُونُ تَحِيَّةَ اَلْوَدَاعِ.

اِتَّضَحَتِ اَلْأُمُورُ إِذَن. تَمَّ اِسْتِغْلَالُ اَلشُّبَّانِ بِأَبْشَعِ صُورَةٍ، وَأَبَانَ هَؤُلَاءِ اَلْقَوْمِ عَنْ أَنَانِيَّتِهِمْ وَقَسْوَتِهِمْ وَهُمْ يَتَجَاهَلُونَ اَلْخَطَرَ اَلْمُحْدِقَ بِذَلِكَ اَلْجُزْءِ مِنْ اَلْعَالَمِ، لِمُجَرَّدِ أَنَّ ذَلِكَ اَلْخَطَرَ لا يُهَدِّدُهُمْ. لَا يَهْتَمُّونَ بِمَوْتِ اَلْمَلَايِينِ مِنْ اَلْبَشَرِ، وَتَدْمِيرَ كُلِّ مَعَالِمِ اَلْحَضَارَةِ، وَلَا يَجِدُونَ حَرَجًا فِي اَلِاكْتِفَاءِ بِالتَّفَرُّجِ عَلَى مَأْسَاةٍ سَتُصِيبُ أُولَئِكَ اَلنَّاسِ. لَقَدْ تَسَبَّبُوا فِي إِرْسَالِ قُنْبُلَةٍ نَوَوِيَّةٍ نَحْوَ اَلْفَضَاءِ، وَفَقَدُوا اَلتَّحَكُّمَ فِيهَا، وَيَعْرِفُونَ بِأَنَّهَا سَتُدَمِّرُ جُزْءًا مِنْ كَوْكَبِ اَلْأَرْضِ، لَكِنَّهُمْ يَتَنَصَّلُونَ اَلْآنَ مِنْ مَسْؤُولِيَّتِهِمْ، وَيَغُضُّونَ اَلطَّرْفَ عَمَّا سَيَقَعُ بَعْد أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ.

اِقْتَرَبَ أَحَدُ اَلْمُرَافِقِينَ مِنْ (زِيَاد)، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ بِضَرُورَةِ اَلتَّوَجُّهِ نَحْوَ غُرْفَتِهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلسَّفَرِ. وَتَكَرَّرَ اَلْأَمْرُ نَفْسُهُ مَعَ (رَيَّان)،

وَاَلَّـذِي طَلَـبَ مِـنْ مُرَافَقَـةِ أَنْ يَسْـمَحَ لَـهُ بِدَقِيقَـةٍ مَـعَ صَـدِيقِهِ اَلَّـذِي سَيُفَارِقُهُ وَرُبَّمَا لِلْأَبَدِ، فَاسْتَجَابَ اَلْحَارِسُ وَإِنْ كَانَ عَلَى مَضَضٍ. تَعَانَقَ اَلصَّدِيقَانِ، وَهَمَسَ (رَيَّان) فِي أُذُنِ صَدِيقِهِ:

– هَلْ سَيَكُونُ وَدَاعًا أَبَدِيًّا؟

– بِالطَّبْعِ لَا! سَنَلْتَقِي فَوْرَ اِلْتِحَاقِنَا بِمَعَاهِدِنَا، سَأَتَّصِلُ بِكَ.

– إِلَيْكَ رَقْمِي: (.... .... ..) لَا تَنْسَاهُ.

– ذَاكِرَتِي قَوِيَّةٌ. اِطْمَئِن.

اِفْتَرَقَ اَلصَّدِيقَانِ، كُلٌّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يُسْمَعُ فِي اَلْمَمَرِّ اَلضِّـيقِ سِـوَى وَقْـعُ اَلْخُطُـوَاتِ، وَمِـنْ وَرَاءِ اَلْمُغَـادِرِينَ كَانَـتْ جَمِيـعُ اَلْأَبْوَابِ تُغْلَقُ، مُعْلِنَةً عَنْ نِهَايَةِ اَلْمُهِمَّةِ.

أَعْلَنَ اَلرُّبَّانُ عَنِ اِنْطِلَاقَةِ اَلرِّحْلَةِ اَلْمُتَّجِهَةِ إِلَى (اَلدَّار اَلْبَيْضَاء) بِالْمَغْرِبِ، كَانَتْ سَمَاءُ (نِيُويُورْك) مُلَبَّدَةً بِالْغُيُومِ كَالْعَادَةِ، وَحَاوَلَ (رَيَّان) أَنْ يُلْقِيَ اَلنَّظْرَةَ اَلْأَخِيرَةَ عَلَى اَلْمَدِينَةِ مِنْ نَافِذَةِ اَلطَّائِرَةِ، لَكِنَّ كُتَلَ اَلْغُيُومِ اَلْمُنْتَشِرَةِ فِي اَلسَّمَاءِ مَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَرْخِيَ قَلِيلًا، وَيَسْتَعِيدَ اَلْكَثِيرَ مِنَ اَلْأَحْدَاثِ اَلَّتِي عَاشَهَا بِكَثِيرٍ مِنَ اَلتَّرَقُّبِ وَالْحَيْرَةِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ.

اِسْتَغْرَقَ فِي اَلنَّوْمِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، لِيَسْتَيْقِظ فَزِعًا عَلَى جَلَبَةٍ وَصُرَاخٍ وَاهْتِزَازَاتٍ عَنِيفَةٍ فِي اَلطَّائِرَةِ. دَعَتِ اَلْمُضِيفَاتُ اَلرُّكَّابَ لِالْتِزَامِ اَلْهُدُوءِ، وَوَضْعِ أَحْزِمَةِ اَلْأَمَانِ.

لَكِنَّ بَعْضَ اَلرُّكَّابِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اَلتَّحَكُّمَ فِي نَوْبَةِ اَلْهَلَعِ اَلَّتِي أَصَابَتْهُمْ فَاسْتَمَرُّوا فِي اَلصُّرَاخِ بِشَكْلٍ هِسْتِيرِيٍّ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ سَيِّدَةٌ فِي عِقْدِهَا اَلسَّادِسِ رُبَّمَا، كَانَتْ تَتَوَسَّطُ (رَيَّان) وَرَجُلًا آخَر بَدَا مُتَوَتِّرًا بِدَوْرِهِ وَتَمَسَّكَ بِحَافَّتَيْ مَقْعَدِهِ بِيَدَيْهِ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ إِمَارَاتُ اَلْخَوْفِ. وَضَعَ (رَيَّانُ) يَدَهُ عَلَى كَتِفِ اَلْمَرْأَةِ وَرَسَمَ اِبْتِسَامَةً وَاسِعَةً عَلَى شَفَتَيْهِ وَهُوَ يُبَادِرُهَا بِلُطْفٍ:

– لَا تَخَافِي سَيِّدَتِي، هِيَ مُجَرَّدُ مَطَبَّاتٍ هَوَائِيَّةٍ، سَنَتَجَاوَزُهَا بَعْدَ قَلِيلٍ. اَهْدَئِي وَتَنَفَّسِي بِعُمْقٍ.

اِسْتَجَابَتِ اَلسَّيِّدَةُ لِطَلَبِ اَلشَّابِّ، وَسُرْعَانَ مَا عَادَتِ اَلطَّائِرَةُ لِوَضْعِهَا اَلطَّبِيعِيِّ، وَعَمَّهَا اَلْهُدُوءُ بَعْدَ اَلْفَتْرَةِ اَلْحَرِجَةِ اَلَّتِي عَاشَتْهَا. شَكَرَتِ اَلسَّيِّدَةُ (رَيَّان) بِحَرَارَةٍ، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا تَكْرَهُ اَلطَّائِرَات كَثِيرًا وَلَوْلَا اَلضَّرُورَةُ اَلْمُلِحَّةُ لَمَا اِسْتَقَلَّتْهَا يَوْمًا.

وَاسْتَرْسَلَتِ اَلْمَرْأَةُ فِي كَلَامِهَا اَلْمُنْبَعِثِ مِنَ اَلْقَلْبِ، فَحَكَتْ لِ (رَيَّانْ) عَنِ اِبْنِهَا اَلْمُهَنْدِسِ اَلَّذِي يَعِيشُ فِي(نِيُويُورْك)، وَكَيْفَ قَضَتْ حَوَالَيْ اَلشَّهْرَيْنِ هُنَاكَ، قَبْلُ أَنْ تُقَرِّرَ اَلْعَوْدَةَ إِلَى بَلَدِهَا اَلْمَغْرِبِ، وَعَبَّرَتْ عَنِ اِشْتِيَاقِهَا اَلْكَبِيرِ لِبَيْتِهَا فِي (اَلدَّار اَلْبَيْضَاء)، وَلَوْلَا إِلْحَاح أَبْنَائِهَا عَلَيْهَا فِي زِيَارَتِهِمْ وَالْمُكُوثِ عِنْدَهُمْ، لَمَّا فَارَقَتْ ذَلِكَ اَلْبَيْت اَلَّذِي عَاشَتْ فِيهِ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةً مَعَ زَوْجِهَا، وَمَازَالَتْ تَعِيشُ فِيهِ بَعْد وَفَاةِ اَلزَّوْجِ قَبْلَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا.

كَانَ (رَيَّان) يَسْتَمِعُ وَيَسْتَمْتِعُ بِحَدِيثِ اَلْمَرْأَةِ، وَاَلَّتِي ذَكَّرَتْهُ بِأُمِّهِ، وَرَاقَ لَهُ أَكْثَرَ حَدِيثُهَا بِاللَّهْجَةِ اَلْمَغْرِبِيَّةِ بَعْدَمَا عَرَفَتْ أَنَّهُ مَغْرِبِيٌّ، فَبَعَثَ كَلَامُهَا فِي نَفْسِهِ اَلْكَثِيرَ مِنْ مَشَاعِرِ اَلِاشْتِيَاقِ وَالْحَنِينِ. وَقَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ اَلْمَرْأَةُ كَلَامَهَا، أَخْبَرَتْهُ بِنِيَّتِهَا زِيَارَةً (اَلْقَاهِرَة) بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ لِقَضَاءِ بَعْضِ اَلْوَقْتِ مَعَ اِبْنَتِهَا اَلَّتِي تَعِيشُ هُنَاكَ. خَفَقَ قَلْبُ (رَيَّانْ) بِعُنْفٍ وَهُوَ يَسْمَعُ حَدِيثَ اَلْمَرْأَةِ عَنِ (اَلْقَاهِرَة)، وَفَكَّرَ أَنْ يُحَذِّرَهَا، ويُخْبِرَهَا بِالْحَقِيقَةِ، وَيَصْرُخَ بِصَوْتٍ عَالٍ أَنَّ هُنَاكَ خَطَرًا دَاهِمًا يُهَدِّدُ تِلْكَ اَلْمِنْطَقَةِ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ فِي أَسىً كَلِمَاتِ اَلْجِنِرَالِ، وَلَمْ يَشُك فِي لَحْظَةٍ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرَاقِبُهُ وَيَتَرَقَّبُ زَلَّتَهُ، رُبَّمَا يَكُون ذَلِكَ اَلرَّجُلُ اَلْجَالِسُ بِقُرْبِهِ

عَمِيلًا لِـ«السِّي أَيْ إِي"[1]، أَوْ تِلْكَ اَلشَّابَّةُ اَلشَّقْرَاءُ اَلْجَالِسَةُ فِي اَلصَّفِّ اَلْآخَرِ، بَلْ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ اَلْمَرْأَةُ اَلطَّيِّبَةُ بِنَفْسِهَا عَمِيلَةً سِرِّيَّةً أُرْسِلَتْ لِاخْتِبَارِهِ. شَعَرَ بِثِقْلٍ فِي رَأْسِهِ بِسَبَبِ زَخَمِ اَلْأَفْكَارِ اَلَّذِي لَا يَنْتَهِي، فَاصْطَنَعَ اِبْتِسَامَةً رَدَّ بِهَا عَلَى اَلْمَرْأَةِ، وَالْتَفَتَ نَاحِيَةَ نَافِذَةِ اَلطَّائِرَةِ لِيَتَأَمَّلَ اَلْبِسَاطَ اَلْأَزْرَقَ اَلْمُمْتَدَّ تَحْتَهُ، وَيُحَاوِلَ أَنْ يُبْعِدَ عَنْ نَفْسِهِ أَفْكَارَ اَلسُّوءِ بِتَأَمُّلِ عَظَمَةِ اَلْمُحِيطِ اَلْأَطْلَنْطِيِّ.

حَطَّتِ اَلطَّائِرَةُ أَخِيرًا عَلَى مَدْرَجِ مَطَارِ مُحَمَّدْ اَلْخَامِسْ ب (اَلدَّار اَلْبَيْضَاء). لَمْ تَنْسَ اَلْمَرْأَةُ أَنْ تُوَدِّعَ (رَيَّان) بِكَلِمَاتٍ رَقِيقَةٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهَا وَهِيَ تُحَدِّثُهُ. أَجْرَى اِتِّصَالًا هَاتِفِيًّا بِأُمِّهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ اَلْمَطَارِ، وَجَدَهَا فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ مِنْ اَلْحُزْنِ وَالْقَلَقِ.

فَلِأُسْبُوعٍ كَامِلٍ اِنْقَطَعَتْ عَنْهَا أَخْبَارُ اِبْنِهَا، وَلَمْ تَقْتَنِعْ مِنْ قَبْلُ بِرِوَايَتِهِ عَنْ إِجْرَاءِ تَدْرِيبٍ فِي مُؤَسَّسَةٍ خَاصَّةٍ. شَعَرَ (رَيَّان) بِتَأْنِيبِ اَلضَّمِيرِ وَهُوَ يَسْمَعُ نَبْرَةَ أُمِّهِ اَلْحَزِينَةِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا وَهُوَ يَزِفُّ إِلَيْهَا اَلْبُشْرَى:

– أُحَدِّثُكِ مِنْ مَطَارِ (اَلدَّار اَلْبَيْضَاء)، قَرِيبًا سَأَكُونُ فِي اَلْبَيْتِ.

---

[1] السي أي إي: وكالة المخابرات الأمريكية المركزية.

لَمْ تُصَدِّقْ أُمُّهُ لِلْوَهْلَةِ اَلْأُولَى وَعِنْدَمَا أَكَّدَ كَلَامَهُ، أَطْلَقَتْ زُغْرُودَةً طَوِيلَةً جَمَعَتْ فِيهَا كُلَّ مَا تَشْعُرُ بِهِ مِنْ فَرْحَةٍ وَلَهْفَةٍ وَحُبٍّ كَبِيرٍ لِابْنِهَا. اِسْتَقَلَّ (اَلْبُرَاق)، اَلْقِطَارَ فَائِقَ اَلسُّرْعَةِ، لِيَصِل إِلَى (طَنْجَة) بَعْدَ حَوَالَيْ اَلسَّاعَتَيْنِ. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٍ حَتَّى كَانَ فِي حُضْنِ أُمِّهِ.

الفصل الثاني: الأبْطَالُ

- تَغَيَّرَتْ طِبَاعُ (رَيَّان) كَثِيرًا، أَلَمْ تُلَاحِظْ ذَلِكَ؟

سَأَلَتْ أُمُّ (رَيَّان) زَوْجَهَا وَهُمَا يَتَنَاوَلَانِ وَجْبَةَ اَلْغَدَاءِ، بَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنْ وُصُولِ اِبْنِهِمَا. حَاوَلَ اَلْأَبُ أَنْ يَلْتَمِسَ لِابْنِهِ اَلْعُذْرَ وَهُوَ يُخْبِرُ زَوْجَتَهُ بِمَدَى صُعُوبَةِ دِرَاسَتِهِ وَكَثْرَةِ اَلِالْتِزَامَاتِ اَلَّتِي تُحِيطُ بِهِ، وَالْمَجْهُودِ اَلْعَقْلِيِّ اَلَّذِي يَبْذُلُهُ اَلشَّابُّ، وَخَتَمَ حَدِيثَهُ بِنَبْرَةٍ وَاثِقَةٍ:

–(رَيَّان) يَحْتَاجُ إِلَى اَلرَّاحَةِ، هَذَا كُلُّ شَيْءٍ.

لَكِنَّ اَلْأُمَّ لَمْ تَقْتَنِعْ بِتَبْرِيرَاتِ زَوْجِهَا، فَهِيَ تَعْرِفُ اِبْنَهَا كَثِيرًا، فَهُوَ لَيْسَ مِنَ اَلنَّوْعِ اَلَّذِي يَرْكُنُ إِلَى اَلرَّاحَةِ حَتَّى وَهُوَ مُتْعَبٌ، كَانَتْ حَيَوِيَّتُهُ وَنَشَاطُهُ اَلْمُتَدَفِّقَانِ، سِمَتَيْنِ تُمَيِّزَانِهِ، زِيَادَةً عَلَى نُبُوغِهِ وَعَبْقَرِيَّتِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَهَا يَوْمًا بِلِسَانِهِ أَنَّ عَقْلَهُ لَا يَهْدَأُ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَجُولُ بِذِهْنِهِ مِئَاتُ اَلْأَفْكَارِ، وَلَا يَرْتَاحُ حَتَّى يُنَفِّذَ وَاحِدَةً مِنْهَا أَوِ اِثْنَتَيْنِ. لَكِنْ، وَمُنْذُ رُجُوعِهِ مِنَ اَلسَّفَرِ، لَاحَظَتِ اَلْأُمُّ تَغَيُّرَ طِبَاعِهِ، وَلَمَسَتْ فِي نَظَرَاتِهِ وَكَلَامِهِ اَلْقَلِيلِ، مَا يُنْبِئُ عَنْ شُعُورِهِ بِالْحُزْنِ وَالْأَسَى. حَاوَلَتْ أَنْ

تَسْتَفْسِرَهُ يَوْمًا، فَوَضَعَ نِهَايَةً سَرِيعَةً لِلْحَدِيثِ وَهُوَ يُخْبِرُهَا بِأَنَّهُ مُتْعَبٌ فَقَطْ. لَكِنَّ قَلْبَهَا يُنْبِئُهَا بِأَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا، وَمَا فَتِئَتْ تَدْعُو اَللَّهَ تَعَالَى بِأَنْ يَلْطُفَ بِابْنِهَا وَيُوَفِّقَهُ وَيَحْفَظَهُ. لَمْ يَكُنْ (رَيَّان) فِي وَضْعِهِ اَلطَّبِيعِيِّ، فَمَا عَاشَهُ لَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُهُ، وَمَا يَعْرِفُهُ يُؤَرِّقُهُ كَثِيرًا وَيُبْعِدُ اَلنَّوْمَ عَنْ عُيُونِهِ. تِلْكَ اَلْأَفْكَارُ اَلْكَثِيرَةُ اَلَّتِي كَانَتْ تَجُولُ بِذِهْنِهِ تَحَوَّلَتْ إِلَى فِكْرَةٍ وَاحِدَةٍ لَا غَيْر:

– هَلْ سَأَكْتَفِي بِمُشَاهَدَةِ جُزْءٍ غَالٍ مِنْ وَطَنِنَا اَلْعَرَبِيِّ اَلْكَبِيرِ وَهُوَ يُدَمَّرُ؟ هَلْ أَنَا مُتَوَرِّطٌ فِي هَذِهِ اَلْمَأْسَاةِ؟ وَهَلْ يُمْكِنِنِي فِعْلُ شَيْءٍ مَا؟

لَمْ يَغْمِضْ لَهُ جَفْنٌ رَغْمَ اَلسَّاعَاتِ اَلطَّوِيلَةِ اَلَّتِي قَطَعَتْهَا اَلرِّحْلَةُ. سَمِعَ صَوْتَ اَلرُّبَّانِ وَهُوَ يُعْلِنُ اَلْوُصُولَ إِلَى (دُبَي) دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ بِدَاخِلِهِ مَشَاعِرُ اَلْفَرْحَةِ وَاللَّهْفَةِ. أَنْهَى إِجْرَاءَاتِ اَلْخُرُوجِ مِنْ اَلْمَطَارِ، وَارْتَمَى فِي اَلْمَقْعَدِ اَلْخَلْفِيِّ لِلسَّيَّارَةِ اَلْفَخْمَةِ اَلَّتِي سَتُقِلُّهُ نَحْوَ اَلْبَيْتِ.

عَلَى طُولِ اَلطَّرِيقِ، أَسْنَدَ رَأْسَهُ عَلَى زُجَاجِ اَلنَّافِذَةِ، دُونَ أَنْ يَهْتَمَّ بِكُلِّ مَظَاهِرِ اَلْفَخَامَةِ وَالتَّطَوُّرِ وَالتَّقَدُّمِ اَلَّتِي تَبْدُو أَمَامَهُ. كَانَ عَقْلُهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَأَمَامَ عَيْنَيْهِ تَتَرَاءَى وُجُوهٌ وَأَطْيَافٌ، وَفِي أُذُنِهِ تَتَرَدَّدُ عِبَارَاتٌ وَكَلِمَاتٌ، وَتَتَكَرَّرُ مِرارًا لِتَزِيدَ مِنْ أَلَمِهِ:

– " اَلْقَاهِرَةُ... اَلدَّمَارُ... قُنْبُلَةٌ نَوَوِيَّةٌ ضَخْمَةٌ... سُونْغْ... فِلَادِيمِيرْ... رِيَّانْ... كِيفِنْ... اَلْبُرُوفِيسُور... " لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْفِيَ مَشَاعِرَهُ اَلسَّيِّئَةَ وَهُوَ يَلْتَقِي بِوَالِدَيْهِ، اِرْتَمَى فِي حُضْنِهِمَا لَكِنْ بِبُرُودٍ، وَالْتَمَسَا لَهُ اَلْعُذْرَ بِدَوْرِهِمَا مُعْتَقِدَيْنَ أَنَّ طُولَ اَلرِّحْلَةِ أَنْهَكَ مَشَاعِرَهُ وَأَعْصَابَهُ وَطَاقَتَهُ.

حِينَمَا اعْتَزَلَ فِي غُرْفَتِهِ، لَمْ يَسْتَطِعِ اَلتَّحَمُّل، فَذَرَفَ دَمَعَاتٍ سَاخِنَةً، قَبْلُ أَنْ يَصْرُخَ بِقُوَّةٍ مِنْ اَلْغَضَبِ وَالضِّيقِ، مُسْتَفِيدًا مِنْ جُدْرَانِ اَلْغُرْفَةِ اَلْعَازِلَةِ لِلصَّوْتِ، وَاَلَّتِي تَمَّتْ تَهْيِئَتُهَا لِتَمْنَحهُ حُرِّيَّةً وَخُصُوصِيَّةً أَكْبَرَ. اَلْبُرْكَانُ بِدَاخِلِهِ يَكَادَ يَنْفَجِرُ، وَإِحْسَاسُهُ بِالْعَجْزِ يَزِيدُ مِنْ أَلَمِهِ.

– لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَغُضَّ اَلطَّرَفَ عَمَّا سَيَقَعُ.

– لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَجَاهَلَ اَلْأَمْر.

– لَنْ أَتَحَمَّلَ تَأْنِيبَ اَلضَّمِيرِ.

– لَا أَسْتَطِيعُ اَلْعَوْدَةَ إِلَى حَيَاتِي اَلطَّبِيعِيَّةِ.

– لَسْتُ جَبَانًا وَلَمْ أَكُنْ يَوْمًا كَذَلِكَ، فَلِمَاذَا لَا أَتَشَجَّعُ؟

تَـرَدَّدَتِ اَلْفِكْـرَةُ اَلْأَخِـيرَةُ فِي ذِهْنِـهِ وَأَبَـتْ أَنْ تُغَـادِرَهُ، وَقَـرَّرَ أَنْ يَتَحَـرَّكَ. اِسْتَحْضَـرَ عَقْلُـهُ اَلـرَّقْمَ اَلْهَـاتِفِيَّ لِرَفِيقِـهِ (رَيَّان)، رَكَّـبَ اَلـرَّقْمَ وَانْتَظَرَ اَلصَّوْتَ اَلْقَادِمَ مِنَ (اَلْمَغْرِبِ).

– آلُو. مَرْحَبًا (رَيَّانْ).

– أَهْلًا (زِيَادْ)، اِنْتَظَرْتُ اِتِّصَالَكَ بِفَارِغِ اَلصَّبْرِ.

– كَيْفَ حَالُكَ؟ وَحَالُ أُسْرَتِكَ؟ وَكَيْفَ هُوَ (اَلْمَغْرِبُ)؟

– بِخَيْرٍ يَا صَدِيقِي. كُلُّنَا بِخَيْرٍ، وَأَنْتَ، كَيْفَ حَالُكَ؟

قَاطَعَـهُ (زِيَاد) فَجْـأَةً: –يَجِـبُ أَنْ نَقُـومَ بِشَـيْءٍ مَـا يَا (رَيَّانْ)، لَا يُمْكِنُ اَلتَّغَاضِي عَنِ اَلْأَمْرِ.

– هَلْ تَتَحَدَّثُ عَنِ اَلشَّرِّ اَلْخَطِيرِ؟

– نَعَم. يَجِبُ اَلتَّحَرُّكُ بِسُرْعَةٍ، هِيَ مَسْأَلَةٌ تَتَعَلَّقُ بِأَرْوَاحِ اَلنَّاسِ و...

اِنْقَطَـعَ اَلِاتِّصَـالُ فَجْـأَةً، حَـاوَلَ (زِيَاد) أَنْ يُعِيـدَ اَلْكَـرَّةَ دُونَ جَـدْوَى، وَحَـاوَلَ (رَيَّان) بِـدَوْرِهِ لَكِنَّـهُ لَمْ يَسْـتَطِعْ. فَهِـمَ اَلشَّـابَّانِ أَنَّ هَاتِفَيْهِمَا مُرَاقَبَانِ، وَأَنَّ مَنْ يُرَاقِبُونَهُمَا يَمْلِكَانِ اَلْقُدْرَةَ عَلَى اَلتَّحَكُّمِ فِي اِتِّصَالَاتِهِمَا وَإِغْلَاقِهَا مَتَى شَاؤُوا. نَفْسُ اَلشُّعُورِ اَلَّذِي اِنْتَابَهُمَا سَابِقًا

بِأَنَّهُمْ مَسْجُونِينَ وَتَحْتَ رَحْمَةِ سَجَّانِيهِمْ، يَعُودُ اَللَّحْظَةَ لِيَنْتَابَهُمَا مِنْ جَدِيدٍ. صَحِيحٌ أَنَّهُمَا غَادَرَا اَلْمَقَرَّ اَلسِّرِّيَّ اَلْمَحْرُوسَ، وَالْأَبْوَابَ اَلْمُغْلَقَةَ، لَكِنَّهُمَا مَازَالَا دَاخِلَ سِجْنٍ كَبِيرٍ، وَمَا زَالَ سَجَّانُهُمَا يَمْنَعُهُمَا مِنَ اَلتَّصَرُّفِ بِحُرِّيَّةٍ.

كَانَ اَلْمَشْهَدُ يَتَشَابَهُ سَوَاءً فِي (دُبَيَ) أَوْ فِي (طَنْجَة)، شَابَّانِ حَائِرَانِ وَغَاضِبَانِ مُنْعَزِلَانِ فِي غُرْفَةٍ، يُرِيدَانِ اَلتَّصَرُّفَ لَكِنَّهُمَا عَاجِزَانِ عَنْ ذَلِكَ، وَضَمِيرُهُمَا يُؤَنِّبُهُمَا، وَمَشَاهِدُ اَلدَّمَارِ وَالْمَوْتِ اَلَّتِي سَتَقَعُ عَمَّا قَرِيبٍ لَا تُغَادِرُ عُيُونَهُمَا. اِنْتَابَتْ (رَيَّان) فِكْرَةً، فَشَغَّلَ حَاسُوبَهُ اَلشَّخْصِيَّ وَاَلَّذِي جَهَّزَهُ بِوَسَائِلِ أَمَانٍ مُتَطَوِّرَةٍ.

وَوَلَجَ إِلَى تَطْبِيقٍ جَدِيدٍ مُخَصَّصٍ لِلِاتِّصَالَاتِ، رَكَّبَ رَقْمَ (زِيَاد)، وَكَادَ يَطِيرُ مِنْ اَلْفَرَحِ بَعْدَمَا نَجَحَتْ فِكْرَتُهُ.

– كَيْفَ اسْتَطَعْتَ اَلِاتِّصَالَ بِي؟ حَاوَلْتُ مِرَارًا دُونَ جَدْوَى. سأَلَهُ (زياد) بِلَهْفَةٍ.

– لَجَأْتُ إِلَى تَطْبِيقٍ جَدِيدٍ. لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتٌ، رُبَّمَا يَكْتَشِفُونَ مُحَادَثَتَنَا، سَنَلْجَأُ لِلْمَوَاقِعِ اَلسَّوْدَاءِ لِلتَّوَاصُلِ، يَصْعُبُ عَلَيْهِمْ تَعَقُّبُهَا.

- لَكِنَّ الوِيبَ الْأَسْوَدَ[1] غَالِبًا مَا يُسْتَعْمَلُ مِنْ طَرَفِ الْعَنَاصِرِ الْمَشْبُوهَةِ.

- تِلْكَ هِيَ طَرِيقَتُنَا الوَحِيدَةُ يَا (زِياد). حَمِّلْ شَبَكَةَ تُورْ[2]، وَنَلْتَقِي عَبْرَ بَرِيدٍ إِلِكْتِرُونِيّ، اِسْمِي اَلسِّرِّيُّ سَيَكُونُ (سُونْغْ 1)، لَكِنَّ اَلْأُمُورَ لَا تَجْرِي دَائِمًا كَمَا نَرَاهَا لَا تَنْسَ ذَلِكَ. يُمْكِنُكَ اَلتَّوَاصُلُ مَعِي. اِتَّفَقْنَا.

- نَعم، وَ...

اِنْقَطَعَ اَلِاتِّصَالُ مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَمَا تَمَّ اِكْتِشَافُهُ. لَكِنَّ (زِيَاد) لَمْ يَنْتَظِرْ، فَقَدْ أَسْرَعَ لِتَنْفِيذِ تَعْلِيمَاتِ رَفِيقِهِ، وَاسْتَطَاعَ اَلْوُلُوج لِشَبَكَةِ اَلْوِيب اَلْأَسْوَدِ، ثُمَّ اَلِاتِّصَالَ بِخِدْمَةِ اَلْبَرِيدِ اَلْإِلِكْتِرُونِيّ لِهَذِهِ اَلشَّبَكَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْسِلَ رِسَالَةَ لِلْبَرِيدِ اَلْإِلِكْتِرُونِيّ اَلْمَقْصُودِ، تَذَكَّرَ شَيْئًا، وَتَسَاءَلَ مَعَ نَفْسِهِ:

---

[1] الويب الأسود: شبكة خاصة تمكنك من الولوج إلى مواقع متعددة لا يمكن الولوج إليها عبر محركات البحث التقليدية.

[2] شبكة تور: برنامج تخفي يستخدم الاتصال المشفر على شبكة الإنترنت.

– لَقَدْ تَمَّ اِخْتِرَاقُ مُحَادَثَتِنَا اَلْأَخِيرَةِ وَبِالتَّالِي يُمْكِنُهُمْ اَلْوُلُوجُ لِلْمَوْقِعِ وَتَحْدِيدُ حِسَابِ (رَيَّان) اَلْجَدِيدَ، لَكِنْ...؟ اِسْتَحْضَرَ (زِيَاد) عِبَارَةَ (رَيَّان)، وَلَفَتَ اِنْتِبَاهَهُ حَدِيثُهُ عَنِ اَلْأُمُورِ بِأَنَّهَا تَبْدُو مُخْتَلِفَةً عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ. وَهِيَ عِبَارَةٌ سَبَقَ وَسَمِعَهَا فِي مَكَانٍ مَا. حَفَّزَ قُدُرَاتِهِ اَلْعَقْلِيَّةَ وَقُدْرَتَهُ اَلْكَبِيرَةَ عَلَى اَلتَّرْكِيزِ لِيَتَذَكَّرَ أَيْنَ سَمِعَ تِلْكَ اَلْعِبَارَةَ وَمَتَى؟ وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَهُوَ يَتَوَصَّلُ إِلَى اَلْجَوَابِ، قَبْلَ أَنْ يَصْرُخَ بِحَمَاسٍ:

– (كُوبرْفِيلْدْ)؟... نَعَم، ذَلِكَ اَلسَّاحِرُ اَلشَّهِيرِ، (كُوبرْفِيلْدْ)!!

أَرْسَلَ (زِيَادْ) رِسَالَتَهُ إِلَى اَلْعُنْوَانِ اَلْجَدِيدِ: (كُوبَرْفِيلْدْ 1)، وَكَتَبَ فِيهَا:

– مَرْحَبًا (رَيَّانُ).

خَفَقَ قَلْبُهُ بِسُرْعَةٍ وَهُوَ يَتَرَقَّبُ اَلْجَوَابَ، فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ اَلْوَسِيلَةُ اَلْوَحِيدَةُ لِرَبْطِ اَلِاتِّصَالِ بِرَفِيقِهِ، وَلَنْ يَجِدَ وَسِيلَةً أُخْرَى غَيْرَهَا. اِسْتَبَدَّتْ بِهِ اَلْوَسَاوِسُ وَالْهَوَاجِسُ بَعْدَمَا تَأَخَّرَ اَلرَّدُّ، وَكَادَ يَسْتَسْلِمُ لِلْإِحْبَاطِ وَالْغَضَبِ مِنْ جَدِيدٍ، لَوْلَا أَنْ أَضَاءَتِ اَلشَّاشَةُ مُعْلِنَةً وُصُولَ رِسَالَةٍ جَدِيدَةٍ.

– مَرْحَبًا (زِيَادْ)، سَعِيدْ بِالتَّوَاصُلِ مَعَكَ.

– مَاذَا سَنَفْعَلُ اَلْآن؟ هَلْ لَدَيْكَ فِكْرَةٌ؟

– أَفْكَارٌ كَثِيرَةٌ لَكِنَّنِي مَا زِلْتُ خَائِفًا مِنْ سُوءِ اَلْعَوَاقِبِ.

– أَعْلَمَ ذَلِكَ، أَنَا أَيْضًا خَائِفٌ عَلَى أُسْرَتِي مِنْ اِنْتِقَامِهِمْ.

– إِذَا أَخْبَرْنَا اَلْمَسْؤُولِينَ فَسَيَنْتَشِرُ اَلْخَبَرُ وَيَعْلَمُونَ بِأَنَّنَا أَفْشَيْنَا اَلسِّرَّ، وَسَيَكُونُ اِنْتِقَامُهُمْ رَهِيبًا.

– أَتَّفِقُ مَعَكَ. مَا اَلْعَمَلُ إِذَن؟

– فَرِيقٌ سِرِّيٌّ يَعْمَلُ عَلَى صَدِّ اَلْخَطَرِ.

– مَاذَا تَقْصِدُ؟

– كَمَا اسْتَعَانُوا بِنَا هُمْ مِنْ قَبْلُ، سَنَعْمَلُ نَحْنُ عَلَى إِعْدَادِ فَرِيقٍ مِنَ اَلنُّخْبَةِ، لِنُوَاجِهَ اَلْخَطَرَ اَلْقَادِمَ وَنَعْمَلَ عَلَى تَدْمِيرِ مَرْكَبَةِ اَلْمَوْتِ تِلْكَ، قَبْلَ أَنْ تَرْتَطِمَ بِالْأَرْضِ.

– كَيْفَ؟ وَمَنْ سَيُشَارِكُ؟ وَمَتَى؟ وَأَيْنَ؟...

– لَا أَمْلِكُ جَوَابًا عَلَى أَسْئِلَتِكَ اَلْآن، لَكِنْ، مَا رَأْيُكَ فِي اَلْفِكْرَةِ؟

– جَيِّدَةٌ. رغْمَ أَنَّها تَبْدُو مُسْتَحِيلَةً.

– لَا وُجُـود لِلْمُسْـتَحِيلِ يَا (زِيَاد)، سَـنَبْقَى عَلَـى اِتِّصَـالِ مَـا لَمْ يَلْجَؤُوا لِتَدْمِيرِ اَلْوَيب اَلْأَسْوَدِ بِأَكْمَلِهِ.

– هُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ لَنْ يَتَوَرَّطُوا فِي خَلْقِ مُشْكِلَةِ اِتِّصَالٍ عَالَمِيَّةٍ فَهُم يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ أَيْضًا.

– بِالطَّبْعِ. لَنَا مَوْعِدٌ قَرِيبٌ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ.

– إِنْ شَاءَ اَللَّهُ.

اِتَّفَقَ اَلصَّدِيقَانِ عَلَى أَنَّ اَلْفِكْرَةَ جَيِّدَةٌ، طَمُوحَةً، شَبِيهَةً نَوْعًا مَا بِمَا عَاشَاهُ مِنْ قَبْل، لَكِنَّ طَرِيقَةَ تَنْفِيذِهَا شَكَّلَتْ تَحَدِّيًا بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا وَلِذَكَائِهِمَا.

اعْتَادَ (ريان) أَنْ يُغَادِرَ البَيْتَ صَبَاحًا ويَلُوذَ بِرُكْنٍ فِي مَقْهَى "الحَافَّة"[1] الْمَعْرُوفِ فِي (طَنْجَة)، يَتَأَمَّلُ اَلْبَحْر اَلْأَبْيَضَ اَلْمُتَوَسِّطَ، وَيَرْنُو بِبَصَرِهِ نَحْوَ اَلْأُفُقِ حَيْثُ تَظْهَرُ اَلْأَرَاضِي اَلْإِسْبَانِيَّةُ، وَيَنْغَمِسُ فِي لَحْظَةِ تَفْكِيرٍ شَدِيدَةٍ.

---

[1] مقهى الحافة: مقهى شهير يقع فوق منحدر مشرف على خليج طنجة، أفتتح سنة 1921، واحتفظ بهويته وشكله.

أَمَّا (زِيَاد)، فَبِدَوْرِهِ كَانَ يُغَادِرُ اَلْبَيْتَ صَبَاحًا، وَيَتَوَجَّهُ إِلَى فُنْدُقٍ مَعْرُوفٍ فِي اَلْمَدِينَةِ، وَفِي اَلطَّابَقِ اَلثَّلَاثِينَ، ووسَطَ شُرْفَةٍ تُطِلُّ عَلَى شَارِعٍ وَاسِعٍ، كَانَ يَجْلِسُ لِيَرْتَشِفَ فِنْجَانَ قَهْوَةٍ، ثُمَّ يُشَغِّلَ حَاسُوبَهُ، وَيُحَاوِلَ اَلْبَحْثَ عَنِ اَلْمَوْهُوبِينَ وَالْعَبَاقِرَةِ وَالنَّوَابِغِ فِي مجَالِ اَلْعُلُومِ وَالتِّكْنُولُوجْيَا وَالِاخْتِرَاعَاتِ، وَغَالِبًا مَا كَانَ يُصَابُ بِالْإِحْبَاطِ حِينَ يَجِدُ أَنَّ مُعْظَمَهُمْ أَجَانِبُ، وَلَا يَجِدُ أَثَرًا لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَحَتَّى إِنَّ وَجَدَ بَعْضهُمْ، فَالْمَعْلُومَاتُ شحِيحَةٌ جِدًّا، وَلَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ اَلتَّوَاصُلِ مَعَهُمْ.

اِقْتَرَحَ عَلَيْهِ (رَيَّان) أَنْ يَبْحَثَ فِي مَوَاقِعِ اَلْمَعَاهِدِ اَلْمَرْمُوقَةِ فِي اَلْعَالَمِ، فَهُنَاكَ سَيَجِدَانِ ضَالَّتَهُمَا، لَكِنَّ اَلْوُصُولَ إِلَى مُعْطَيَاتٍ سِرِّيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالطَّلَبَةِ دَاخِلَ تِلْكَ اَلْمَعَاهِدِ كَانَ مُسْتَحِيلًا، وَقَدْ عَبَّرَ (زِيَاد) فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ وَبِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ عَنْ حَاجَتِهِمَا إِلَى "هَاكْرْز[1]" لِيَتَمَكَّن مِنَ اَلتَّوَغُّلِ إِلَى كُلِّ اَلْأَمَاكِنِ اَلْمُغْلَقَةِ عَبْرَ اَلشَّبَكَةِ اَلْعَنْكَبُوتِيَّةِ. أَخَذَ اَلصَّدِيقَانِ ذَلِكَ اَلرَّأْيِ عَلَى سَبِيلِ الْمُزَاحِ، لَكِنْ وَبَعْدَ مُرُورِ يَوْمَيْنِ.

---

[1] هاكرز: أو القرصان أو المخترق، وهو شخص خبير في البرمجة مما يمكنه من تجاوز الأنظمة الأمنية للمواقع والحسابات الإلكترونية وغيرها...

وَبَيْنَمَا كَانَ (زِيَاد) جَالِسًا فِي مَكَانِهِ اَلْمُعْتَادِ، إِذْ بِفِكْرَة اَلْهَاكَرْز تُسَيْطِرُ عَلَيْهِ، وَتَأْبَى أَنْ تُغَادِرَ ذِهْنَهُ. لِذَا اتَّصَلَ بِأَحَدِ أَصْدِقَائِهِ اَلْقُدَامَى وَاَلَّذِي يَنْشُطُ فِي مَجَالِ بَرْمَجِيَّاتِ اَلْحَاسُوبِ، وَيَعْمَلُ فِي شَرِكَةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَأَخْبَرَهُ بِحَاجَتِهِ لِهَاكرز نَظَرًا لِتَعَرُّضِ حَاسُوبِهِ لِاخْتِرَاقٍ مَا، وَفُقْدَانِهِ لِلْكَثِيرِ مِنْ مِلَفَّاتِهِ اَلشَّخْصِيَّةِ، عَرَضَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ هُوَ بَدَلًا مِنْ اَللُّجُوءِ لِشَخْصٍ آخَرَ، وَخَاصَّةً أَنَّ أُولَئِكَ اَلْهَاكَرْز لَا يُؤْتَمَنُ جَانِبُهُمْ، لَكِنَّ (زِيَادْ) بَرَّرَ اِخْتِيَارُهُ ذَاكَ، بِكَوْنِهِ تَعَرَّضَ لِتَهْدِيدٍ مِنْ أَحَدِهِمْ وَاَلَّذِي يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ عُضْوًا فِي مَجْمُوعَةِ (الانُومِينُوس)[1]، وَبِالتَّالِي فَوَاحِدٌ مِثْلُهُمْ هُوَ اَلْكَفِيلُ بِمُسَاعَدَتِهِ.

سَلَّمَهُ صَدِيقُهُ أَخِيرًا هَاتِف (فَوَّاز)، وَهُوَ شَابٌّ أُرْدُنِيٌّ مَوْهُوبٌ، وَخَارِقُ اَلذَّكَاءِ، وَخَبِيرٌ فِي مَجَالِ اَلْأَمْنِ اَلْمَعْلُومَاتِيّ، وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ "هَاكَرْز" لَكِنْ فِي اَلْجَانِبِ اَلْحَسَنِ وَالْمُفِيدِ. لَمْ يَنْتَظِرْ (زِيَادْ) أَكْثَرَ، اِتَّصَلَ ب (فَوَّاز) فِي اَلْحِينِ، رَنَّ اَلْهَاتِفُ طَوِيلًا وَلَا مِنْ مُجِيبٍ، اِعْتَقَدَ (زِيَاد) أَنَّ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ فِي اَلْبِطَاقَةِ اَلْجَدِيدَةِ اَلَّتِي اِقْتَنَاهَا مُؤَخَّرًا

---

[1] الانومينوس: مجموعة تعملُ في مَجال النِّضَال عبْر الاِختِراقِ البَرْمَجي (القرْصنة الالكترونية). ولقد وُجدت عام 2003م.

لِيَتَجَنَّبَ اَلْمُرَاقَبَةَ وَالتَّنَصُّتَ، وَهِيَ مِنَ اَلْبِطَاقَاتِ اَلَّتِي تُرْمَى فَوْرَ اِسْتِعْمَالِهَا لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. أَعَادَ الْكَرَّةَ دُونَ جَدْوَى. وَبَعْدَ لَحْظَةٍ رَنَّ هَاتِفُهُ، كَانَ اَلرَّقْمُ غَرِيبًا وَمُخْتَلِفًا عَنْ اَلْأَرْقَامِ اَلَّتِي يَعْرِفُهَا، اِسْتَقْبَلَ اَلْمُكَالَمَةَ بِتَرَقُّبٍ، اِنْتَظَرَ سَمَاعَ صَوْتِ اَلْمُتَحَدِّثِ، لَكِنَّهُ اِصْطَدَمَ بِصَمْتٍ مُطْبِقٍ، فَقَرَّرَ أَنْ يُبَادِرَ هُوَ بِالْكَلَامِ:

– أَلُو... اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

– وَعَلَيْكُمْ اَلسَّلَامُ. صَوْتٌ هَادِئٌ وَعَمِيقٌ

– مَنْ مَعِي لَوْ سَمَحْتَ؟

– أَعْتَقِدُ أَنَّنِي أَنَا مَنْ يَجِبُ أَنْ يَسْأَلَ، فَقَدِ اِتَّصَلَتْ بِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِلتَّوِّ.

– فَوَّازْ؟

– نَعَم. وَمَنْ تَكُون؟

– لِمَاذَا لَمْ تَرُدْ؟

– هَذَا رَقْمٌ آمِنٌ أَسْتَعْمِلُهُ لِتَجَنُّبِ اَلتَّنَصُّتِ، تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ اَلْمُكَالَمَاتِ يَتِمُّ اَلتَّنَصُّتُ عَلَيْهَا، وَخَاصَّةً بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ مِثْلِي.

– هَلْ أَنْتَ مُطَارَدٌ؟

– نَعَم، لَكِنْ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ. لَمْ تُخْبِرْنِي عَمَّنْ تَكَوَّنَ.

اِخْتَارَ (زِيَاد) كَلِمَاتِهِ بِعِنَايَةٍ، وَبَيَّنَ لِلشَّابِّ مَدَى خُطُورَةِ اَلْأَمْرِ وَبِكَوْنِهِ يَتَعَلَّقُ بِتَهْدِيدٍ وَشِيكٍ يَمُسُّ اَلْمِنْطَقَةَ، وَبِأَنَّ اَلْعَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ تُرِكُوا لِحَالِهِمْ فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا اَلْخَطَرِ، مِمَّا يَسْتَدْعِي تَكْوِينَ فَرِيقٍ قَوِيٍّ وَمُمَيَّزٍ لِمُوَاجَهَةِ اَلتَّهْدِيدِ اَلْمُحْدِقِ بِهِمْ، فَفِي اَلِاتِّحَادِ قُوَّةٌ، وَمُوَاجَهَةُ اَلتَّحَدِّيَاتِ ضَرُورَةٌ لَا مَحِيدَ عَنْهَا.

كَانَ (فَوَّازْ) يَسْتَمِعُ بِإِمْعَانٍ لِحَدِيثٍ (زِيَادْ)، وَلَمْ يَنْبِسْ بِكَلِمَةٍ أَوْ تَعْلِيقٍ. أَمَّا (زِيَاد) فَقَدْ شَعَرَ بِأَنْفَاسِهِ تَتَصَاعَد مِنْ شِدَّةِ حَمَاسَتِهِ وَلَهْفَتِهِ وَرَغْبَتِهِ فِي إِيصَالِ اَلْفِكْرَةِ لِ (فَوَّازْ)، وَإِقْنَاعِهِ بِالِانْضِمَامِ لِمَشْرُوعِهِمْ اَلْجَدِيدِ. لَمْ يُعَقِّبْ (فَوَّاز)، فَانْتَابَتْ (زِيَاد) بَعْضُ اَلْمَخَاوِفِ مِنْ أَنْ يَكُونَ اَلشَّابُّ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِكَلَامِهِ وَلَا مُسْتَعِدًّا لِلِانْخِرَاطِ فِي هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ. لَكِنَّ (فَوَّاز) تَحَدَّثَ أَخِيرًا بِنَفْسِ اَلنَّبْرَةِ اَلْهَادِئَةِ:

– مَا اَلْمَطْلُوبُ مِنِّيَ بِالضَّبْطِ؟

تَهَلَّلَتْ أَسَارِير (زِيَاد) وَكَادَ يَصْرُخُ مِنْ اَلْفَرَحِ، لَكِنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسَهُ وَهُوَ يُجِيبُ (فَوَّاز) بِاهْتِمَامٍ:

– نَحْتَاجُ لِلتَّوَاصُلِ مَعَ خُبَرَاءَ فِي عُلُومِ اَلْفَضَاءِ، وَخُبَرَاءَ فِي اَلْبَرْمَجَةِ، وَمُخْتَرِعِينَ مَهَرَةً، وَيُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونُوا عَرَبًا وَمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ اَلْقَضِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِجُزْءٍ مِنْ أُمَّتِهِمْ و ...

– وَمَاذَا عَنِ اَلْآخَرِينَ؟ هُنَاكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اَلْإِنْسَانَ وَاحِدٌ بِغَضِّ اَلنَّظَرِ عَنْ جِنْسِيَّتِهِ وَمُعْتَقَدِهِ وَأُصُولِهِ. قَاطَعَهُ (فَوَّاز)

– بِالطَّبْعِ، أَتَّفِقُ مَعَكَ، لَكِنَّ تَجْرِبَتَنَا مَعَ بَعْضِهِمْ جَعَلَتْنَا مُتَخَوِّفِينَ مِنْ رَدَّةِ فِعْلِهِمْ.

– سَأَتَوَاصَلُ مَعَ اَلْجَمِيعِ، أُولَئِكَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَقِّ اَلْإِنْسَانِ فِي اَلْحَيَاةِ سَيَنْخَرِطُونَ طَوَاعِيَةً، أَمَّا اَلَّذِينَ يَتَّصِفُونَ بِالتَّعَصُّبِ وَالتَّمْيِيزِ فَلَا مَكَانَ لَهُمْ بَيْنَنَا.

– أَحْسَنَتْ اَلْقَوْلَ يَا (فَوَّاز)، نَنْتَظِرُ نَتَائِجَ عَمَلِكَ.

– إِنْ شَاءَ اَللَّهُ.

لَمْ تَكُنْ تَحَرُّكَاتُ (رَيَّان) و(زِيَاد) لِتَغِيبَ عَمَّنْ يُرَاقِبُونَهُمَا. فَقَدْ تَوَصَّلَ اَلشَّابَّانِ وَفِي نَفْسِ اَلْوَقْتِ تَقْرِيبًا بِرَسَائِلَ صَوْتِيَّةٍ عَلَى هَاتِفَيْهِمَا تَحْمِلُ تَهْدِيدَاتٍ مُبَاشِرَةً بِالتَّصْفِيَةِ اَلْجَسَدِيَّةِ فِي حَالَةِ تَجَاوُزِ اَلْحُدُودِ، وَقَدْ تَفَاجَآ بِكَمِّ اَلْمَعْلُومَاتِ اَلَّتِي يَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا أُولَئِكَ اَلنَّاسِ، وَخَاصَّةً عَنْ

حَـدِيثِهِمَا اَلْمُتَوَاصِـلِ وَالسِّـرِّيِّ عَـبْرَ اَلْوَيِـب اَلْأَسْـوَدِ، وَاتِّصَـالَاتِهِمَا اَلْهَاتِفِيَّةِ، وَسَعْي (زِيَاد) لِلتَّوَاصُلِ مَعَ هَاكَرْز مَعْرُوفٍ.

لَكِـنْ، وَفِي تَفَاصِـيلِ تِلْـكَ اَلرَّسَـائِلِ، اِكْتَشَـفَ اَلشَّـابَّانِ أَنَّ مَـنْ يُرَاقِبُونَهُمَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ فِي نَفْسِ اَلْوَقْتِ. فَهُمْ يَعْرِفُونَ جُوُّهُمَا لِلشَّـبَكَةِ اَلْعَنْكَبُوتِيَّـةِ اَلْخَطِـيرَةِ، وَيَعْلَمَـانِ بِاتِّصَـالٍ (زِيَادْ) مَـعَ (فَـوَّاز)، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَضْمُونَ اَلْمُحَادَثَاتِ، وَذَلِكَ مَا يُشْعِرُهُمْ بِالْغَضَبِ، وَيُثِيرُ غَيْضَهُمْ. وَكَانَتْ رِسَالَتُهُمْ اَلتَّهْدِيدِيَّةُ حِيلَةً سَخِيفَةً مِنْ طَرَفِهِمْ، لِيُـؤَثِّرُوا عَلَـى اَلشَّـابَّيْنِ وِيـدَفِعَاهُمَا لِكَشْـفِ أَسْـرَارِهِمَا، لَكِـنَّ اَلْحِيلَـةَ لَمْ تَنْطَـلِ عَلَـى (رَيَّانْ) و(زِيَادْ)، وَاَللَّـذَيْنِ أُسْـعَفَهُمَا ذَكَاؤُهُمَـا فِي كَشْـفِ اَلْخُطَّـةِ، وَإِنْ حَمَـلا اَلتَّهْدِيـدَ عَلَـى مَحْمَـلِ اَلْجِـدِّ، فَقَـرَّرَا اَلْقِيَـامَ بِخُطْـوَةٍ جَدِيدَةٍ، يَهْدِفَانِ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى إِبْعَادِ اَلْخَطَرِ عَنْ أُسْرَتَيْهِمَا وَالْمُقَرَّبِينَ مِنْهُمَـا، وَكَتَـبَ (زِيَاد) خِـلَالَ آخِـرِ اِتِّصَـالٍ عَـبْرَ اَلْبَرِيـدِ اَلْإِلِكْـتِرُونِيِّ لِصَدِيقِهِ (رَيَّانْ):

– كُلَّمَا كُنَّا مَعَ أُسْرَتَيْنَا فَاَلْخَطَرَ يُهَدِّدُهُمْ هُمْ أَيْضًا، لِذَا سَنَبْتَعِدُ وَنَجْتَمِعُ فِي نَفْسِ اَلْوَقْتِ.

لَمْ يَفْهَمْ (رَيَّان) قَصْدَ (زِيَاد) وَحَدِيثَهُ عَنِ اَلِابْتِعَادِ وَالِاجْتِمَاعِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لَكِنَّهُ أَخْبَرَهُ فِيمَا بَعْدُ بِالتَّفَاصِيلِ، وَاَلَّتِي كَانَتْ مُفَاجِئَةً بِحَقٍّ. فَقَدْ تَمَكَّنَ (زِيَاد) مِنْ اَلْعُثُورِ عَلَى مَخْبَأٍ جَيِّدٍ، وَقَدْ سَاعَدَهُ أَحَدُ أَقَارِبِهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ. قَبْوٌ وَاسِعٌ وَمُجَهَّزٌ بِأَحْدَثِ اَلْوَسَائِلِ اَلتِّكْنُولُوجِيَّةِ، وَالْأَجْهِزَةِ الْمُتَطَوِّرَةِ.

وَاَلَّتِي تَكَلَّفَتْ جِهَاتٌ مُخْتَصَّةٌ بِاقْتِنَائِهَا وَوَضْعِهَا دَاخِلَ اَلْقَبْوِ. وَرَغْمَ أَنَّ (رَيَّان) عَبَّرَ عَنْ شُكُوكِهِ فِي أَنْ يَصْلُحَ قَبْوٌ مَا لِعَمَلٍ فِي غَايَةِ اَلتِّقْنِيَّةِ وَالتِّكْنُولُوجْيَا اَلْعَالِيَةِ، إلاَّ أنَّ (زِيَاد) فاجَأَهُ مِنْ جَدِيدٍ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ اَلْقَبْوَ هُوَ مُصْطَلَحٌ بَسِيطٌ لِوَصْفِ اَلْمَكَانِ، مَادَامَ يَقَعُ تَحْتَ اَلْأَرْضِ، بَيْنَمَا يَنْتَصِبُ وَاحِدٌ مِنْ أَفْخَمَ اَلْفَنَادِقَ فِي اَلْعَالَمِ فَوْقَهُ، وهو "بُرْجُ العَربِ[1]"، ورَدَّدَ بِثِقَةٍ وحَماسٍ:

– لَنْ يَتَصَوَّرَ أَحَدٌ أَنَّ فَرِيقًا مِنْ اَلْعَبَاقِرَةِ اَلْمَجَانِين يَعْمَلُ تَحْتَ بُرْجِ فُنْدُقٍ فَخْمٍ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ.

---

[1] برج العرب: واحد من أرقى وأفخم الفنادق في العالم، يقع في دبي، ويتميز بخصائصه الفريدة من حيث البناء والعلو والخدمات التي يقدمها

فَهِمَ (رَيَّان) بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ عَلَاقَاتِ (زِيَاد) وَمَعَارِفَهُ اَلْكَثِيرِينَ وَمَنْصِبَ أَبِيهِ اَلْمُهِمّ فِي اَلدَّوْلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مَكَّنَهُ مِنْ اَلْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ اَلْفُرْصَةِ اَلَّتِي لَا تُصَدَّقُ. اِتَّفَقَ اَلصَّدِيقَانِ إِذْن عَلَى اَلِالْتِقَاءِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَقَرَّرَ (رَيَّان) أَنْ يُسَافِرَ إِلَى (دُبَي)، وَحِينُ أَخْبَرَ أُمَّهُ بِنِيَّتِهِ اَلسَّفَرَ دُونَ أَنْ يُبَيّنَ لَهَا وِجْهَتَهُ اَلْحَقِيقِيَّةَ، طَلَبَتْ مِنْهُ اَلتَّرَيُّثَ قَلِيلًا وَالِاسْتِفَادَةَ مِنْ قَدْرٍ أَكْبَرَ مِنْ اَلرَّاحَةِ، لَكِنَّهُ تَعَلَّلَ بِضَرُورَةِ اَلدِّرَاسَةِ لِأَنَّ سَنَتَهُ اَلْأَخِيرَةَ مَصِيرِيَّةٌ جِدًّا، فَأَمْطَرَتْهُ بِدَعَوَاتِهَا اَلصَّادِقَةِ. وَوَدَّعَتْهُ بِعَيْنِ دَامِعَةٍ، وَارْتَمَى هُوَ فِي حُضَنِهَا لِيُخْفِيَ دُمُوعَهُ اَلَّتِي تَرَقْرَقَتْ بِغَزَارَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ.

– وَاوْو!!...

كَانَتْ صَرْخَةً عَفْوِيَّةً أَطْلَقَهَا (رَيَّانْ) وَهُوَ يَسْتَقِلُّ سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى اَلْعُنْوَانِ اَلَّذِي سَلَّمَهُ (زِيَاد). عِبَارَةُ إِعْجَابٍ وَذُهُولٍ ودَهْشَةٍ مِمَّا يُشَاهِدُهُ بِأُمِّ عَيْنَيْهِ.

كَانَ يَعْلَمُ جَيِّدًا مَدَى اَلتَّطَوُّرِ اَلَّذِي بَلَغَتْهُ (دُبَيْ)، لَكِنْ مَا تَرَاهُ بِعَيْنَيْكَ يَفُوق بِدَرَجَاتٍ مَا يُمْكِنُكَ أَنْ تُشَاهِدَهُ عَلَى اَلشَّاشَاتِ. حَاوَلَ أَنْ يَسْتَفْسِرَ سَائِقَ اَلتَّاكْسِي عَنْ بَعْضِ اَلْمَعَالِمِ وَالْبِنَايَاتِ اَلْفَخْمَةِ ذَاتِ اَلطَّابَعِ اَلْمِعْمَارِيِّ اَلْفَرِيدِ مِنْ نَوْعِهِ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ تَعْلِيمَاتِ (زِيَاد) وَوَصَايَاهُ وَأَوَامِرَهُ اَلصَّارِمَةَ:

- فَوْرَ وُصُولِكَ لَا تُحَدِّثْ أَحَدًا مَهْمَا كَانَ. اِسْتَقِلْ سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ وَسَلِّمِ اَلسَّائِقَ وَرَقَةً بِهَا اَلْعُنْوَانُ اَلْمَطْلُوبُ، وَحَذَارِي أَنْ تُبَادِلَهُ اَلْحَدِيثَ، فَقَدْ يَكُونُ عَمِيلًا سِرِّيًّا. عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ فِي غَايَةِ اَلِاحْتِيَاطِ.

جَلَسَ (ريان) فِي اَلْمَقْعَدِ اَلْخَلْفِيِّ للسَّيَّارَةِ، أَمَامَهُ شَاشَةٌ صَغِيرَةٌ تَعْرِضُ بَرَامِجَ قَنَاةٍ إِخْبَارِيَّةٍ مَشْهُورَةٍ، لَمْ يَهْتَمَّ لِمَا يَدُورُ عَلَى اَلشَّاشَةِ بِقَدْرِ اِهْتِمَامِهِ وَانْشِغَالِهِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ نَافِذَةِ اَلسَّيَّارَةِ، وَاَلَّذِي مَازَالَ يُبْهِرُهُ

وَيُثِيرُ إِعْجَابَهُ. فِي لَحْظَةٍ، لَفَتَ اِنْتِبَاهَهُ شَرِيطٌ أَحْمَرٌ عَلَى شَاشَةِ اَلتِّلْفَازِ، وَمَيَّزَ كَلِمَةَ "عَاجِلٍ".

كَانَ خَبَرًا عَنْ وُجُودِ خِلَافَاتٍ بَيْنَ اَلْحُكُومَةِ اَلصِّينِيَّةِ وَالْحُكُومَةِ اَلْأَمْرِيكِيَّةِ بِسَبَبِ اِخْتِفَاءِ طَالِبٍ صِينِيٍّ. قَرَأَ (رَيَّان) اَلْخَبَرَ دُونَ أَيِّ اِهْتِمَامٍ أَوْ تَحْلِيلٍ مُسْبَقٍ، وَعَادَ لِيَنْشَغِلَ بِالْمَنَاظِرِ اَلرَّائِعَةِ. فِي شَارِعٍ (اَلشَّيْخْ زَايِد) تَوَقَّفَتْ سَيَّارَةُ اَلْأُجْرَةِ. وَالْتَفَتَ اَلسَّائِقُ لِيُبَادِرَهُ بِكُلّ أَدَبٍ:

– لَقَدْ وَصَلْتَ يَا سَيِّدِي.

لَمْ يَكُنْ (رَيَّان) يَعْرِفُ وِجْهَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، أَخْبَرَهُ (زِيَاد) بِأَنَّهُ سَيَتَّصِلُ بِهِ لِيُعْلِمَهُ بِالْمَكَانِ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ تَأَخَّرَ قَلِيلًا. اِنْتَابَهُ قَلَقٌ مُفَاجِئٌ، وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ وَحِيدًا وَغَرِيبًا فِي مَدِينَةٍ عِمْلَاقَةٍ، فَكَّرَ أَنْ يَقُومَ بِخُطْوَةٍ مَا، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ كَلِمَاتِ (زِيَادْ) اَلصَّارِمَةَ:

– لَا تَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِكَ، وَانْتَظِر اِتِّصَالِي.

تَوَقَّفَ شَخْصٌ بِالْقُرْبِ مِنْهُ، وَأَخْرَجَ هَاتِفَهُ لِيُجْرِيَ اِتِّصَالًا مَا، تَحَدَّثَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ:

– آلُو... مَرْحَبًا (رَيَّانْ) أَنَا مِنْ طَرَفِ (زِيَاد) وَيَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَى (مُول الإمارات)، وَهُوَ اَلْمُقَابِلُ لَكَ .

تَحَرَّكَ اَلرَّجُلُ وَلَمْ تَعُدْ كَلِمَاتُهُ مَسْمُوعَةً، لَكِنَّ (رَيَّان) فَهِمَ اَلْمَقْصُود، وَزَادَ اِسْتِغْرَابُهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ (زِيَاد) اَلشَّبِيهَةِ بِأَفْلَامِ اَلْجَاسُوسِيَّةِ. دَخَلَ إِلَى اَلْمَكَانِ، اِنْبَهَرَ بِضَخَامَتِهِ وَبِالْحَرَكَةِ اَلدَّؤُوبَةِ دَاخِلَهُ، وَتَفَاجَأَ بِأَحَدِهِمْ يَهْمِسُ فِي أُذُنِهِ:

– مَطْعَمُ (ترَابِيس).[1]

فَتَّشَ عَنِ اَلْوِجْهَةِ اَلْجَدِيدَةِ، وَعِنْدَمَا وَلَجَ اَلْمَطْعَم، أَشَارَ إِلَيْهِ نَادِلٌ بِالْجُلُوسِ فِي مَقْعَدٍ مُعَيَّنٍ بِحَرَكَةٍ عَادِيَّةٍ مِنْ يَدِهِ، وَبِابْتِسَامَةٍ تَحْمِلُ اَلْكَثِيرَ مِنْ اَللُّطْفِ وَالْأَدَبِ. اِسْتَجَابَ (رَيَّان) لِطَلَبِهِ، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ اَلنَّادِلُ نَفْسُهُ قَائِمَةَ اَلطَّعَامِ. كَلِمَاتٌ بِعَيْنِهَا كُتِبَتْ بِخَطٍّ مُغَايِرٍ، شَكَّلَتْ عِبَارَةً وَاضِحَةً: –" تَوَجَّهَ إِلَى مِرْحَاضِ اَلْمَطْعَمِ ". بَدَأَ اَلْأَمْرُ يُشْعِرُهُ بِالْغَضَبِ، وَتَسَاءَلَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ:

– لِمَاذَا كُلُّ هَذِهِ اَلْإِجْرَاءَاتِ؟

---

[1] مطعم نرابيس: مطعم مختص في الأكلات الإفريقية، يتواجد داخل مول الإمارات بدبي.

عَلَى مَضَضٍ تَوَجَّهَ نَحْوَ اَلْمِرْحَاضِ، حَيْثُ كَانَت اَلْمَقْصُورَاتُ اَلْأَرْبَعُ مُغْلَقَةً بَيْنَمَا فُتِحَ بَابُ وَاحِدَةٍ. دَخَلَ (رَيَّانْ) وَأَغْلَقَ اَلْبَابَ وَرَاءَهُ، رَنَّ هَاتِفٌ بِصَوْتٍ خَافِتٍ يَسْمَعُهُ بِالْكَادِ مَنْ كَانَ مُتَوَاجِدًا فِي اَلدَّاخِلِ، وَجَدَ (رَيَّان) اَلْهَاتِفَ دَاخِلَ غِطَاءِ اَلْمِرْحَاضِ وَمَعَهُ كِيسٌ مُتَوَسِّطُ اَلْحَجْمِ. اِسْتَقْبَلَ اَلْمُكَالَمَةَ وَقَدْ تَفَاقَمَ شُعُورُهُ بِالتَّوَتُّرِ: –اِرْتَدِ اَلْمَلَابِسَ اَلْمَوْجُودَةَ فِي اَلْكِيسِ بِسُرْعَةٍ، وَغَادِرْ مِنْ اَلْبَابِ اَلْخَلْفِيِّ لِلْمَطْعَمِ.

مَيَّزَ صَوْتَ (زِيَاد)، وَاَلَّذِي لَمْ يَمْنَحْهُ أَيَّةَ فُرْصَةٍ لِلِاسْتِفْسَارِ، بَلْ قَطَعَ اَلْخَطَّ بِسُرْعَةٍ. نَبَضَاتُ قَلْبِ (رَيَّانْ) تَتَسَارَعُ، فَكَأَنَّهُ فِي خِضَمِّ فِيلْمٍ هُولْيُودِيٍّ لِلْإِثَارَةِ وَالتَّشْوِيقِ. اِرْتَدَى اَلْمَلَابِسَ اَلَّتِي كَانَتْ عَلَى مَقَاسِهِ، وَاعْتَمَرَ قُبَّعَةً رَغْمَ كُرْهِهِ لِلْقُبَّعَاتِ. عِنْدَ مُغَادَرَتِهِ لِلْحَمَّامِ تَفَاجَأَ بِمُغَادَرَةِ شَابٍّ يَرْتَدِي نَفْسَ مَلَابِسِهِ اَلسَّابِقَةِ، وَيَبْدُو أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ اَلْقَامَةِ وَالشَّكْلِ، وَاَلَّذِي تَوَجَّهَ رَأْسًا نَحْوَ اَلْمَكَانِ اَلَّذِي كَانَ يَشْغَلُهُ سَلَفًا.

فَهِمَ (رَيَّانُ) لَحَظَتْهَا خُطَّةَ (زِيَاد)، لِيُكْمِلَ تَنْفِيذَ خُطُوَاتِهَا وَهُوَ يُغَادِرُ مِنْ اَلْبَابِ اَلْخَلْفِيِّ، حَيْثُ وَجَدَ سَيَّارَةً رِيَاضِيَّةً صَغِيرَةً، أَقَلَّتْهُ

أَخِيرًا نَحْوَ اَلْمَكَانِ اَلْمَقْصُودِ، وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٍ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَام (زِيَّاد) فِي اَلْقَبْوِ اَلْمَعْلُومِ.

– حَمَدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ. رَدَّدَ (زِيَاد) بِابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ.

- تَحَوَّلْتُ بِفَضْلِكَ إِلَى "جِيمْس بُونْدْ"[1] جَدِيدٍ. لِمَاذَا كُلُّ هَذِهِ الإِجْرَاءَاتِ يَا (زِيَاد)، هَلِ الْأَمْرُ يَسْتَحِقُّ؟

- أَلَمْ تَعْلَمْ بِمَا جَرَى؟

- مَاذَا تَقْصِدُ؟

أَخْبَرَهُ (زِيَادْ) بِقَضِيَّةِ اِخْتِفَاءِ (سُونْغْ)، وَاَلَّتِي أَصْبَحَتْ مَوْضُوعَ اَلسَّاعَةِ، وَمَا نَتَجَ عَنْهَا مِنْ خِلَافَاتٍ بَيْنَ اَلْحُكُومَتَيْنِ اَلصِّينِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ، وَهُنَا اسْتَحْضَرَ (رَيَّانْ) اَلصُّورَةَ اَلَّتِي رَآهَا سَابِقًا فِي سَيَّارَةِ اَلْأُجْرَةِ، وَشَرِيطَ اَلْأَخْبَارِ اَلْعَاجِلَةِ.

– هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ. أَضَافَ (زِيَاد) بِنَبْرَةٍ قَلِقَةٍ وَهُوَ يَعْرِضُ أَمَام (رَيَّان) لَوْحَةً رَقْمِيَّةً ظَهَرَ (كِيفِنْ) عَلَى شَاشَتِهَا فِي فِيدْيُو مُسَجَّلٍ، بَدَا شَاحِبًا وَعَلَامَاتُ اَلْهَلَعِ مُرْتَسِمَةٌ عَلَى مُحَيَّاهُ، كَانَ كَلَامُهُ مُتَقَطِّعًا بِسَبَبَ

---

[1] جيمس بوند: شخصية خيالية لجاسوس بريطاني أبدعها المؤلف إيان فليمنغ، وتم إنتاج أفلام سينمائية عنها.

خَلَلٍ تِقْنِيّ مَا فِي آلَاتِ اَلتَّصْوِيرِ أَوْ بِسَبَبِ وُجُودِ تَشْوِيشٍ مُتَعَمَّدٍ مِنْ طَرَفِ جِهَةٍ مَا، لَكِنَّهُ اِسْتَطَاعَ فِي نِهَايَةِ اَلْفِيدْيُو أَنْ يُوصِلَ رِسَالَتَهُ:

– أُهْرُبَا... اِخْتَبِئَا... هُنَاكَ أَوَامِرُ بِتَصْفِيَتِنَا جَمِيعًا... (فلَادِيمِيرْ) فِي خَطَرٍ... أَنَا أَيْضًا... وَأَنْتُمَا مُهَدَّدَانِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى... و... اِتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ بِشَكْلٍ مُخِيفٍ فَكَأَنَّهُ رَأَى شَبَحًا أَمَامَهُ، وَانْقَطَعَ اَلْبَثُّ فِي اَللَّحْظَةِ نَفْسِهَا. لَا مَجَال لِلشَّكِّ وَلَا لِلرِّيبَةِ إِذَن، لَقَدْ قَرَّرَ أُولَئِكَ اَلْمُجْرِمُونَ تَصْفِيَةَ اَلشُّهُودِ اَلَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِجَرِيمَتِهِمْ اَلشَّنْعَاءِ، وَلَنْ يَتَوَرَّعُوا عَنْ قَتْلِ اَلْجَمِيعِ.

– لِمَاذَا لَا يُعْلِنُونَ اَلْحَقِيقَةَ؟ مَاذَا سَيَخْسَرُونَ لَوْ عَرَفَ اَلْعَالَمُ بِالتَّهْدِيدِ اَلْمُحْدِقِ بِهِ؟ وَفِي كُلِّ اَلْأَحْوَالِ، اَلْخَطَرُ لَا يَتَهَدَّدُهُمْ. صَرَخَ (رَيَّان) فِي لَحْظَةِ غَضَبٍ وَاسْتِنْكَارٍ لِمَا يَجْرِي.

– لِأَنَّ لَا عَلَاقَةَ لَهُمْ بِدُوَلِ اَلْعَالَمِ وَلَا بِمُؤَسَّسَاتٍ حُكُومِيَّةٍ، نَحْنُ أَمَامَ عِصَابَةٍ كَانَتْ تَسْتَهْدِفُ اَلتَّحَكُّمَ فِي اَلْعَالَمِ بِأَكْمَلِهِ، لَكِنَّ مُخَطَّطَاتِهَا فَشِلَتْ.

اِتَّسَعَتْ عَيْنَا (رَيَّان) وَهُوَ يَسْمَعُ اَلْمَعْلُومَةَ اَلْجَدِيدَةَ اَلَّتِي قَدَّمَهَا (زِيَاد) لِلتَّوِّ، وَاَلَّذِي أَضَافَ بِنَبْرَةٍ جَادَّةٍ:

– لَا تَسْتَغْرِبْ يَا (رَيَّان)، فَكَثِيرٌ مِنَ اَلْحَقَائِقِ نَجْهَلُهَا وَنُصْدَمُ عِنْدَ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهَا.

– وَكَيْفَ عَرَفْتَ أنتَ؟

– لَمْ أَسْتَطِعْ تَحَمُّلَ تَأْنِيبِ اَلضَّمِيرِ فَأَخْبَرْتُ وَالِدِي بِالْحَقِيقَةِ، وَقَرَّرَ اَلتَّصَرُّفَ بِسُرْعَةٍ. تَعْلَمُ مَنْصِبَ وَالِدِي اَلْمُهِمَّ فِي اَلدَّوْلَةِ، لِذَا أَجْرَى اِتِّصَالَاتِهِ، لِيَتَوَصَّلَ إلى اَلْحَقِيقَةِ اَلْمُرْعِبَةِ: مُنَظَّمَةُ (سَاتَانْيَا)، مُنَظَّمَةٌ إِجْرَامِيَّةٌ ذَاتُ إِمْكَانِيَّاتٍ هَائِلَةٍ، كَانَتْ تَنْشَطُ فِي مَجَالِ اَلْجَرِيمَةِ اَلْمُنَظَّمَةِ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ زَعِيمُهَا بِجُنُونِ اَلْعَظَمَةِ وَيُقَرِّرَ اَلِاسْتِيلَاءَ عَلَى اَلْعَالَمِ بِأَكْمَلِهِ.

– كَيْفَ يُمْكِنُ لِمُنَظَّمَةٍ إِجْرَامِيَّةٍ مَهْمَا كَانَتْ إِمْكَانِيَّاتُهَا أَنْ تَقِفَ فِي مُوَاجَهَةٍ مُبَاشِرَةٍ مَعَ دُوَلِ اَلْعَالَمِ؟

– أَخْبَرْتُكَ سَابِقًا أَنَّهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مُنَظَّمَةٍ إِجْرَامِيَّةٍ عادِيَةٍ، وَلَكِنَّهَا كَيَانٌ مُتَكَامِلٌ يَنْتَشِرُ فِي اَلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، وَيَمْلِكُ اَلْكَثِيرَ جِدًّا مِنْ اَلْمَوَارِدِ اَلْمَالِيَّةِ، وَلَقَدِ اِسْتَخْدَمَتْ قُوَّةَ اَلْمَالِ لِتُغْرِيَ اَلْعَدِيدَ مِنْ اَلْعُلَمَاءِ وَالْخُبَرَاءِ وَحَتَّى قَادَةً عَسْكَرِيِّينَ مِنْ أَجْلِ اَلْعَمَلِ لِصَالِحِهَا، وَالنَّتِيجَةُ كَمَا تَرَى.

– أَيُّ عَقْلٍ مَجْنُونٍ يُفَكِّرُ فِي إِرْسَالِ شُحْنَةِ اَلدَّمَارِ وَالْقَتْلِ نَحْوَ اَلْفَضَاءِ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ وِجْهَتَهَا أَوْ هَدَفَهَا؟

– كَمَا شَرَحْتُ لَكَ يَا صَدِيقِي. هُوَ عَقْلٌ مَجْنُونٌ وَمَرِيضٌ. لَقَدْ كَانَ هَدَفُهُمْ إِرْسَالَ تَهْدِيدٍ مُبَاشِرٍ إِلَى اَلْعَالَمِ كُلِّهِ بِأَنَّهُمْ يُسَيْطِرُونَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ اَلْكَوْكَبَ بِأَسْرِهِ تَحْتَ رَحْمَتِهِمْ. لَكِنَّ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ، غَيَّرَ حِسَابَاتِهِمْ كُلَّهَا، وَعِنْدَمَا فَقَدُوا اَلسَّيْطَرَةَ عَلَى اَلْمَرْكَبَةِ، أَصَابَهُمْ اَلْهَلَعُ، وَتَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا يَعِيشُونَ عَلَى هَذَا اَلْكَوْكَبِ، وَلَمْ يَتَقَبَّلُوا أَنْ يَسْقُطَ اَلصَّارُوخُ يَوْمًا ما عَلَى (نِيُويُورْك) وَهِيَ اَلْمَدِينَةُ اَلَّتِي تَضُمُّ أَهَمَّ مَشَارِيعِهِمْ وَمَقَرَّهُمْ اَلرَّئِيسِيَّ أَيْضًا.

لَمْ يُصَدِّقْ (رَيَّان) مَا يَسْمَعُهُ، وَتَنَاسَلَتِ اَلْعَدِيدُ مِنْ اَلْأَسْئِلَةِ فِي عَقْلِهِ، اِخْتَصَرَهَا فِي سُؤَالٍ مُقْتَضَبٍ:

–كَيْفَ عَلِمَ والِدُكَ بِكُلِّ هَذِهِ اَلْمَعْلُومَاتِ؟

– لَمْ تَكُنْ تِلْكَ مُهِمَّةً سهْلةً، بَلْ تَكَلَّفَتْ أجْهِزَةُ الْمُخَابَرَاتِ في بَلَدِي وَبَلَدِكَ بِاكْتِشَافِ اَلْحَقِيقَةِ. هُنَاكَ عَمَلٌ كَبِيرٌ يُجْرَى بِسِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ يَا (رَيَّانْ)، وَعَلَيْكَ أَنْ تَفْتَخِرَ بِبَلَدِكَ، بَلْ وَعَلَيْنَا أَنْ نَفْتَخِرَ بِأُمَّتِنَا اَلْعَرَبِيَّةِ.

أَشَارَ (زِيَاد) بِيَدِهِ لـ(رَيَّان) يَدْعُوهُ لِمُرَافَقَتِهِ، اِسْتَقَلَّا مِصْعَدًا زُجَاجِيًّا، وَهَبَطَا إِلَى طَابَقٍ سُفْلِيٍّ آخَرَ، هُنَاكَ اكْتَشَفَ (رَيَّان) مَا جَعَلَهُ يَتَجَمَّدُ فِي مَكَانِهِ مِنْ فَرْطِ اَلدَّهْشَةِ وَالذُّهُولِ وَالصَّدْمَةِ أَيْضًا، فَأَمَامَهُ مُبَاشَرَةً، تَجَلَّى مَشْهَدٌ ذَكَّرَهُ بِمَا عَاشَهُ هُنَاكَ فِي أَمْرِيكَا:

– قَاعَةٌ وَاسِعَةٌ، ضَمَّتْ أَكْثَرَ اَلْأَجْهِزَةِ تَطَوُّرًا، وَعُلِّقَتْ فِي جُدْرَانِهَا شَاشَاتٌ تَفَاعُلِيَّةٌ تُعْرَضُ عَلَيْهَا صُوَرٌ لِلْفَضَاءِ اَلْخَارِجِيِّ بِمُنْتَهَى اَلدِّقَّةِ وَالْوُضُوحِ، وَفِي جَانِبٍ مِنَ اَلْقَاعَةِ، وُضِعَ اَلتِّلِسْكُوبُ اَلْعِمْلَاقُ وَالْأَحْدَثُ. فَكَأَنَّ اَلزَّمَنَ عَادَ بِهِ أُسْبُوعًا إِلَى اَلْوَرَاءِ لِيَجِدَ نَفْسَهُ مِنْ جَدِيدٍ فِي نَفْسِ اَلْمَكَانِ. اِنْحَنَى عَلَيْهِ (زياد) لِيَهْمِسَ فِي أُذُنِهِ:

– مَرْحَبًا بِكَ فِي عَرِينِ اَلْأَسَدِ.

اِسْتَرْسَلَ (زِيَاد) فِي اَلْحَدِيثِ، وَهُوَ يَجْذِبُهُ مِنْ ذِرَاعِهِ بِرِفْقٍ يَدْعُوهُ لِوُلُوجِ اَلْقَاعَةِ. ذَكَّرَهُ بِحَدِيثِهِ اَلسَّابِقِ عَنْ مَشْرُوعِ دَوْلَتِهِ اَلرَّائِدِ فِي مَجَالِ اِكْتِشَافِ اَلْفَضَاءِ، وَأَنَّ هَذِهِ اَلْقَاعِدَةَ اَلْمُشَيَّدَةَ تَحْتَ اَلْأَرْضِ هِيَ اَلَّتِي شَهِدَتْ وِلَادَةَ اَلْمَشْرُوعِ وَتَطَوُّرَهُ. وَهِيَ اَلْيَوْمَ اَلَّتِي سَتَشْهَدُ مَلْحَمَةً جَدِيدَةً، مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِ بُقْعَةٍ غَالِيَةٍ مِنْ هَذِهِ اَلْأَرْضِ، وَجُزْءًا حَبِيبًا مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ.

حَيَّ (زِيَادْ) اَلْمُتَوَاجِدِينَ فِي اَلْقَاعَةِ مُرَدِّدًا بِصَوْتٍ عَالٍ:

– اَلسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ. فَـانْتَبَهُوا لِحُضُـورِ (رَيَّان) و(زِيَاد)، وَرَدُّوا اَلسَّلَامَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، قَبْلُ أَنْ يَعُودُوا لِعَمَلِهِمْ، وَيَنْشَغِلُوا بِحَوَاسِيبِهِمْ. بَيْنَمَا أَشَارَ (زِيَادْ) بِيَدِهِ يَدْعُو رَفِيقَهُ لِلْجُلُوسِ فِي اَلْمَكَانِ اَلْمُخَصَّصِ لَهُ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ (رَيَّانْ) عَلَى اَلْفَوْرِ.

كَـانَ مَصِيرُ مَلَايِـينِ اَلْبَشَـرِ عَلَـى اَلْمِحَـكِّ، وَلَمْ يَكُـنِ اَلْوَقْـتُ فِي صَـالِحِهِمْ، فَكُـلُّ دَقِيقَـةٍ تَمُـرُّ إِلَّا وَتَزِيـدُ مَعَهَـا اَلتَّحَـدِّيَاتُ، وَتَخْفُـقُ مَعَهَـا قُلُوبُهُمْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَجَلًا وَقَلَقًا.

وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي حَيْرَةٍ وَتَخَبُّطٍ، صَحِيحٌ أَنَّ كُلَّ ظُرُوفِ اَلْعَمَلِ مُتَوَفِّرَةٌ، وَأَنَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ بَيْنُ أَيْدِيهِمْ أَحْدَثَ وَأَبْجَعَ اَلْأَجْهِزَةِ وَالتِّقْنِيَّاتِ، لَكِـنَّهُمْ اِفْتَقَـدُوا اَلْجُـرْأَةُ عَلَـى اِتِّخَـاذِ اَلْقَـرَارِ، مَادَامَـتِ اَلْمَسْـأَلَةُ تَتَعَلَّـقُ بِأَرْوَاحِ اَلْبَشَرِ، وَبِجُزْءٍ غَالٍ مِنْ أُمَّتِهِمْ وَهُوِيَّتِهِمْ.

لِوَقْتٍ طَوِيلٍ اِسْتَسْلَمُوا لِلصَّمْتِ، وَاكْتَفَوْا بِالتَّأَمُّلِ فِي اَلشَّاشَاتِ اَلْعِمْلَاقَةِ اَلَّتِي تَعْرِضُ صُوَرًا رَائِعَةً لِلْفَضَاءِ اَلْخَارِجِيّ، لَكِنَّ أَحَدَ اَلشَّبَابِ اَلْمُتَوَاجِدِينَ فِي اَلْقَاعَةِ كَسْرَ جِدَارِ اَلصَّمْتِ وَهُوَ يُحَيِّي اَلْجَمِيعَ بِصَوْتٍ عَالٍ:

– اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا اَلْإِخْوَةُ.

رَدَّ اَلْآخَرُونَ اَلتَّحِيَّةَ، بَيْنَمَا وَقَفَ ذَلِكَ اَلشَّابُّ، وَفَرَدَ قَامَتَهُ اَلطَّوِيلَةَ، وَاسْتَرْسَلَ بِصَوْتٍ حَافَظَ عَلَى قُوَّتِهِ وَوُضُوحِهِ:

– أَظُنُّ أَنَّنَا نَفْتَقِدُ اَلْبَوْصَلَةَ، وَلَعَلَّكُم تَتَّفِقُونَ مَعِي فِي ذَلِكَ، فَلَا نَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ سَنَبْدَأُ وَلَا كَيْفَ سَنَنْتَهِي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

تَدَخَّلَ (زِيَاد) لِيُجِيبَ اَلشَّابَّ بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ حَتَّى لَا تَتَوَتَّرَ اَلْأَجْوَاءُ:

– هَذَا يَوْمُنَا اَلْأَوَّلُ يَا (غَسَّانْ)، وَمِنْ اَلطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ اَلْبِدَايَةُ مُتَعَثِّرَةً قَلِيلًا، لَكِنَّنِي أَثِقُ فِي قُدُرَاتِكُمْ جَمِيعًا، وَأَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّكُمْ سُرْعَانَ مَا سَتَتَخَلَّصُونَ مِنْ حَالَةِ اَلتَّخَبُّطِ هَذِهِ.

– نَحْتَاجُ لِلتَّعَارُفِ أَوَّلًا. تَحَدَّثَ شَابٌّ آخَرُ، أَسْمَر اَللَّوْنِ قَلِيلًا، مُدَبَّبُ اَلذَّقْنِ، وَذُو شَعْرٍ أَسْود فَاحِمٍ.

– بِالطَّبْعِ يَا (عَمْرو). وَلْنَبْدَأْ بِكَ أَنْتَ إِذَن. رَدَّ (زِيَاد) وَقَدْ اِرْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ اِبْتِسَامَةٌ وَاسِعَةٌ.

- (عَمْرو)، مِنْ مِصْرَ، 24 سَنَةٍ، مُهَنْدِسٌ فِي مَجَالِ اَلْبَرْمَجِيَّاتِ، وَخَبِير فِي اَلنُّظُمِ اَلْمَعْلُومَاتِيَّةِ.

- (غَسَّانْ)، 23 سَنَةِ، فِلَسْطِينِيُّ اَلْأَصْلِ رَغْمَ أَنَّنِي وُلِدَتْ وَنَشَأْتُ فِي أَمْرِيكَا، لَكِنَّنِي لَنْ أَتَنَكَّرَ لِهُوِيَّتِي يَوْمًا وَلَا لِعُرُوبَتِي. مُبْتَكِرُ بَرْمَجِيَّاتٍ وَمُخْتَرِعٌ وَخَبِيرٌ فِي مَجَالِ اَلصِّنَاعَاتِ اَلْعَسْكَرِيَّةِ وَالْفَضَائِيَّةِ عَلَى اَلْخُصُوصِ. تَحَدَّثَ (غَسَّانُ) بِنَبْرَةِ صَوْتِهِ اَلْقَوِيَّةَ دَائِمًا.

- (خَالِد)، 24 سَنَةٍ مِنْ اَلسّعُودِيَّةِ، أُتَابِعُ دِرَاسَاتِي اَلْعُلْيَا فِي إِنْجِلْتِرَا، فِي مَجَالِ عُلُومِ اَلْفَضَاءِ.

وَحْدَهُ ذَلِكَ اَلشَّابُّ اَلْأَبْيَضُ اَلْبَشَرَةِ، اَلْأَخْضَرُ اَلْعَيْنَيْنِ، مَنْ ضَلَّ صَامِتًا، وَبِهِ تَعَلَّقَتِ اَلْأَبْصَارُ، اَلْكُلُّ يَنْتَظِرُ سَمَاعَ صَوْتِهِ، وَالتَّعَرُّفَ عَلَيْهِ. تَأَمَّلَ (رَيَّانُ) اَلشَّابَّ وَخَمَّنَ:

– لَا شَكَّ أَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ، رُبَّمَا وَجَدْنَا تَعَاطُفًا مِنْ جِنْسِيَّاتٍ أُخْرَى، فَالْإِنْسَانِيَّةُ لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَتَجَزَّأَ.

وَحِينَمَا تَدَخَّلَ (زِيَاد) لِيَطْلُبَ مِنْ اَلشَّابِّ اَلصَّامِتِ أَنْ يُقَدِّمَ نَفْسَهُ، تَحَدَّثَ أَخِيرًا دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اَلْآخَرِينَ:

– (فَوَّازْ) مِنْ اَلْأُرْدُن، خَبِيرُ مَعْلُومِيَاتٍ، وَهَاكَرْز سَابِق.

أَضَافَ (زِيَاد) بِسُرْعَةٍ:

–وَإِلَيْهِ يَرْجِع اَلْفَضْلُ فِي تَكْوِينِ هَذَا اَلْفَرِيق.

كَانَ اَلشَّابُّ خَجُولًا، مُنْطَوِيًا عَلَى نَفْسِهِ، عَلَى خِلَافِ اَلصُّورَةِ اَلَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُكَوِّنَهَا اَلْآخَرُونَ عَنْ اَلْهَاكَرْز، وَاكْتَشَفَ (رَيَّان) أَنَّ تَوَقُّعَاتِهِ لَمْ تَكُنْ صَائِبَةً عَلَى اَلْإِطْلَاقِ فِيمَا يَخُصُّ جِنْسِيَّةَ اَلشَّابِّ. لَكِنَّ مُسْحَةَ اَلْحُزْنِ اَلَّتِي سَكَنَتْ مُحَيَّاهُ أَثَارَتْ اِنْتِبَاه (رَيَّان)، فَلَا يُمْكِنُ لِلْخَجَلِ أَنْ يَجْعَلَ اَلْإِنْسَانَ فِي تِلْكَ اَلْحَالَةِ، لِهَذَا اِقْتَرَبَ مِنْ (زِيَاد) وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ:

– يَبْدُو (فَوَّاز) فِي غَايَةِ اَلْحُزْنِ، هَلْ يُعَانِي مِنْ خَطْبٍ مَا؟

– لَقَدْ بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا لِتَكْوِينِ فَرِيقٍ مُمَيَّزٍ، لَكِنَّ صُعُوبَاتٍ كَثِيرَةً وَاجَهَتْهُ، وَلَمْ يَسْتَسِغْ أَنْ يَكُونَ أَقْصَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ هُوَ فَرِيقٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْخَاصٍ فَقَطْ.

– فَوْقَ طَاقَتِكَ لَا تُلَامُ. يَكْفِي أَنَّهُ بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا.

– أَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اَلْأَمْرَ وَمَازَالَ يَشْعُرُ بِتَأْنِيبِ اَلضَّمِيرِ. اِقْتَرَبَ (فَوَّاز) مِنْهُمَا عَلَى حِينِ غَرَّةٍ، وَبِلَا مُقَدِّمَاتٍ خَاطَبَ (زِيَاد) بِتَرَدُّدٍ:

– نَسِيتُ إِخْبَارَكَ شَيْئًا مُهِمًّا، أَوْ بِالْأَحْرَى لَمْ أَجْرُؤْ عَلَى إِخْبَارِكَ.

بَدَا اَلْقَلَقُ عَلَى (زِيَاد) اَلَّذِي سَأَلَهُ بِلَهْفَةٍ:

– مَاذَا حَصَلَ؟

– حِينَمَا بَدَأْتُ اَلتَّوَاصُلَ مَعَ اَلشَّبَابِ، كَانَتِ اَلْأُمُورُ تَسِيرُ بِسَلَاسَةٍ فِي اَلْبِدَايَةِ، لَكِنَّ جِهَةً مَا تَدَخَّلَتْ لِتَقْطَعَ كُلَّ قَنَوَاتِ اَلِاتِّصَالِ، لَا يَتَعَلَّقُ اَلْأَمْرُ بِأَشْخَاصٍ، بَلْ بِجِهَةٍ مُنَظَّمَةٍ، وَتَمْلِكُ إِمْكَانِيَّاتٍ وَتِكْنُولُوجْيَا جَدٍّ مُتَطَوِّرَةٍ. لِذَا لَجَأْتُ إِلَى حَلٍّ آخَرَ، فَرَبَطْتُ اَلِاتِّصَالَ بِأَشْخَاصٍ مِنْ جِنْسِيَّاتٍ أُخْرَى.

– تَقْصِدُ جِنْسِيَّاتٍ غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ؟

– نَعِمَ.

– لَكِنْ... صَرَخَ (زِيَادْ) بِغَضَبٍ دُونَ أَنْ يُكْمِلَ كَلَامَهُ.

شَعَرَ (فَوَّاز) بِالْإِحْرَاجِ وَأَحْنَى رَأْسَهُ وَقَدْ تَفَاقَمَ حُزْنُهُ وَشُعُورُهُ بِالنَّدَمِ. هُنَا تَدَخَّلَ (رَيَّان) لِيُبَدِّدَ جَوّ اَلْكَآبَةِ، وَرَدَّدَ بِثِقَةٍ:

– لَا تَهُمُّ جِنْسِيَّاتُ اَلْأَفْرَادِ يَا (زِيَادْ)، فَالْإِنْسَانِيَّةُ تَجْمَعُ كُلَّ اَلْبَشَرِ عَلَى وَجْهِ اَلْأَرْضِ. تَحَدَّثَ (رَيَّان) كَحَكِيمٍ، وَكَانَ لِكَلِمَاتِهِ مَفْعُولٌ طَيِّبٌ عَلَى اَلشَّابَّيْنِ مَعًا، وَخَاصَّةً (زِيَاد) اَلَّذِي سُرْعَانَ مَا نَسِيَ غَضَبَهُ وَهُوَ يَسْأَلُ (فَوَّازْ) بِاهْتِمَامٍ:

– هَلْ تَلَقَّيْتَ جَوَابًا مِنْ أَحَدِهِمْ؟

حَرَّكَ اَلشَّابُّ رَأْسَهُ وَهُوَ يُجِيبُهُ:

– لِلْأَسَفِ، لِحَدِّ اَلسَّاعَةِ لَا جَدِيد.

دَخَلَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ اَلْأَشْخَاصِ عَلَى حِينِ غَرَّةَ، وَوَقَفُوا فِي مُوَاجَهَةِ اَلشُّبَّانِ السِّتَةِ، لَمْ يَتَعَرَّفْ (رَيَّان) عَلَى هُوِيَّةِ اَلزَّائِرِينَ، وَإِنْ دَقَّقَ اَلنَّظَرَ فِي مَلَامِحِهِمْ مُحَاوِلًا تَكْوِينَ اِنْطِبَاعٍ أَوَّلِيّ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ اَلرِّجَالِ اَلْأَرْبَعَةِ، وَاَلَّذِينَ اِرْتَدَوْا بِدْلاتٍ رَسْمِيَّةٌ أَنِيقَةً، وَوَقَفُوا بِاعْتِدَالٍ كَأَنَّهُمْ وَسَطَ عَرْضٍ عَسْكَرِيّ، وَضَلَّتْ مَلَامِحُهُمْ هَادِئَةً وَهُمْ يُبَادِلُونَ اَلشُّبَّانَ اَلنَّظَرَاتِ، دُونُ أَنْ تَصْدُرَ عَنْهُمْ كَلِمَةٌ مَا. مَالَ (فَوَّاز) بِرَأْسِهِ نَحْو (رَيَّان)، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ بِتَوَتُّرٍ مَلْحُوظٍ:

– سَتَتِمُّ تَصْفِيَتُنَا بِدَمٍ بَارِدٍ يَا صَدِيقِي.

تَفَاجَأَ (رَيَّان) مِنْ رَدَّةِ فِعْلِ رَفِيقِهِ، وَاَلَّذِي اِسْتَرْسَلَ بِنَفْسِ اَلنَّبْرَةِ اَلْقَلِقَةِ:

– أَرَأَيْتَ ذَلِكَ اَلِانْتِفَاخَ اَلظَّاهِرَ فِي جَانِبِ سُتْرَاتِهِمْ، تِلْكَ مُسَدَّسَاتٌ وَغَالِبًا هِيَ مِنْ طِرَازِ 9 ملمَ، سَتَكُونُ رَصَاصَاتُهُمْ قَاتِلَةً.

بِـلَا شُـعُورٍ، رَنَا (رَيَّان) بِبَصَـرِهِ نَحْـوَ سُـتُرَاتِ اَلرِّجَـالِ وَمَيَّـزَ ذَلِـكَ اَلِانْتِفَاخَ اَلَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ (فَـوَّاز)، وَبَدَأَتْ تُـرَاوِدُهُ شُكُوكٌ وَهَوَاجِسُ هُوَ أَيْضًا، فَتَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ:

–هَـلْ تَكُـونُ اَلْمُنَظَّمَـةُ قَـدْ وَصَـلَتْ إِلَى مَخْبَئِنَـا اَلسِّـرِّيِّ؟ هَـلْ هِـيَ اَلنِّهَايَةُ فِعْلًا؟

حَافَظَ اَلرِّجَالُ عَلَى هُدُوئِهِمْ وَجُمُودِهِمْ أَيْضًا، وَلَمْ تَصْدُرْ عَنْهُمْ أَيَّةُ رَدَّةِ فِعْلٍ عَلَى اَلْحَدِيثِ اَلدَّائِرِ بَيْنَ (رَيَّان) و(فَـوَّاز)، مِمَّا شَـجَّعَ (رَيَّان) عَلَى مُغَادَرَةِ مَكَانِهِ وَإِنْ ظَلَّتْ عُيُونُهُ تَرْمُقُ اَلْوَاقِفِينَ بِحَذَرٍ. لِيَتَوَجَّه نَحْو (زِيَاد) اَلَّذِي كَانَ مُنْشَغِلًا بِأَمْرٍ مَا عَلَى حَاسُوبِهِ، دُونُ أَنْ يَهْتَمَّ بِأُولَئِكَ اَلْغُرَبَاءِ. فَبَادَرَهُ (رَيَّان) بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

– مَاذَا يَجْرِي؟

عَقَدَ (زِيَاد) حَاجِبَيْهِ وَهُـوَ يَتَفَرَّسُ فِي مَلَامِـحَ (رَيَّان) كَأَنَّمَا يَسْـأَلُهُ عَـنْ مَغْـزَى حَدِيثِـهِ، فَأَشَـارَ (رَيَّان) بِعَيْنِـهِ إِلَى اَلْـوَاقِفِينَ، لِيَبْتَسِـم (زِيَاد) وَيُجِيبَهُ بِهُدُوءٍ:

– هَؤُلَاءِ أَفْرَادُ اَلْأَمْنِ اَلْمُكَلَّفُونَ بِحِمَايَةِ اَلرَّئِيسِ.

– رَئِيسٌ؟ تَسَاءَلَ (رَيَّانْ) بِدَهْشَةٍ.

– اَلْمَسْؤُولُ اَلْأَوَّلُ عَنْ اَلْعَمَلِيَّةِ، قَرِيبًا سَتَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ.

لَمْ تَكُنِ اَلْأُمُورُ اِعْتِبَاطِيَّةً إِذَنْ، فَكُلُّ شَيْءٍ تَمَّ تَجْهِيزُهُ وَالْإِعْدَادُ لَهُ وِفْقَ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، وَالْحَدِيثُ عَنْ فَرِيقِ قِيَادَةٍ، يَجْعَلُ اَلْعَمَلِيَّةَ أَكْثَرَ تَنْظِيمًا وَفَعَّالِيَّةً، وَتَرَقَّبَ (رَيَّان) بِلَهْفَةٍ لَحْظَةَ اَلتَّعَرُّفِ عَلَى اَلرَّئِيسِ، وَلَحْظَةَ اَلْبَدْءِ فِي تَنْفِيذِ اَلْمُهِمَّةِ. تَحَرَّكَ اَلرِّجَالُ أَخِيرًا، بِحَرَكَاتٍ مَدْرُوسَةٍ تَوَزَّعُوا فِي أَرْكَانِ اَلْقَاعَةِ اَلْمُسْتَدِيرَةِ، وَأَصَابِعُهُمْ لَا تُفَارِقُ آذَانَهُمْ، يُعَدِّلُونَ مِنْ وَضْعِ اَلسَّمَّاعَاتِ اَللَّاسِلْكِيَّةِ وَاَلَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا لِلتَّوَاصُلِ مَعَ فَرِيقٍ أَمْنِيٍّ آخَرَ.

سُرْعَانَ مَا دَخَلَ رِجَالٌ آخَرُونَ، بَيْنَهُمْ شَخْصَانِ يَرْتَدِيَانِ بِذْلَةً عَسْكَرِيَّةً مُثْقَلَةً بِالنَّيَاشِينِ، بَيْنَمَا اِرْتَدَى اَلْآخَرُونَ بِذْلاتٍ عَادِيَّةً.

– مَرْحَبًا أَيُّهَا اَلْأَبْطَالُ.

تَحَدَّثَ أَحَدُ اَلْعَسْكَرِيِّينَ وَهُوَ يَرْسُمُ اِبْتِسَامَةً وَاسِعَةً عَلَى شَفَتَيْهِ، كَانَ فِي عِقْدِهِ اَلْخَامِسِ تَقْرِيبًا، طَوِيلُ اَلْقَامَةِ، مَتِينِ اَلْبُنْيَةِ، أَسْمَرُ اَلْبَشَرَةِ قَلِيلًا، ذُو شَارِبٍ كَثٍّ، وَنَظَرَاتٍ حَادَّةٍ كَنَظَرَاتِ صَقْرٍ، لَكِنَّ اِبْتِسَامَتَهُ جَذَّابَةٌ سُرْعَانَ مَا تَجْعَلُكَ تَرْتَاحُ إِلَيْهِ بَعْدَ اَلِانْطِبَاعِ اَلْأَوَّلِيِّ اَلَّذِي يَجْعَلُكَ تَنْفِرُ مِنْهُ.

- أَنَا اَلْجِنِـرَالُ (مُحَمَّـد) مِـنْ اَلْقُـوَّاتِ اَلْخَاصَّـةِ اَلْإِمَارَاتِيَّـةِ، وَأَنَا اَلْمَسْؤُولُ اَلْأَوَّلُ عَنِ اَلْعَمَلِيَّةِ. وَيُشَرِّفُنِي أَنْ يُشَارِكَنِيَ فِي هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ، أَخِي وَزَمِيلِي اَلْجِنِرَالُ (عُمَر).

- أَشَـارَ بِيَـدِهِ لِلرَّجُـلِ اَلْوَاقِـفِ بِجَانِبِـهِ، وَاَلَّـذِي كَـانَ يُمَاثِلُـهُ فِي اَلطُّولِ، بَيْنَمَـا كَانَـتْ بَشْـرَتُهُ بَيْضَـاءَ، حَلِيـق اَلْوَجْـهِ، مُعْتَـدِل اَلْقَـوَامِ، قَصِيرُ اَلشَّـعْرِ اَلَّـذِي سَـرَّحَهُ عَلَى طَرِيقَـةِ جُنُـودِ اَلْمَـارِينْز اَلْأَمْـرِيكِيِّينَ، وَاَلَّذِي اِبْتَسَمَ بِـدَوْرِهِ وَهُـوَ يُحَيِّي اَلْجَمِيعَ: –مَرْحَبًا أَبْطَالَنَا اَلْأَعِزَّاءَ. أَنَا اَلْجِنِرَال (عُمَرْ) مِنْ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ اَلْمَغْرِبِيَّةِ، يُسْعِدُنَا اَلْعَمَلُ جَنْبًا إِلَى جَنْـبٍ مَـعَ أَشِـقَّائِنَا فِي اَلْإِمَـارَاتِ، وَنَسْـأَلُ اَللَّهَ اَلتَّوْفِيـقَ. مَـا أَنْ أَنْهَـى اَلْجِنِـرَالُ كَلَامَـهُ. حَـتَّى تَنَـاوَلَ رَجُـلٌ آخَـرُ اَلْكَلِمَـةَ، كَـانَ قَصِـيرَ اَلْقَامَـةِ، بَـدِينًا بَعْـضَ اَلشَّـيْءِ، تَـبْرُقُ عَيْنَـاهُ بِبَرِيـقِ اَلـذَّكَاءِ وَالنَّبَاهَـةِ، بَيْنَمَـا خُصْـلَاتُ اَلشَّـيْبِ اَلَّـتِي غَطَّـتْ شَـعْرَهُ تَلْمَـعُ مَـعَ اَلْأَضْـوَاءِ اَلْقَوِيَّـةِ اَلْمُنْتَشِرَةِ فِي اَلْقَاعَةِ. كَانَتْ نَبْرَةُ صَوْتِهِ قَوِيَّةً وَهُوَ يُخَاطِبُ اَلْجَمِيعَ:

– اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَنَا اَللِّوَاءُ (خَيْرَتْ) مُدِيرُ اَلْمُخَابَرَاتِ اَلْعَامَّةِ اَلْمِصْرِيَّةِ، لَقَدْ تَأَكَّدْنَا مِنْ كَافَّةِ اَلْمَعْلُومَاتِ، وَنَشْعُرُ بِجَسَامَةِ اَلْمَسْؤُولِيَّةِ

وَصُعُوبَةِ اَلْمُهِمَّةِ، وَقَدْ وَفَّرْنَا كُلَّ اَلْإِمْكَانِيَّاتِ وَالْقُدُرَاتِ مِنْ أَجْلِ إِنْجَاحِ اَلْعَمَلِيَّةِ، وَإِنْقَاذِ بَلَدِنَا اَلْحَبِيبِ .

تَحَدَّثَ اَلرَّجُلَانِ اَلْمُتَبَقِّيَانِ أَيْضًا، وَلَعَلَّ أَكْثَرَ مَا كَانَ يُمَيِّزُ هَذَيْنِ اَلْأَخِيرَيْنِ لِبَاسُهُمَا اَلتَّقْلِيدِيُّ، حَيْثُ كَانَ أَحَدُهُمَا يَرْتَدِي جِلْبَابًا أَبْيَض وَطَرْبُوشًا أَحْمَر، وَبَلُغَةً صَفْرَاءَ، وَهُوَ اَللِّبَاسُ اَلْمَغْرِبِيُّ اَلْأَصِيلُ اَلْمَعْرُوفُ، بَيْنَمَا اِرْتَدَى اَلْآخَرُ قَمِيصًا أَبْيَض طَوِيلًا، وَغَطَّى رَأْسَهُ بِغُتْرَةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَهَا عِقَالٌ أَسْوَد، وَهُوَ اَللِّبَاسُ اَلْمُمَيَّزُ لِسُكَّانِ اَلْخَلِيجِ وَالْإِمَارَاتِيِّينَ خَاصَّةً.

تَعَرَّفَ (رَيَّان) عَلَى هُوِيَّةِ اَلرَّجُلَيْنِ بَعْدَ حَدِيثِهِمَا، حَيْثُ كَانَ اَلْأَوَّل مُمَثِّلًا لِلْحُكُومَةِ اَلْمَغْرِبِيَّةِ وَهُوَ مِنَ اَلْمُشْرِفِينَ عَلَى اَلْعَمَلِيَّةِ، بَيْنَمَا كَانَ اَلْآخَرُ، مُمَثِّلًا عَنِ اَلْحُكُومَةِ اَلْإِمَارَاتِيَّةِ، وَسَيَعْرِفُ (رَيَّان) فِيمَا بَعْدُ بِأَنَّهُ أَبُ (زِيَاد) شَخْصِيًّا. بَعْدَ لَحْظَةِ اَلتَّعَارُفِ اَلْأَوَّلِيَّةِ، عَادَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) لِيُخَاطِبَ اَلْجَمِيعَ بِنَبْرَةٍ جَادَّةٍ هَذِهِ اَلْمَرَّة:

– تَعْلَمُونَ جَيِّدًا مَدَى حَسَاسِيَةِ هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ، وَتُدْرِكُونَ اَلْعِبْءَ اَلْكَبِيرَ اَلَّذِي تَحْمِلُونَهُ عَلَى عَاتِقِكُمْ. لَسْتُ هُنَا لِأَزِيدَ عَلَيْكُمْ ضُغُوطًا جَدِيدَةً، بَلْ لِأُذَكِّرَكُمْ أَنَّكُمْ فِي نِهَايَةِ اَلْأَمْرِ سَتَبْذُلُونَ جُهُودَكُمْ، وَفِي

حَالَةِ نَجَحْتُمْ، فَتِلْكَ هِيَ اَلْغَايَةُ، وَلَوْ قَدَّرَ اَللَّهُ وَفَشِلْتُمْ، فَلَا يُمْكِنُ تَحْمِيلُكُمْ وِزْرَ اَلْفَشَلِ. بَدْأً مِنْ اَلْغَدِ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ، سَتَبْدَؤُونَ فِي اَلْعَمَلِ، وَسَيَتِمُّ تَقْيِيمُ اَلْقَرَارَاتِ اَلَّتِي سَتَتَبَنَّوْنَهَا، وَعَلَى ضَوْئِهَا سَيَتِمُّ اَلتَّدَخُّلُ.

أَضَافَ اَلْجِنِرَالُ (عُمَر) بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ قَوِيٍّ:

– كُلُّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ سَيَتَوَفَّرُ لَدَيْكُم. لَا تَسْتَهِينُوا بِقُدُرَاتِنَا، فَهُنَاكَ مَشْرُوعٌ سِرِّيٌّ لِلتَّطْوِيرِ اَلْعَسْكَرِيِّ بَدَأَ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَنَحْنُ فِي مَرَاحِلِهِ اَلْأَخِيرَةِ، وَيُمْكِنَنَا تَسْخِيرُهُ لِهَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ .

– نَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ قَبْلَ اَلْبَدْءِ؟ تَحَدَّثَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) مِنْ جَدِيدٍ.

تَعَلَّقَتْ بِهِ اَلْأَبْصَارُ تَنْتَظِرُ مَعْرِفَةَ اَلشَّيْءِ اَلْمَفْقُودِ، فَأَضَافَ بِحَمَاسٍ:

– اِسْمُ اَلْعَمَلِيَّةِ، هَلْ لَدَيْكُمْ اِقْتِرَاحٌ مُعَيَّنٌ؟

سَادَ اَلصَّمْتُ لِلَحَظَاتٍ، قَبْلُ أَنْ يَصْرُخَ (غَسَّانُ) بِحَمَاسٍ مُمَاثِلٍ:

- أَرْمَكِيدُون [1].

---

[1] ارمكيدون: فيلم خيال علمي أمريكي 1998، عن رجال يرسلون إلى الفضاء من قبل ناسا لإيقاف كويكب عملاق من الاصطدام بالأرض.

رَدَّدَ (فَوَّاز) بِدَوْرِهِ:

– اَلطَّيْرُ اَلْأَبَابِيلَ.

وَكَانَ لِمُدِيرِ اَلْمُخَابَرَاتِ اَلْمِصْرِيَّةِ رَأْيٌ آخَرُ وَهُوَ يَقُولُ:

– نَسْرٌ 1.

وَحْدَهُمَا (رَيَّان) و(زِيَاد) مَنْ تَبَادَلاَ نَظَرَاتٍ ذَاتَ مَعْنىً، قَبْلَ أَنْ يَتَأَمَّلَا اَلْوَاقِفِينَ وَيُرَدِّدَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، اِسْمًا جَدِيدًا وَغَيْرَ مَأْلُوفٍ، خَلَّفَ بَعْضَ اَلدَّهْشَةِ فِي نُفُوسِ اَلْجَمِيعِ، لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا نَالَ اِسْتِحْسَانَهُمْ. وَرَدَّدَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّدْ) بِصَوْتٍ عَالٍ:

– عَلَى بِرَكَةِ اَللَّهِ إِذْن.

اِتَّضَحَتِ اَلْأُمُورُ بِالنِّسْبَةِ لِ (رَيَّان)، وَتَأَكَّدَ مَا قَالَهُ (زِيَادْ) مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ تَجَنَّدَتْ ثَلَاثُ دُوَلٍ عَرَبِيَّةٍ بِكَافَّةِ قُدُرَاتِهَا وَإِمْكَانِيَّاتِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا لِهَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ. وَقَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ اَلْمَسْؤُولُونَ اَلْقَاعَةَ، أَزَاحَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) سِتَارَةً كَانَتْ بِقُرْبِهِ لِيُمِيطَ اَللِّثَام عَنْ لَوْحَةٍ مُعَلَّقَةٍ أَعْلَى اَلْجِدَارِ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهَا بِخَطٍّ عَرَبِيٍّ جَمِيلٍ:

– "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ". صَدَقَ اَللَّهُ اَلْعَظِيمُ.

ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اَلْآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ وَهُوَ يُخَاطِبُهُمْ:

– لَا تَنْسَوْا أَنَّنَا اَلْأَفْضَلُ.

وَحِينُ غَادَرَ اَلْجِنِرَالُ وَرِفَاقُهُ، كَانَتْ عِبَارَتُهُ اَلْأَخِيرَةُ تَرِنُّ فِي آذَانِ اَلشُّبَّانِ وَتُخَلِّفُ بَالِغَ اَلْأَثَرِ فِي أَرْوَاحِهِمْ، وَتَبْعَثُ قُشَعْرِيرَةَ اَلْفَخْرِ فِي أَجْسَادِهِمْ.

لَمْ تَكُنِ اَلْبِدَايَةُ سَهْلَةً، وَلَمْ يَتَخَلَّصِ اَلشُّبَّانُ مِنْ حَالَةِ اَلِارْتِبَاكِ اَلَّتِي طَغَتْ عَلَيْهِمْ. أَكَّدَ عَلَيْهِمْ اَلْمَسْؤُولُ ضَرُورَةَ وَضْعِ تَقْرِيرٍ يَوْمِيٍّ عَنْ سَيْرِ اَلْعَمَلِ وَعَلَى ضَوْئِهِ سَيَتِمُّ اِتِّخَاذُ اَلْإِجْرَاءَاتِ اَللَّازِمَةِ، فَزَادَ هَذَا اَلْأَمْرُ مِنَ اَلضُّغُوطِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّ كَلَامَ اَلْمَسْؤُولِ اَلْمِصْرِيِّ عَنْ ضَرُورَةِ اَلْإِسْرَاعِ فِي وَضْعِ اَلْخُلَاصَاتِ وَالتَّوْصِيَاتِ زَادَ مِنْ اِرْتِبَاكِهِمْ، صَحِيحٌ أَنَّهُمْ يَتَفَهَّمُونَ قَلَقَ اَلرَّجُلِ وَمَصِيرِ بَلَدِهِ اَلَّذِي عَلَى اَلْمِحَكِّ، لَكِنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ اَلْأَمْرَ مَا فَتِئَ يَتَجَاوَزُ قُدُرَاتِهِمْ، وَفِي خِضَمِّ حَالَةِ اَلِارْتِبَاكِ وَالتَّخَبُّطِ هَاتِهِ، صَرَخَ (زِيَادْ) مُحَاوِلًا بَثَّ اَلْحَمَاسِ فِي رِفَاقِهِ:

– لَسْنَا عَادِيِّينَ أَيُّهَا اَلرِّفَاقِ، قُدُرَاتُنَا اَلْعَقْلِيَّةُ وَتَفَوُّقُنَا اَلْعِلْمِيُّ وَنُبُوغُنَا يَمْنَحُنَا اَلْقُدْرَةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ اَلصِّعَابِ. سَنَبْدَأُ بِتَحْلِيلِ اَلْبَيَانَاتِ اَلَّتِي نَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا وَسَيَتَكَلَّفُ (خَالِد) بِتَتَبُّعِ مَسَارِ اَلْمَرْكَبَةِ عَلَى مَدَارِ اَلسَّاعَةِ.

مَنْحَهُمْ (زِيَاد) بُقْعَةً مِنْ اَلضَّوْءِ وَسَطَ اَلظَّلَامِ اَلَّذِي كَانَ يُحِيطُ بِهُمْ. وَلَمْ يُضَيِّعْ (رَيَّان) اَلْوَقْتَ، فَانْهَمَكَ فِي عَمَلِهِ مُحَاوِلًا اَلِانْطِلَاقَ مِمَّا اِنْتَهَى بِهِ هُنَاكَ فِي (نِيُويُورْك)، كَانَ هَدَفُهُ اَلْأَوَّلُ هُوَ اَلتَّأَكُّدَ مِنْ صِحَّةِ اِسْتِنْتَاجِهِمْ اَلنِّهَائِيِّ، وَرَغْمَ أَنَّ (زِيَاد) دَعَاهُ لِلتَّقَدُّمِ خُطُوَاتٍ أُخْرَى وَعَدَمَ اَلرُّجُوعِ إِلَى اَلْوَرَاءِ، إِلَّا أَنَّ (رَيَّان) كَانَ مُصِرًّا عَلَى رَأْيِهِ، فَقَدْ آمَنَ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ بِأَنَّ اَلْخُلَاصَاتِ اَلْعِلْمِيَّةَ تَحْتَاجُ دَائِمًا لِإِعَادَةِ اَلتَّمْحِيصِ وَالتَّدْقِيقِ، حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ تَخْتَفِيَ اَلْحَقِيقَةُ أَحْيَانًا دَاخِلَ بَعْضِ اَلتَّفَاصِيلِ.

مَازَالَتِ اَلْمَرْكَبَةُ اَلْفَضَائِيَّةُ اَلْمُدَمِّرَةُ تَهِيمُ فِي اَلْفَضَاءِ، مُتَّبِعَةً مَسَارًا مُتَعَرِّجًا وَغَيْرَ مُنْتَظِمٍ، وَمَازَالَتِ اَلشَّاشَاتُ اَلتَّفَاعُلِيَّةُ اَلْعِمْلَاقَةُ اَلْمُعَلَّقَةُ عَلَى جُدْرَانِ اَلْقَاعَةِ تَعْرِضُ مَسَارَ اَلْمَرْكَبَةِ بِدِقَّةٍ وَعَلَى مَدَارِ اَلسَّاعَةِ، بَيْنَمَا انْهَمَكَ اَلشُّبَّانُ اَلْأَرْبَعَةُ فِي تَحْلِيلِ اَلْبَيَانَاتِ وَمُرَاقَبَةِ كُلِّ اَلتَّفَاصِيلِ اَلْمُرْتَبِطَةِ بِمُهِمَّتِهِمْ، وَهِيَ تَفَاصِيلٌ كَثِيرَةٌ وَمُعَقَّدَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى قُدُرَاتٍ عَقْلِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَإِلَى تَرْكِيزٍ وَيَقَظَةٍ. فَجْأَةً، اِخْتَفَتِ اَلصُّوَرُ اَلتَّفَاعُلِيَّةُ مِنَ اَلشَّاشَةِ اَلْعِمْلَاقَةِ، وَتَوَقَّفَتْ حَوَاسِيبُ اَلشُّبَّانِ عَنْ اَلْعَمَلِ، لِتَظْهَرَ عَلَيْهَا رِسَالَةٌ وَاحِدَةٌ: –لَا يُمْكِنُكُمْ مَنْعُ اَلدَّمَارِ!!

وَقَعَ اَلْأَمْرُ فَجْأَةً وَبِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ، لِيَزِيدَ مِنْ وَقْعِ اَلصَّدْمَةِ عَلَى نُفُوسِ اَلْحَاضِرِينَ هُنَاكَ. بَذَلَ (غَسَّانُ) مَجْهُودًا كَبِيرًا لِإِعَادَةِ اَلْأُمُورِ إِلَى طَبِيعَتِهَا، وَكَذَلِكَ حاوَلَ (فَوَّاز) مُسْتَغِلَّيْنِ قُدُرَاتِهِمَا اَلْمُتَمَيِّزَةَ فِي مَجَالِ اَلْبَرْمَجَةِ اَلْمَعْلُومَاتِيَّةِ وَمَهَارَاتِهِمَا فِي مُوَاجَهَةِ أَيِّ اخْتِرَاقٍ فَيْرُوسِيٍّ لِلْمُعْطَيَات اَلْخَاصَّةِ، لَكِنَّهُمَا اِسْتَسْلَمَا لِلْوَاقِعِ، وَرَفَعَ (غَسَّان) يَدَهُ وَهُوَ يَصْرُخُ بِحُرْقَةٍ واسْتِسْلامٍ:

– لَا أَفْهَمُ مَا الَّذي وَقَعَ.

– لَا شَكَّ أَنَّهُ اِخْتِرَاقٌ لِمَنْظُومَةِ اَلْأَمْنِ اَلْمَعْلُومَاتِيَّةِ اَلْخَاصَّةِ بِنَا، لَا أَفْهَمُ كَيْفَ تَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ نَجَحُوا فِي مَسْعَاهُمْ. تَحَدَّثَ (فَوَّازْ) بِتَأَثُّرٍ.

– مَاذَا يَعْنِي هَذَا؟ صَرَخَ (زِيَاد) بِانْفِعَالٍ وَاضِحٍ.

لَمْ يَسْتَطِعِ اَلشَّابُّ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي مَشَاعِرِهِ، هُوَ اَلَّذِي بَذَلَ مَجْهُودَاتٍ كَبِيرَةً فِي سَبِيلِ اَلْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ اَلْمَرْحَلَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَقَبُّلَ فِكْرَةِ ضَيَاعِ كُلِّ اَلْجُهُودِ سُدىً. وَلَمْ يَسْلَمْ (رَيَّان) بِدَوْرِهِ مِنْ تِلْكَ اَلْمَشَاعِرِ اَلْقَاسِيَةِ اَلَّتِي تَمَلَّكَتْهُ، وَلَا مِنَ اَلْهَوَاجِسِ اَلَّتِي اِجْتَاحَتْ عَقْلَهُ، وَهُوَ يَتَخَيَّلُ مَشْهَدَ اَلدَّمَارِ اَلَّذِي سَيَلْحَقُ بِالْعِبَادِ وَالْبُنْيَانِ.

مَا هِي إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى فُتِحَتْ أَبْوَابُ اَلْقَاعَةِ وَدَخَلَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) رُفْقَةَ اَلْجِنِرَالِ (عُمَر) وَقَدْ بَدَتْ عَلَى مَلَامِحِهِمَا كُلُّ إِمَارَاتِ اَلتَّوَتُّرِ وَالْقَلَقِ، لَكِنَّهُمَا كَانَا يُحَاوِلَانِ بِمَا رَاكَمَاهُ مِنْ تَجْرِبَةٍ وَخِبْرَةٍ أَنْ يَتَحَكَّمَا فِي مَشَاعِرِهِمَا، وَيُحَافِظَا عَلَى هَيْبَتِهِمَا وَمَا تَفْتَضِيهِ رُتْبَتُهُمَا اَلْعَسْكَرِيَّةُ مِنْ رَبَاطَةِ اَلْجَأْشِ. وَبِصَوْتٍ حَافَظَ عَلَى قُوَّتِهِ رَغْمَ اَلضُّغُوطِ وَالِانْفِعَالَاتِ، خَاطَبَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّدْ) اَلْجَمِيعَ:

– لَقَدْ تَعَرَّضَ مَوْقِعُنَا لِاخْتِرَاقٍ أَمْنِيٍّ مِنْ جِهَةٍ مَجْهُولَةٍ، وَتَمَّ اِسْتِخْدَامُ بَرْنَامَجٍ جَدٍّ مُتَطَوِّرٍ لِإِيقَافِ اَلْعَمَلِ فِي كُلِّ أَجْهِزَتِنَا. بَذَلَ خُبَرَاؤُنَا مَجْهُودَاتٍ كَبِيرَةً لِمُوَاجَهَةِ اَلْأَمْرِ، لَكِنَّنَا وَلِلْأَسَفِ فَشِلْنَا.

أُضْطُرِرْنَا لِطَلَبِ اَلْمُسَاعَدَةِ مِنْ دُوَلٍ كُبْرَى، لَكِنَّهُمْ تَهَرَّبُوا عَنْ مُسَاعَدَتِنَا. تُرِكْنَا وَحْدَنَا أَمَامَ تَحَدٍّ صَعْبٍ وَخَطِيرٍ، وَلَيْسَتِ اَلْمَرَّةُ اَلْأُولَى اَلَّتِي يَحْدُثُ فِيهَا ذَلِكَ.

صَمَتَ اَلْجِنِرَال لِلَحْظَةٍ وَهُوَ يُحَاوِلُ اِلْتِقَاطَ أَنْفَاسِهِ بَعْدَ حَدِيثِهِ اَلْمُفْعَمِ بِمَشَاعِرِ اَلْغَضَبِ وَالْحُنْقِ، فَأَخَذَ اَلْجِنِرَالُ (عُمَر) اَلْكَلِمَةَ بِدَوْرِهِ، لِيَصْرُخ بِحُرْقَةٍ:

– خَـذَلَنَا اَلْجَمِيـعُ، وَتُرِكْنَـا وَحْـدَنَا فِي مُوَاجَهَـةِ اَلْمَصِـيرِ اَلْأَسْـوَدِ، لَكِنَّنَا لَنْ نَسْتَسْلِمَ، لَسْنَا نَحْنُ مَنْ يَرْفَعُ اَلرَّايَةَ اَلْبَيْضَاءَ بِسُهُولَةٍ، فَفِي عُرُوقِنَا تَجْرِي دِمَاءُ اَلْبُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

رُبَّمَا اعْتَقَدَ اَلْجِنِرَالُ أَنَّهُ يُلْقِي خِطَابَهُ اَلْحَمَاسِيَّ أَمَامَ جُنُودِهِ، لِذَا صَمَتَ وَهُوَ يَنْتَظِرُ سَمَاعَ اَلصَّيْحَاتِ اَلْمُؤَيِّدَةِ. لَكِنَّهُ تَفَاجَأَ بِصَمْتٍ مُطْبِقٍ، فَرَمَقَ اَلْوَاقِفِينَ أَمَامَهُ بِنَظَرَاتٍ غَاضِبَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفَ أَنَّهُمْ مُجَرَّدُ شُبَّانٍ مَوْهُوبِينَ وَنَوَابِغَ فِي مَجَالِ اَلْعُلُومِ وَالتِّكْنُولُوجْيَا وَلَا عَلَاقَةَ لَهُمْ بِمَيْدَانِ اَلْحُرُوبِ وَلَا بِفُنُونِ اَلْقِتَالِ، وَأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ اَللَّحْظَةِ كَانُوا خَارِجَ اَلسِّيَاقِ تَمَامًا، فَقَدْ تَجَاوَزَتْهُمُ اَلْأَحْدَاثُ، وَأَظْلَمَتِ اَلدُّنْيَا أَمَامَهُمْ، وَكَانُوا عَلَى حَافَّةِ اَلِانْهِيَارِ، وَمُسْتَعِدِّينَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ لِلِاسْتِسْلَامِ وَرَفْعِ اَلرَّايَةِ اَلْبَيْضَاءِ.

– مَاذَا سَنَفْعَلُ اَلْآنَ؟ تَسَاءَلَ (عَمْرو) بِنَبْرَةِ إِحْبَاطٍ.

– سَنُقَيِّمُ اَلْوَضْعَ، وَسَنَجِدُ حَلًّا عَاجِلًا، فَلَا يُمْكِنُنَا اَلتَّرَاجُعُ. سَتَلْتَحِقُونَ بِغُرَفِكُمْ حَالِيًّا، وَلَنَا مَوْعِدٌ صَبَاحَ اَلْغَدِ، وَنَدْعُو اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيَسِّرَ أُمُورَنَا. أَجَابَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) بِحَزْمٍ.

ضَلَّ (رَيَّان) مُسْتَلْقِيًا عَلَى سَرِيرِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، عَانَدَهُ اَلنَّوْمُ رَغْمَ إِحْسَاسِهِ بِالتَّعَبِ وَالْإِجْهَادِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَهُ لَمْ يَهْدَأْ مِنَ اَلتَّفْكِيرِ. لَمْ يَتَقَبَّلْ أَنْ تَسِيرَ اَلْأُمُورُ عَلَى هَذَا اَلنَّحْوِ اَلصَّادِمِ وَالْمُؤْسِفِ. وَحَزَّ فِي نَفْسِهِ كَثِيرًا حَدِيثُ اَلْجِنِرَالِ عَنْ خِذْلَانِ اَلدُّوَلِ اَلْقَوِيَّةِ لَهُمْ، وَتَرْكِهِمْ يُوَاجِهُونَ مَصِيرَهُمْ وَحْدَهُمْ. طِيلَةَ اَلسَّنَوَاتِ اَلْخَمْسِ اَلَّتِي قَضَاهَا فِي بَارِيس مُنْشَغِلًا بِدِرَاسَتِهِ وَتَحْصِيلِهِ اَلْعِلْمِيّ، كَانَ مُنْبَهِرًا بِمَظَاهِرِ اَلرُّقِيّ وَالتَّطَوُّرِ فِي تِلْكَ اَلْبِلَادِ، وَسِمَاتِ اَلنِّظَامِ وَالتَّحَضُّرِ اَلَّتِي تُمَيِّزُ شَعْبَهَا، بَلْ وَشُعُوبَ أُورُوبَّا كُلِّهَا.

لَكِنَّهُ، كَانَ يُصْدَمُ أَحْيَانًا مِنْ بَعْضِ اَلتَّصَرُّفَاتِ اَلْعُنْصُرِيَّةِ اَلَّتِي تَصْدُرُ عَنِ اَلْبَعْضِ، وَنَظْرَتِهِمْ اَلدُّونِيَّةِ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَرَغْمُ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَوْقِفٍ مُمَاثِلٍ مِنْ أَسَاتِذَتِهِ، بَلْ وَجَدَ مِنْهُمْ كُلَّ اَلتَّقْدِيرِ وَالِاحْتِرَامِ، إِلَّا أَنَّ تَصَرُّفَاتِ بَعْضِ اَلْمُوَاطِنِينَ اَلْعَادِيِّينَ كَانَتْ تُزْعِجُهُ، وَتُغْضِبُهُ، وَتَجْعَلُهُ يَتَسَاءَلُ مِرَارًا عَنِ اَلسَّبَبِ فِي ذَلِكَ. وَالْيَوْم، يُذَكِّرُهُ حَدِيثُ اَلْجِنِرَالِ بِكُلِّ تِلْكَ اَلذِّكْرَيَاتِ اَلْمُؤْلِمَةِ، وَبِقَدْرِ مَا أَثَّرَ فِيهِ حَدِيثُهُ، بِقَدْرِ مَا يَشْعُرُ بِرَغْبَةٍ مُلِحَّةٍ وَقَوِيَّةٍ فِي خَوْضِ اَلتَّحَدِّي وَالسَّعْيِ

نَحْوَ إِثْبَاتِ ذَاتِهِ، بَلْ وَإِثْبَاتِ قُدْرَةِ أُمَّتِهِ عَلَى مُوَاجَهَةِ اَلصِّعَابِ وَرِبْحِ اَلتَّحَدِّيَاتِ.

حَاوَلَ تَرْتِيبَ أَفْكَارِهِ وَهُوَ يُعِيدُ رَسْمَ اَلْأَحْدَاثِ فِي ذِهْنِهِ، مُنْذُ اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي وَصَلَ فِيهَا إِلَى اَلْمَطَارِ إِلَى لَحْظَةِ دُخُولِهِ اَلْمَرْكَزَ اَلسِّرِّيَّ، وُصُولًا إِلَى اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي تَوَقَّفَتْ فِيهَا كُلُّ اَلْأَجْهِزَةِ عَنِ اَلْعَمَلِ، لِيَجِدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي نُقْطَةِ اَلصِّفْرِ.

– مَا هُوَ اَلْحَلُّ إِذَنْ؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) وَهُوَ يُحَاوِلُ اِكْتِشَافَ خَيْطٍ جَدِيدٍ يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلدَّائِرَةِ اَلْمُغْلَقَةِ اَلَّتِي حُوصِرُوا دَاخِلَهَا. لَكِنَّ جَسَدَهُ لَمْ يُسْعِفْهُ فِي اَلتَّفْكِيرِ أَكْثَرَ، فَقَدْ نَالَ مِنْهُ اَلْإِجْهَادُ، وَكَانَ دِمَاغُهُ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ مُحْتَاجًا لِلرَّاحَةِ، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ مُرْغَمًا، وَسُرْعَانَ مَا غَطَّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.

اِسْتَيْقَظَ عَلَى صَوْتِ جَلَبَةٍ وَصَخَبٍ كَبِيرَيْنِ، وَعَلَى وَقْعِ طَرَقَاتٍ قَوِيَّةٍ عَلَى بَابِ غُرْفَتِهِ. نَهَضَ فَزِعًا مِنْ فِرَاشِهِ، وَتَوَجَّهَ رَأْسًا نَحْوَ اَلْبَابِ، وَمَا إِنْ فَتَحَهُ حَتَّى اِنْدَفَعَ (زِيَاد) نَحْوَ اَلدَّاخِلِ وَهُوَ فِي قِمَّةِ اَلْحَمَاسِ وَالِانْفِعَالِ، وَصَرَخَاتُهُ تَتَرَدَّدُ فِي اَلْأَرْجَاءِ:

– أَسْرِعْ يَا (رَيَّان)، سَنَلْتَحِقُ بِقَاعَةِ اَلِاجْتِمَاعَاتِ.

– كَمِ اَلسَّاعَةُ اَلْآن؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) وَهُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ وَقَدْ تَمَلَّكَتْهُ اَلدَّهْشَةُ. – هُنَاكَ مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ اَلسَّاعَةِ. صَرَخَ (زِيَاد) مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ يُمْسِكُهُ مِنْ ذِرَاعِهِ وَيَدْفَعُهُ لِتَغْيِيرِ ثِيَابِهِ. هَرْوَلَ اَلشَّابَّانِ فِي طَرِيقِهِمَا نَحْوَ اَلْقَاعَةِ، كَانَتْ خُطُوَاتُ (زِيَاد) أَسْرَعَ وَلَمْ تَغِبْ عَنْهُ اَللَّهْفَةُ وَدَفْعَةُ اَلْحَمَاسِ اَلْكَبِيرَةِ اَلَّتِي تَجَلَّتْ فِي نَظَرَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ، بَيْنَمَا كَانَ (رَيَّان) يُحَاوِلُ عَبَثًا فَهْمَ مَا يَجْرِي أَمَامَهُ.

لَكِنَّ دَهْشَتَهُ وَحَيْرَتَهُ سُرْعَانَ مَا سَتَتَفَاقَمُ وَطْأَتُهُمَا وَهُوَ يَدْخُلُ اَلْقَاعَةَ اَلْوَاسِعَةَ، وَيَتَأَمَّلُ اَلْمَشْهَدَ غَيْرَ اَلْمَأْلُوفِ. حَوَالَيْ عِشْرِينَ شَخْصًا لَا يَعْرِفُهُمْ وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ رُؤْيَتَهُمْ كَانُوا جَالِسِينَ حَوْلَ اَلطَّاوِلَةِ اَلضَّخْمَةِ ذَاتِ اَلشَّكْلِ اَلْبَيْضَاوِيِّ.

تَوَقَّفَ (رَيَّان) طَوِيلًا عِنْدَ مَلَامِحِهِمْ اَلْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَبَايِنَةِ، فَكَأَنَّ اَلْعَالَمَ كُلَّهُ اِجْتَمَعَ فِي هَذِهِ اَلْقَاعَةِ، حَيْثُ تَوَاجَدَ أَصْحَابُ اَلْبَشَرَاتِ اَلْبَيْضَاءِ وَالسَّوْدَاءِ وَالصَّفْرَاءِ، وَأَنْبَأَتْ مَلَامِحُهُمْ عَنِ اِخْتِلَافِ اَلْمَنَاطِقِ اَلَّتِي قَدِمُوا مِنْهَا، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ (رَيَّان) سَبَبُ تَوَاجُدِهِمْ، وَهُوِيَّاتِهِمْ. جَلَسَ قُرْب (زِيَاد) وَاَلَّذِي لَاذَ بِالصَّمْتِ، وَحِينَ دَخَلَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد)، تَعَلَّقَ سَمْعُ وَبَصَرُ (رَيَّان) بِالرَّجُلِ، فَهُوَ اَلْوَحِيدُ اَلْقَادِرُ عَلَى

إِمَاطَـةِ اَلْغُمُـوضِ عَمَّـا يَقَـعُ. بِـذَاتِ اَلنَّـبْرَةِ اَلْقَوِيَّـةِ وَالصَّـوْتِ اَلْجَهْـوَرِيِّ اَلْمُمَيَّزِ، خَاطَبَ اَلْجِنِرَالُ اَلْحُضُورَ:

– بِالْأَمْسِ كُنَّا فِي وَضْعٍ مُقْلِقٍ، وَلَا أُخْفِي عَلَيْكُمْ أَنَّنَا كُنَّا عَلَى شَـفَا اَلِانْهِيَـارِ اَلتَّـامِّ. لَكِـنَّ اَلْيَـوْمَ، تُفْتَحُ أَمَامَنَـا أَبْـوَابُ اَلْأَمَـلِ. مَـادَامَ هَدَفُنَا نَبِيلًا فَسَتَحْرُسُنَا عِنَايَةُ اَلرَّحْمَنِ، هَذَا مَا لَا نَشُكُّ فِيهِ، وَمَا نُـؤْمِنُ بِهِ. مَرْحَبًا بِكُـلِّ اَلَّـذِينَ اِلْتَحَقُوا بِنَا لِيُقَـدِّمُوا اَلْمُسَاعَدَةَ، لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْإِنْسَانِيَّةِ بِغَضِّ اَلنَّظَرِ عَنِ اَلْجِنْسِ أَوِ اَللُّغَةِ أَوِ اَلدِّينِ. وَاسْمَحُوا لِي أَنْ أُقَدِّمَ خَالِصَ اَلشُّكْرِ لِـ (فَوَّاز) عَلَى اَلْعَمَلِ اَلْكَبِيرِ اَلَّذِي قَامَ بِهِ، وَعَلَى فِكْرَتِهِ اَلرَّائِعَةِ بِدَعْوَةِ اَلْجَمِيعِ لِلِانْخِرَاطِ فِي هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ اَلنَّبِيلَةِ. تَفَضَّـلَ سَيِّدْ (فَوَّازْ).

لَمْ يَكُنِ اَلشَّابُّ مُعْتَادًا عَلَى أَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ اَلْأَضْوَاءُ أَوْ يَقِفَ فِي مُوَاجَهَـةِ حَشْـدٍ مُمَاثِـلٍ، لِـذَا تَلَعْثَمَ فِي بِدَايَـةِ حَدِيثِـهِ، قَبْـلَ أَنْ يُشَـجِّعَهُ اَلْجِنِرَالُ بِحَرَكَـةٍ مِـنْ رَأْسِـهِ، فَـتَخَلَّصَ مُرْغَمًا مِـنْ تَـوَتُّرِهِ وَتَحَـدَّثَ بِصَـوْتٍ وَاضِحٍ:

– لَقَدْ تَفَاجَأْتُ بِدَوْرِي عِنْدَمَا تَلَقَّيْتُ رِسَالَةً فِي هَاتِفِي عِبَارَةً عَنْ رُمُوزٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، وَاحْتَجْتُ لِبَعْضِ اَلْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ أَفْهَمَ أَنَّ اَلْمُرْسِلَ اِعْتَمَدَ عَلَى شِيفْرَةِ مُورْسْ[1] لِيُوصِلَ رِسَالَتَهُ. انْظُرُوا...

أَظْهَرَ (فَوَّازُ) شَاشَةَ هاتِفِهِ أَمَامَ الحَاضِرِينَ حَيْثُ كُتِبتِ الرُّمُوزُ التَّالِيةُ:

-- -.- ....- # / -- --.- -. -.- ...

بَعْدَ اَلِاعْتِمَادِ عَلَى اَلشَّيفْرَةِ، تَوَصَّلْتُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَى اَلرُّمُوزِ، وَالَّذِي كَانَ:

" سَنَنْظَمُّ إِلَيْكُمْ". قَدْ يَبْدُو غَرِيبًا أَنْ نَسْتَعِينَ بِشِيفْرَةٍ قَدِيمَةٍ جِدًّا وَنَحْنُ نَعِيشُ تَطَوُّرًا تِكْنُولُوجِيًّا كَبِيرًا، لَكِنْ فِي ظِلِّ اَلْمُرَاقَبَةِ وَأَنْظِمَةِ اَلْجَاسُوسِيَّةِ وَالتَّنَصُّتِ اَلْمُتَطَوِّرَةِ اَلَّتِي يَمْلِكُهَا اَلْعَدُوّ، أَصْبَحَتِ اَلْأَسَالِيبُ اَلتَّقْلِيدِيَّةُ وَالْقَدِيمَةُ أَكْثَرَ نَجَاعَةً.

لِذَا أَجَبْتُ مُتَّبِعًا اَلطَّرِيقَةَ ذَاتَهَا، وَبَعْدَ رَسَائِلَ قَصِيرَةٍ مُتَبَادَلَةٍ، تَمَكَّنْتُ مِنَ اَلتَّوَاصُلِ مَعَ اَلْمَجْمُوعَةِ، وَتَمَّ إِحْضَارُهَا فَجْرَ اَلْيَوْمِ إِلَى اَلْمَرْكَزِ اَلسِّرِّيِّ.

---

[1] شِيفرة مُورس: عبارة عن حروف وأرقام وعلامات، ابتكرها مورس سنة 1840.

اِتَّضَحَتِ اَلصُّورَةُ أخيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى (رَيَّان). لَمْ يَعُودُوا وَحْدَهُمْ اَلْآنَ، فَهَا هُمْ شُرَفَاءُ اَلْعَالَمِ يَنْظُمُونَ إِلَيْهِمْ، أُولَئِكَ اَلَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِحَقِّ اَلْإِنْسَانِ فِي اَلْحَيَاةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اَلْبَشَرَ إِخْوَةٌ بِغَضِّ اَلنَّظَرِ عَنْ كُلِّ اِخْتِلَافَاتِهِمْ.

أَخْبَرَهُمْ اَلْجِنِرَالُ بِأَنَّ اَلْأَوْلَوِيَّةَ اَلْآنَ تَقْتَضِي إِعَادَةَ كُلِّ اَلْأَجْهِزَةِ لِلْعَمَلِ، وَالتَّخَلُّصَ مِنْ ذَلِكَ اَلْبَرْنَامَجِ اَلْفَيْرُوسِيِّ اَلْخَطِيرِ اَلَّذِي عَطَّلَ كُلَّ أَجْهِزَتِهِمْ. فَتَوَجَّهَ اَلْحَاضِرُونَ نَحْوَ غُرْفَةِ اَلْعَمَلِيَّاتِ لِلْبَدْءِ فِي اَلْعَمَلِ. وَفِي طَرِيقِهِ نَحْوَ اَلْغُرْفَةِ، اِقْتَرَبَ أَحَدُهُمْ مِنْ (رَيَّان)، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ بِإِنْجِلِيزِيَّةٍ رَكِيكَةٍ:

– مَرْحَبًا (رَيَّان)، كَيْفَ حَالُكَ؟

تَأَمَّلَ (رَيَّان) اَلرَّجُلَ اَلطَّوِيلَ ذِي اَللِّحْيَةِ اَلْكَثَّةِ اَلشَّقْرَاءِ، وَالرَّأْسِ اَلْأَصْلَعِ، وَالْبَشْرَةِ اَلْبَيْضَاءِ اَلْجَافَّةِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ صَاحِبَ هَذِهِ اَلْمَلَامِحِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، وَسَأَلَهُ بِدَوْرِهِ:

– مَرْحَبًا، لَكِنْ، هَلْ تَعْرِفُنِي يَا سَيِّدْ... ؟

اِبْتَسَمَ اَلرَّجُلُ وَمَدَّ يَدَهُ لِيُصَافِحَ (رَيَّان) وَهُوَ يُرَدِّدُ:

– (فلَادِيمِيرْ). هَلْ نَسَيْتَ رَفِيقَكَ اَلسَّابِقَ بِهَذِهِ اَلسُّرْعَةِ؟

اِتَّسَعَتْ عَيْنَا (رَيَّان) مِنَ اَلدَّهْشَةِ وَهُوَ يَسْمَعُ اَلِاسْمَ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ يُرَدِّدُ:

– لَكِنْ... أَنْتَ مُخْتَلِفٌ. كَيْفَ... ؟

– أَنَا مُتَنَكِّرٌ يَا صَدِيقِي، فَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِمُحَاوَلَةِ اِغْتِيَالٍ مُؤَخَّرًا، وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِي سِوَى أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ شَكْلِي لِأَتَجَنَّبَ اَلْمَصِيرَ اَلْأَسْوَدَ.

– لَكِنَّكَ تَغَيَّرْتَ كُلِّيًّا.

نَادَى (رَيَّان) عَلَى (زِيَاد)، وَوَضَعَهُ فِي اِمْتِحَانٍ صَعْبٍ وَهُوَ يَدْعُوهُ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى اَلشَّخْصِ اَلْوَاقِفِ مَعَهُمَا، لَمْ يَتَمَكَّنْ (زِيَاد) لِلْوَهْلَةِ اَلْأُولَى مِنْ اَلتَّعَرُّفِ عَلَى (فلَادِيمِيرْ) فِي نُسْخَتِهِ اَلْجَدِيدَةِ، وَكَانَتْ دَهْشَتُهُ كَبِيرَةً حِينَ عَلِمَ بِالْحَقِيقَةِ. لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا تَخَلَّصَ مِنْ ذُهُولِهِ، وَأَبْدَى سَعَادَتَهُ بِالْتِحَاقِ (فلَادِيمِيرْ) بِالْفَرِيقِ، وَاَلَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى خِبْرَتِهِ وَقُدُرَاتِهِ وَجِدِّيَّتِهِ أَيْضًا. اِسْتَمَرَّ اَلْعَمَلُ لِسَاعَاتِ طِوَالٍ، فَرِيقٌ مُتَمَيِّزٌ مِنَ اَلنَّوَابِغِ وَالْعَبَاقِرَةِ اَلْقَادِمِينَ مِنْ مُخْتَلِفِ دُوَلِ اَلْعَالَمِ، يُسَخِّرُونَ كُلَّ مَوَاهِبِهِمْ وَإِمْكَانِيَّاتِهِمْ اَلْعَقْلِيَّةِ اَلْعَالِيَةِ وَخِبْرَاتِهِمْ اَلْعِلْمِيَّةِ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنَ اَلتِّكْنُولُوجْيَا اَلْحَدِيثَةِ فِي سَبِيلِ إِنْجَاحِ اَلْمُهِمَّةِ.

اِتَّضَحَ لِلْجَمِيعِ أَنَّ اَلْأَمْرَ لَنْ يَكُونَ بِالسُّهُولَةِ اَلْمُتَوَقَّعَةِ، وَذَكَّرَهُمْ أَحَدُهُمْ بِأَنَّ اَلْوَقْتَ لَا يَلْعَبُ لِصَالِحِهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَصْلًا مَوْقِعَ اَلصَّارُوخِ اَلْمُدَمِّرِ فِي اَلْوَقْتِ اَلْحَالِيِّ، وَلَا مَسَارَهُ، أَوْ سُرْعَتَهُ...

كَانَ مُجَرَّدُ اَلتَّفْكِيرِ فِي تَعَرُّضِ مِنْطَقَةٍ مَا لِضَرْبَةٍ مُفَاجِئَةٍ وَمُدَمِّرَةٍ يَبْعَثُ فِي نُفُوسِهِمْ قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ اَلْقَلَقِ وَالتَّوَتُّرِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَيْأَسُوا وَاسْتَمَرُّوا فِي عَمَلِهِمْ، حَتَّى شَقَّتْ صَرْخَةٌ قَوِيَّةٌ اَلْمَكَانَ، فَالْتَفَتُوا جَمِيعًا نَحْوَ مَصْدَرِ اَلصَّوْتِ، حَيْثُ وَقَفَ شَابٌّ أَسْمَرُ ذُو شَعْرٍ أَسْوَدَ فَاحِمٍ وَنَاعِمٍ، وَقَدْ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَرَحًا وَحَمَاسًا فِي اَلْوَقْتِ عَيْنِهِ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِنَبْرَةِ اَلْمُنْتَصِرِ:

– لَقَدْ نَجَحْتُ... لَقَدْ نَجَحْتُ!!

تَزَامَنَتْ صَرَخَاتُهُ مَعَ عَوْدَةِ اَلشَّاشَاتِ لِلْعَمَلِ، وَاخْتِفَاءِ تِلْكَ اَلرِّسَالَةِ اَلْمُخِيفَةِ اَلَّتِي تَسَبَّبَ فِيهَا اَلْفَيْرُوسُ اَلْإِلِكْتِرُونِيُّ اَلْخَطِيرُ، وَتَأَكَّدَ (رَيَّان) و (زِيَاد) وَكُلُّ رِفَاقِهِمَا، أَنَّ اَلشَّابَّ اَلْهِنْدِيَّ اَلْمَوْهُوبَ (رَاجِيفْ)، قَدْ تَمَكَّنَ أَخِيرًا مِنْ اَلْقَضَاءِ عَلَى اَلِاخْتِرَاقِ اَلْفَيْرُوسِيِّ، وَأَنَّ كُلَّ اَلْأَجْهِزَةِ تَعْمَلُ اَلْآنَ بِكَفَاءَتِهَا اَلْعَادِيَّةِ وَالْمَطْلُوبَةِ. فِي خِضَمِّ اَلْفَرْحَةِ اَلَّتِي اِسْتَبَدَّتْ بِهِمْ، وَصَيْحَاتِ اَلنَّصْرِ اَلَّتِي أَطْلَقُوهَا، كَانَ (رَيَّان) يَتَأَمَّلُ

بِإِعْجَابٍ بَطَلَ اَلْمَرْحَلَةِ، اَلشَّابَّ اَلطَّوِيلَ وَالنَّحِيفَ ذَا اَلْبَشْرَةِ اَلْغَامِقَةِ وَالْمُمَيَّزَةِ لِلْهُنُودِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَتَوَجَّهَ نَحْوهُ وَيَشْكُرَهُ عَلَى عَمَلِهِ اَلْمُثْمِرِ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ، لِيَرُدَّ عَلَيْهِ (رَاجِيف) بِودٍّ:

– هَذَا وَاجِبٌ يَا صَدِيقِي، لَقَدْ جِئْتُ لِلْمُسَاعَدَةِ، وَأَنَا سَعِيدٌ أَنَّنِي قَدَّمْتُ خِدْمَةَ مَا. بَعْدَ عِبَارَاتِ اَلْمُجَامَلَةِ، سَأَلَهُ (رَيَّان) عَنْ تَخَصُّصِهِ وَدِرَاسَاتِهِ لِيُشْبِع اَلْفُضُولَ اَلَّذِي اِسْتَبَدَّ بِهِ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ يَكُنْ (رَاجِيف) بَخِيلًا فِي اَلْكَلَامِ، أَوْ مِنَ اَلنَّوْعِ اَلَّذِي تُسَيْطِرُ عَلَيْهِ اَلْغَرَابَةُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، كَمَا يَبْدُو عَلَى اَلْعَبَاقِرَةِ غَالِبًا، فَقَدْ اِنْخَرَطَ بِتِلْقَائِيَّةٍ فِي جَوّ اَلْحَدِيثِ، وَأَفْشَى لِصَدِيقِهِ اَلْجَدِيدِ بِالْكَثِيرِ مِنْ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ، فَهُو خِرِّيجُ جَامِعَةِ هَارْفَارْدْ[1] العَرِيقَةِ، قِسْمُ اَلتِّكْنُولُوجْيَا وَعُلُومِ اَلْحَاسُوبِ، وَيُتَابِعُ تَكْوِينًا مُعَمَّقًا فِي مَجَالِ اَلصِّنَاعَاتِ اَلْعَسْكَرِيَّةِ اَلدَّقِيقَةِ، كَمَا أَنَّ بَلَدَهُ يَنْتَظِرُ تَخَرُّجَهُ لِيُشَارِكَ فِي مَشْرُوعٍ طَمُوحٍ تَبَنَّتْهُ اَلْهِنْدُ لِاكْتِشَافِ اَلْفَضَاءِ وَبِنَاءِ مَحَطَّةِ فَضَاءٍ مُشَابِهَةٍ لِلْمَحَطَّةِ اَلرُّوسِيَّةِ. تَمَنَّى (رَيَّان) لَوْ

[1] جامعة هارفارد: أقدم مؤسسة جامعية في الولايات المتحدة الأمريكية وأكثر المؤسسات شهرة في العالم، تأسست سنة 1636م. تقع في مدينة هامبريدج بولاية ماساتشوستس.

أَسْعَفَهُ اَلْوَقْتُ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى اَلْجَمِيعِ، لَكِنْ شَخْصًا آخَر حَظِيَ بِاهْتِمَامِهِ وَفُضُولِهِ، لِكَوْنِهِ يُشْبِهُ رَفِيقَهُ اَلسَّابِقَ (سُونْغْ) بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ، مَادَامَ اَلْكَثِيرُ مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ اَلْمَنَاطِقِ اَلْآسْيَوِيَّةِ يَتَشَابَهُونَ فِي اَلصِّفَاتِ اَلْجَسَدِيَّةِ، وَحَتَّى فِي رُوحِ اَلْعَمَلِ اَلْجِدِّيِّ، وَالتَّفَانِي فِي اَلْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ، لَكِنَّهُ سَيَكْتَشِفُ لَا حَقًّا أَنَّ (هُومْ جُو) كُورِيُّ اَلْأَصْلِ وَلَيْسَ صِينِيًّا، وَسَيَتَفَاجَأُ أَكْثَرَ حِينَ يَتَبَادَلُ مَعَهُ اَلْحَدِيثَ فَيُحِيبُهُ اَلشَّابُّ بِكَلِمَاتٍ عَرَبِيَّةٍ فَصِيحَةٍ، وَهِيَ اَللُّغَةُ اَلَّتِي تَعَلَّمَهَا فِي جَامِعَةٍ بِـ (سُيُول) عَاصِمَةِ بِلَادِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ نَحْوَ أَمْرِيكَا لِيُكْمِلَ دِرَاسَاتِهِ اَلْمُعَمَّقَة فِي مَجَالِ اَلصِّنَاعَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ.

وَلَمْ يُخْفِ (رَيَّان) إِعْجَابَهُ أَيْضًا بِالْفَتَيَاتِ اَلْأَرْبَعِ اَلْمُنْظَمَّاتِ لِلْمَجْمُوعَةِ، وَلَمْ يَنْسَ اَللَّحْظَةَ اَلَّتِي عَبَّرَتْ فِيهَا إِحْدَاهُنَّ عَنْ سَعَادَتِهَا بِالْمُشَارَكَةِ وَتَحَمُّسِهَا لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ إِنْجَاحِ اَلْمُهِمَّةِ، وَتَأَثُّرِهَا اَلْبَلِيغِ بِعَدَمِ تَمَكُّنِ بَعْضٍ مِنْ رَفِيقَاتِهَا مِنْ اَلْحُضُورِ رَغْمَ رَغْبَتِهِنَّ اَلشَّدِيدَةِ فِي ذَلِكَ. كَانَتْ (كَاثْرِينُ) فِي عِقْدِهَا اَلثَّانِي، تَنْحَدِرُ مِنْ (فِنْلَنْدَا)، وَتُتَابِعُ دِرَاسَتَهَا فِي اَلْوِلَايَاتِ اَلْمُتَّحِدَةِ اَلْأَمْرِيكِيَّةِ، بَعْدَ مَسَارٍ دِرَاسِيٍّ جِدِّ مُتَمَيِّزٍ أَثْمَرَ حُصُولَهَا عَلَى شَوَاهِدَ عُلْيَا.

عُرِضَتْ عَلَيْهَا مَنَاصِبُ فِي شَرِكَاتٍ مَرْمُوقَةٍ بِبَلَدِهَا اَلْأُمّ، لَكِنَّ هَوَسَهَا اَلْكَبِيرَ بِالْعُلُومِ وَالتِّكْنُولُوجْيَا وَالِاخْتِرَاعَاتِ، دَفَعَهَا لِلسَّفَرِ إِلَى أَمْرِيكَا لِلتَّخَصُّصِ فِي مَجَالِ اَلصِّنَاعَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَحُلْمُهَا اَلْأَكْبَرُ هُوَ اَلْمُشَارَكَةُ فِي رِحْلَةٍ فَضَائِيَّةٍ عَلَى مَتْنِ مَرْكَبَةٍ تُشَارِكُ فِي صُنْعِهَا. كَانَتْ (كاثْرِينْ) نَمُوذَجًا لِلْفَتَاةِ اَلْمُثَابِرَةِ وَالطَّمُوحَةِ، وَكَانَتْ عَيْنَاهَا الزَّرْقَاوَيْنِ تَلْمَعَانِ بِبَرِيقِ اَلنُّبُوغِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ وَالذَّكَاءِ اَلْحَادِّ، تَمَامًا مِثْلَمَا هُوَ اَلْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِزَمِيلَاتِهَا اَلْأُخْرَيَاتِ وَاَللَّوَاتِي يَنْحَدِرْنَ مِنْ دُوَلٍ مُخْتَلِفَةٍ، بَعِيدَةٍ عَنْ بَعْضِهَا جُغْرَافْيَا، مُتَبَاينَةٍ فِي عَادَاتِهَا وَثَقَافَاتِهَا وَمُعْتَقَدَاتِهَا، لَكِنَّهُنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي اَلتَّفَوُّقِ اَلدِّرَاسِيِّ وَالنُّبُوغِ اَلْعِلْمِيِّ وَنُبْلِ اَلْأَخْلَاقِ، وَاَلَّتِي دَفَعَتْهُنَّ لِلِانْخِرَاطِ طَوَاعِيَةً فِي مَشْرُوعِ إِنْقَاذِ جُزْءٍ مِنْ كَوْكَبِ اَلْأَرْضِ، وَإِنْقَاذِ حَيَاةِ مَلَايِينِ اَلْبَشَرِ.

اِنْتَهَى اَلْيَوْمُ اَلْأَوَّلُ عَلَى وَقْعِ اِنْتِصَارٍ وَفَرَحٍ وَأَمَلٍ مُتَجَدِّدٍ، وَتَأَكَّدَ لِلْجَمِيعِ أَنَّ فِي اَلِاتِّحَادِ قُوَّةً، وَأَنَّ فِي اَلِانْقِسَامِ وَالتَّشَتُّتِ ضُعْفًا وَهَوَانًا. لَمْ يَسْتَطِعْ (رَيَّان) أَنْ يُبْعِدَ عَنْ عَقْلِهِ تِلْكَ اَلْفِكْرَةَ وَهُوَ يَهْمِسُ فِي أُذُنِ (زِيَاد) عِنْدَ مُغَادَرَتِهِمَا اَلْقَاعَةَ:

– مَاذَا سَيَخْسَرُ اَلنَّاسُ لَوْ تَعَاوَنُوا مِنْ أَجْلِ اَلْخَيْرِ؟ كَمْ سَيَكُونُ رَائِعًا لَوْ عَاشَ اَلْجَمِيعُ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ.

أَحَاطَ (زِيَاد) رَفِيقَهُ بِذِرَاعِهِ وَابْتَسَمَ فِي وِدٍّ وَهُوَ يُجِيبُهُ:

– تِلْكَ طَبِيعَةُ اَلْبَشَرِ يَا صَدِيقِي، هُنَاكَ اَلطَّيِّبُونَ وَهُنَاكَ اَلْأَشْرار. اَلْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّنَا لَسْنَا فِي اَلْجَانِبِ اَلسَّيِّئِ.

كَانَ اَلْوَقْتُ عَدُوّهُمْ اَلْأَوَّلَ وَالْأَخِيرَ، تَبَقَّتْ حَوَالَيْ سَبْعَة أَيَّامٍ عَلَى اَلْمَوْعِدِ اَلْمُحَدَّدِ، وَلَا شَيْءَ يَلُوحُ فِي اَلْأُفُقِ مِنْ تَضَامُنٍ عَالَمِيٍّ عَلَى مُسْتَوَى اَلدُّوَلِ اَلْكُبْرَى خَاصَّةً، وَاَلَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ بِالْحَقِيقَةِ وَيُتَابِعُونَ بِدِقَّةِ مَسَارَ اَلْمَرْكَبَةِ اَلْقُنْبُلَةِ، لَكِنَّهُمْ يَتَغَاضَوْنَ عَنْ تَقْدِيمِ اَلْمُسَاعَدَةِ مَادَامَ اَلْخَطَرُ بَعِيدًا عَنْهُمْ.

اِلْتَحَقَ (رَيَّان) و(زِيَاد) و(رَاجِيفْ) و(هُون جُو) و(فلَادِيمِيرْ) وَالْآخَرُونَ بِقَاعَةِ اَلْعَمَلِيَّاتِ فِي يَوْمِهِمْ اَلثَّانِي. عَلَى شَاشَةِ اَلْعَرْضِ اَلرَّئِيسِيَّةِ، عُرِضَ تَسْجِيلٌ مُصَوَّرٌ لِلْجِنرَالِ (مُحَمَّد)، أَخْبَرَهُمْ عَنْ غِيَابِهِ بِسَبَبِ مُهِمَّةٍ خَاصَّةٍ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِنَبْرَةٍ حَازِمَةٍ لِلْحَسْمِ فِي طَرِيقَةِ اِعْتِرَاضِ اَلْمَرْكَبَةِ، مَادَامَ اَلْوَقْتُ لَيْسَ فِي صَالِحِهِمْ، وَإِعْدَادِ تَقْرِيرٍ مُفَصَّلٍ لِخُطَّةِ اَلْحَسْمِ اَلنِّهَائِيِّ.

تَسَارَعَتْ وَتِيرَةُ اَلْعَمَلِ، فَقَدْ كَانَتْ تَعْلِيمَاتُ اَلْجِنِرَالِ اَلْأَخِيرَةُ وَاضِحَةً وَحَازِمَةً، وَوَضَعَتِ اَلْفَرِيقَ بِأَكْمَلِهِ أَمَامَ تَحَدٍّ جَدِيدٍ وَمَصِيرِيٍّ. تَوَزَّعُوا عَلَى شَكْلِ مَجْمُوعَاتٍ، بِحَيْثُ ضَمَّتْ كُلُّ مَجْمُوعَةٍ أَصْحَابَ اِخْتِصَاصَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَاقْتَرَحَ (زِيَاد) أَنْ تَعْمَلَ كُلُّ مَجْمُوعَةٍ عَلَى صِيَاغَةِ تَقْرِيرٍ يَضُمُّ خُلَاصَاتِهَا اَلنِّهَائِيَّةَ. وَفِي حَالَةِ وُجُودِ خُلَاصَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمْ، فَسَيَتِمُّ تَبَنِّيهَا وَتَقْدِيمُهَا لِلْمَسْؤُولِين. تَحَمَّسَ اَلْحَاضِرُونَ لِلْفِكْرَةِ، وَأَبَانُوا عَنْ قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنْ اَلنُّضْجِ وَالْوَعْيِ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ وَهُمْ يَتَوَزَّعُونَ دَاخِلَ خَمْسِ مَجْمُوعَاتٍ، وَيُوَزِّعُونَ اَلْمَهَامَّ بَيْنَهُمْ.

فِي خِضَمِّ اَلْعَمَلِ اَلْجِدِّيِّ وَالدَّقِيقِ، تَعَالَى صَوْتُ أَحَدِ اَلشُّبَّانِ وَهُوَ يَسْأَلُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ:

– أَلَّا يَجْدُرُ بِنَا تَحْدِيدُ نَوْعِ اَلْمَرْكَبَةِ اَلَّتِي تَحْمِلُ اَلصَّارُوخَ اَلْمُدَمِّرَ، وَمَصْدَرَهَا، وَكُلَّ اَلْأُمُورِ اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا؟ سَيَكُونُ ذَلِكَ مُفِيدًا لِوَضْعِ خُطَّةٍ لِلتَّعَامُلِ مَعَهَا.

أَجَابَهُ (زِيَاد) بِسُرْعَةٍ:

– لَا نَمْلِكُ صُوَرًا شَدِيدَةَ اَلْوُضُوحِ لِلْمَرْكَبَةِ، كُلُّ مَا نَعْرِفُهُ أَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مُتَطَوِّرَةٌ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْرِفَةَ شَكْلِهَا وَمَصْدَرِهَا سَيَصْنَعُ فَارِقًا.

تَدَخَّلَ (هُومْ جُونْ) فِي اَلْحِوَارِ وَرَدَّدَ بِجِدِّيَّةٍ:

– لَا أَتَّفِقُ مَعَكَ يَا (زِيَاد)، فَلَوْ كَانَتِ اَلْمَرْكَبَةُ مِنْ طِرَازِ (سْبِّيسْ1)[1]، فَإِنَّنَا سَنَكُونُ أَمَامَ مُشْكِلَةٍ كَبِيرَةٍ.

خَلَّفَتْ عِبَارَةُ اَلشَّابِّ اَلْكُورِيِّ أَثَرًا بَلِيغًا فِي نُفُوسِ اَلْجَمِيعِ، فَتَطَلَّعُوا إِلَيْهِ بِانْتِبَاهٍ وَقَلَقٍ يَتَرَقَّبُونَ سَمَاعَ تَوْضِيحٍ جَدِيدٍ مِنْهُ، فَأَرْدَفَ بِنَفْسِ اَلْجِدِّيَّةِ:

– هَذَا اَلنَّوْعُ مِنَ اَلْمَرْكَبَاتِ يَنْتَمِي لِلْجِيلِ اَلْجَدِيدِ، وَيُعَدَّ طَفْرَةً فِي مَجَالِ اَلصِّنَاعَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَيَتَمَيَّزُ أَسَاسًا بِصِفَاتِ اَلْأَمَانِ اَلْكَبِيرَةِ اَلَّتِي يَتَوَفَّرُ عَلَيْهَا. فَبِالْإِضَافَةِ إِلَى اَلْهَيْكَلِ اَلْخَارِجِيِّ اَلْمَصْنُوعِ مِنَ التِّيتَانْيُومِ[2]، تَمْلِكُ هَذِهِ الْمَرْكَبَاتُ القُدْرَةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ أَقْسَى اَلظُّرُوف، وَقُدُرَاتٍ مُتَمَيِّزَةً عَلَى اَلْمُنَاوَرَةِ، وَعَلَى اَلتَّمْوِيهِ أَيْضًا.

– اَلتَّمْوِيهُ... مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) مُنْدَهِشًا.

---

[1] سبيس 1: مجرد اسم خيالي ولا وجود لمركبات فضائية بهذا الاسم.

[2] التيتانيوم: فلز ذو لون فضي لامع، متين ومقاوم للتآكل، وتستخدم سبائك التيتانيوم في صناعة الطيران والفضاء.

– لَا يُمْكِنُ لِأَيَّةِ صَوَارِيخَ مُوَجَّهَةٍ أَنْ تُصِيبَ هَذِهِ اَلْمَرْكَبَات، لِكَوْنِهَا تُطْلِقُ مُجَسَّمَاتٍ حَرَارِيَّةً لِلتَّمْوِيهِ عَنْ مَوْقِعِهَا اَلْحَقِيقِيِّ، فَتَنْفَجِرُ اَلصَّوَارِيخُ اَلْمُضَادَّةُ فِي اَلْمُجَسَّمَاتِ اَلْحَرَارِيَّةِ بَيْنَمَا تَسْتَمِرُّ اَلْمَرْكَبَةُ فِي مَسَارِهَا بِكُلِّ اِنْسِيَابِيَّةٍ.

تَدَخُّلٌ (فلَادِيمِيرْ) بِنَبْرَةِ صَوْتِهِ اَلْمُعْتَادَةِ وَمَلَامِحِ وَجْهِهِ اَلْجَامِدَةِ لِيُرَدِّدَ بِثِقَةٍ:

– هَذَا يَعْنِي أَنَّنَا لَنْ تَسْتَطِيعَ اِعْتِرَاضَ اَلْمَرْكَبَةِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ اَلْأَشْكَالِ.

كَانَتْ نَبْرَةُ اَلْيَأْسِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَاضِحَةً فِي حَدِيثِ (فلَادِيمِيرْ)، وَلَعَلَّهَا خَلَّفَتْ وَقْعًا سَيِّئًا فِي نُفُوسِ اَلْجَمِيعِ، وَاَلَّذِينَ رَكَنُوا إِلَى اَلصَّمْتِ وَهُمْ يُحَاوِلُونَ تَقْيِيمَ اَلْمَوْقِفِ. وَحْدَهُ (زِيَاد) مَنْ صَرَخَ فِي وُجُوهِهِمْ بِحَمَاس:

– هَيَّا يَا رِفَاقْ! لَا تَتْرُكُوا اَلْيَأْسَ يُسَيْطِرُ عَلَيْكُمْ. لَسْنَا مُتَأَكِّدِينَ مِنْ نَوْعِ اَلْمَرْكَبَةِ بَعْد، فَلَا دَاعِي لِاسْتِبَاقِ اَلْأُمُورِ.

– وَمَاذَا لَوْ كَانَتْ مِنْ هَذَا اَلنَّوْع؟ تَسَاءَلَ أَحَدُهُمْ، وَكَانَ سُؤَالُهُ مَشْرُوعًا وَمَنْطِقِيًّا وَلَعَلَّهُ تَرَدَّدَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ جَمِيعًا.

فَمَا كَانَ مِنْ (رَيَّان) إِلَّا أَنَّ صَرَخَ بِدَوْرِهِ مَدْفُوعًا بِحَمَاسٍ وَتَوَتُّرٍ مَعًا:

– يُفْتَرَضُ بِنَا مَعْرِفَةَ طَبِيعَةِ هَذِهِ اَلْمَرْكَبَةِ إِذَنْ، وَبَعْدَهَا يَتِمُّ تَقْيِيمُ اَلْمَوْقِفِ.

– نَعَم.

– صَحِيح.

– أَتَّفِقُ مَعَكَ.

– نَعَم.

– فِعْلًا...

تَعَالَتْ صَيْحَاتُ اَلتَّأْيِيدِ لِفِكْرَةِ (رَيَّانْ)، بَيْنَمَا تَوَجَّهَ كُلٌّ مِنْ (رَاجِيفْ) و (عَمْرو) و (خَالِد) نَحْوَ اَلتِّلِسْكُوبِ اَلْمُتَطَوِّرِ وَاَلَّذِي لَمْ يُسْتَخْدَمْ بَعْدُ، وَوَقَفُوا قُرْبَهُ يَتَأَمَّلُونَهُ بِاهْتِمَامٍ. ثُمَّ رَدَّدَ (عَمْرو) بِحَزْمٍ:

– آنُ اَلْأَوَانُ لِاسْتِخْدَامِ هَذَا اَلْعِمْلَاقِ.

عَلَّقَ (زِيَاد) عَلَى اِقْتِرَاحِهِ بِقَوْلِهِ:

– لَمْ يَسْبِقْ اِسْتِخْدَامُهُ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ تَمَّ جَلْبُهُ مُؤَخَّرًا لِهَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ، وَمَا زَالَ فِي طَوْرِ اَلتَّجْرِيبِ، كَمَا أَنَّ خُبَرَاءَنَا أَكَّدُوا عَلَى حَاجَتِهِ لِبَرْمَجَةٍ جَدِيدَةٍ قَبْلَ بَدْءِ اَلِاسْتِعْمَالِ و...

قَاطَعَهُ (رَاجِيف) وَهُوَ يُشَمِّرُ عَنْ سَاعِدَيْهِ:

– لَا وَقْتَ لَدَيْنَا يَا (زِيَاد)، لِذَا سَنَتَكَلَّفُ نَحْنُ بِبَرْمَجَتِهِ. هَيَّا يَا شَبَاب!!

اِنْتَابَ (رَيَّان) إِحْسَاسٌ غَرِيبٌ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ (رَاجِيف) وَرَفِيقَيْهِ مُنْهَمِكَيْنِ فِي بَرْمَجَةِ اَلتِّلِسْكُوبِ اَلْعِمْلَاقِ، فَكَأَنَّهُ عَاشَ هَذَا اَلْمَشْهَدَ مِنْ قَبْلُ، وَسُرْعَانَ مَا تَذْكُرَ رَفِيقَهُ اَلسَّابِقَ (سُونْغْ) وَاَلَّذِي دَفَعَ حَيَاتَهُ ثَمَنًا بَعْدَمَا كَشَفَ اَلْحَقِيقَةَ.

تَمَكَّنَ اَلشُّبَّانُ مِنْ تَشْغِيلِ اَلتِّلِسْكُوبِ وَأَطْلَقُوا صَيْحَاتِ اَلنَّصْرِ، بَيْنَمَا خَفَقَتِ اَلْقُلُوبُ فِي قُوَّةٍ تَتَرَقَّبُ اَلنَّتِيجَةَ اَلْمَصِيرِيَّةَ. بَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَتَدَخُّلَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ لِلتَّعْدِيلِ وَالتَّدْقِيقِ، تَمَكَّنَ اَلتِّلِسْكُوبُ أَخِيرًا مِنْ عَرْضِ صُورَةٍ وَاضِحَةٍ لِلْمَرْكَبَةِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَتَكَلَّفَ (هُومْ جُونْ) بِالْبَاقِي وَهُوَ يُخْبِرُ اَلْجَمِيعَ بِأَنَّ تَوَقُّعَاتِهِ كَانَتْ صَحِيحَةً لِلْأَسَفِ، فَتِلْكَ اَلْمَرْكَبَةُ كَانَتْ فِعْلًا مِنْ طِرَازِ (سْبِّيسْ 1).

كَانَ مِنَ اَلْمُسَلَّمِ بِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، أَنَّ اَلطَّرِيقَةَ اَلْوَحِيدَةَ لِتَحْيِيدِ اَلْخَطَرِ هِيَ اَلِاسْتِعَانَةُ بِصَوَارِيخَ مُوَجَّهَةٍ لِتَدْمِيرِ اَلْهَدَفِ فَوْرَ اِقْتِرَابِهِ مِنْ اَلْغِلَافِ اَلْجَوِّيِّ لِلْأَرْضِ، أَوْ حَتَّى تَجَاوُزِهِ بِقَلِيلٍ عَلَى حَسَبِ اَلْقُدُرَاتِ اَلْمُتَوَفِّرَةِ فِي اَلصَّوَارِيخِ اَلْمُضَادَّةِ.

وَلِهَذَا تَمَّ تَكْلِيفُ قَادَةِ عَسْكَرِيِّينَ بِالسَّهَرِ عَلَى اَلْمُهِمَّةِ وَالْإِشْرَافِ عَلَيْهَا، وَتَسَلُّمِ اَلتَّقَارِيرَ اَلنِّهَائِيَّةَ وَاَلَّتِي عَلَى ضَوْئِهَا سَتَصْدُرُ اَلْأَوَامِرُ لِلْقُوَّاتِ اَلْجَوِّيَّةِ مِنْ أَجْلِ اَلتَّصَدِّي لِلْمَرْكَبَةِ اَلْمُحَمَّلَةِ بِالسِّلَاحِ اَلنَّوَوِيِّ. لَكِنَّ اِكْتِشَافَهُمْ اَلْأَخِيرَ خَلْخَلَ كُلَّ مُسَلَّمَاتِهِمْ، وَرَمَى بِهِمْ نَحْوَ اَلْمَجْهُولِ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ:

– مَاذَا سَنَفْعَلُ اَلْآن؟

صَرَخَتْ (فَاطِمَة) وَهِيَ إِحْدَى اَلْمُشَارِكَاتِ فِي اَلْمُهِمَّةِ، وَالْقَادِمَة مِنْ (إِنْدُونِيسْيَا)، بِمَا يَجُولُ فِي خَاطِرِهِمْ جَمِيعًا، وَهِيَ تَسْأَلُ بِاهْتِمَامٍ:

– مَاذَا سَنَفْعَلُ اَلْآن؟

أَجَابَ (فلَادِيمِيرْ) بِسُرْعَةٍ:

– سَنَسْتَبْعِدُ اَلِاحْتِمَالَ اَلْمُتَعَلِّقَ بِالتَّصَدِّي لِلْمَرْكَبَةِ، وَسَنَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ أُخْرَى، هَذَا بَدِيهِيٌّ.

اِسْتَفَزَّ بُرُودَهُ بَعْضَهُمْ، وَخَاصَّةً (غَسَّان) اَلَّذِي صَرَخَ بِحُرْقَةٍ:

– تَتَحَدَّثَ بِهُدُوءٍ وَبُرُودٍ قَاتِلٍ كَأَنَّ اَلْأَمْرَ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَصِيرِ مَلَايِينِ اَلْبَشَرِ.

اِبْتَسَمَ (فلَادِيمِيرْ) وَأَجَابَهُ بِذَاتِ اَلْهُدُوءِ:

– أَتَحَدَّثُ عَنِ اَلْوَاقِعِ يَا رَفِيقِي، وَلَا عَلَاقَةَ لِذَلِكَ بِالْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ.

كَادَ (غَسَّان) يَنْفَجِرُ فِي وَجْهِهِ مِنْ جَدِيدٍ، هُوَ اَلَّذِي اِشْتَعَلَتِ اَلنَّارُ بِدَاخِلِهِ وَلَمْ يَتَحَمَّلْ طَرِيقَةَ (فلَادِيمِيرْ) فِي اَلْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّ (زِيَادْ) تَدَخَّلَ بِقُوَّةٍ وَحَزْمٍ:

– اِهْدَأْ يَا (غَسَّان). (فلَادِيمِيرْ) يَشْعُرُ بِالْقَلَقِ مِثْلَنَا، لَكِنَّ مَلَامِحَهُ لَا تُنْبِئُ عَمَّا يَشْعُرُ بِهِ عَلَى خِلَافِنَا نَحْنُ. لَا تَنْسَ أَنَّهُ قَادِمٌ مِنْ بِلَادٍ تَتَجَمَّدُ فِيهَا اَلْأَجْسَادُ وَالْمَشَاعِرُ أَيْضًا. لَكِنَّهُ مُحِقٌّ فِي كَلَامِهِ، نَحْتَاجُ إِلَى خُطَّةٍ بَدِيلَةٍ وَمُسْتَعْجَلَةٍ.

سَرَتْ هَمْهَمَاتٌ بَيْنَ اَلْمُتَوَاجِدِينَ فِي اَلْقَاعَةِ، لَمَسَ (زِيَادُ) فِي تَصَرُّفِهِمْ نَوْعًا مِنَ اَلتَّذَمُّرِ وَالْإِحْبَاطِ، فَبَعْدَ كُلِّ اَلْجُهُودِ اَلْمَبْذُولَةِ يَصْطَدِمُونَ بِحَجَرِ عَثْرَةٍ قَدْ يُعِيدُهُمْ إِلَى نُقْطَةِ اَلصِّفْرِ، لِذَا قَرَّرَ أَنْ

يَتَدَخَّلَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ اَلْأَمْرُ وَيَسْتَبِدَّ بِهِمْ اَلْقُنُوطُ فَتَضْعُفَ هِمَّتُهُمْ، وَتُشَلَّ عُقُولُهُمْ، وَيَسْتَسْلِمُونَ. فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

– يَا رِفَاق!! لِنُفَكِّرْ جَمِيعُنَا بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ، لَعَلَّنَا نَتَوَصَّلُ إِلَى اَلْحَلِّ بَيْنَ خَلِيطِ اَلْأَفْكَارِ اَلْعَشْوَائِيَّةِ.

– نَنْتَظِرُ تَجَاوُزَ اَلْمَرْكَبَةِ اَلْغِلَافَ اَلْجَوِّيَّ لِلْأَرْضِ، وَدُخُولَهَا اَلْأَجْوَاءَ اَلْإِقْلِيمِيَّةَ لِـ (مِصْر)، فَتَتَعَامَلَ مَعَهَا اَلطَّائِرَاتُ اَلْحَرْبِيَّةُ اَلْمُتَطَوِّرَةُ وَالتَّابِعَةُ لِسِلَاحِ اَلْجَوِّ اَلْمِصْرِيِّ، دُونَ أَنْ تَمْتَلِكَ اَلْقُدْرَةَ عَلَى اَلْمُنَاوَرَةِ. تَحَدَّثَ أَحَدُهُمْ.

– قُدْرَةُ اَلْمَرْكَبَةِ عَلَى اَلتَّمْوِيهِ، تَسْتَمِرَّ إِلَى لَحْظَةِ هُبُوطِهَا عَلَى اَلْأَرْضِ، أَيُّ اِسْتِهْدَافٍ بِالصَّوَارِيخِ فِي مَجَالٍ جَوِّيٍّ مُمَاثِلٍ، يَعْنِي أَنْ تَزِيدَ اَلطِّينَ بِلَّةً، وَسَتَتَوَجَّهُ اَلصَّوَارِيخُ اَلْهُجُومِيَّةُ مُبَاشَرَةً نَحْوَ اَلْأَرْضِ بِطَرِيقَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ، لِتَزِيدَ مِنْ حَجْمِ اَلدَّمَارِ وَالْخَسَائِر. أَجَابَ (هُومْ جُونْ) بِسُرْعَةٍ.

- لِمَاذَا لَا نَسْتَعِينُ بِكَائِنَاتٍ فَضَائِيَّةٍ؟ رُبَّمَا يَمْلِكُ اَلْفَضَائِيُّونَ تِكْنُولُوجْيَا أَكْثَرَ تَطَوُّرًا مِنْ عَالَمِنَا وَسَيُقَدِّمُونَ اَلْمُسَاعَدَةَ اَلْمَطْلُوبَةَ.

اِلْتَفَتَ اَلْجَمِيعَ نَحْوَ مَصْدَرِ اَلصَّوْتِ، وَرَمَقُوا اَلشَّابَّ بِنَظَرَاتٍ غَاضِبَةٍ، وَهُمْ يَسْتَهْجِنُونَ مُزْحَتَهُ اَلْخَارِجَةَ عَنْ اَلسِّيَاقِ، وَاَلَّتِي لَا تُنَاسِبُ اَلْمَوْقِفَ اَلَّذِي يَعِيشُونَهُ. وَلَمْ يَتَمَالَكْ (عَمْرو) نَفْسَهُ وَهُوَ يَصْرُخُ فِي وَجْهِهِ بِانْفِعَالٍ:

– أَتَظُنُّ فِعْلًا أَنَّ هَذَا هُوَ اَلْوَقْتُ اَلْمُنَاسِبُ لِلْمُزَاحِ؟

اِكْتَسَى وَجْهُ اَلشَّابِّ بِحُمْرَةِ اَلْخَجَلِ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ حَرَكَاتٌ لَاإِرَادِيَّةٌ تُنْبِئُ عَنْ تَوَتُّرِهِ اَلشَّدِيدِ، قَبْلَ أَنْ يُرَدِّدَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

– لَمْ أَقْصِدِ اَلِاسْتِخْفَافَ بِعُقُولِكُمْ، لَكِنَّنِي وَمُنْذُ سَنَوَاتٍ كُنْتُ مُنْشَغِلًا بِالْبَحْثِ فِي مَوْضُوعِ اَلْكَائِنَاتِ اَلْفَضَائِيَّةِ، وَرُبَّمَا تَحَمَّسْتُ أَكْثَرُ مِنْ اَللُّزُومِ، فَعَرَضْتُ أَمَامَكُمْ وِجْهَةَ نَظَرِي رَغْمَ غَرَابَتِهَا.

– هَلْ تَعْتَقِدُ حَقًّا بِوُجُودِ مَخْلُوقَاتٍ فِي اَلْفَضَاءِ؟ هَلْ هُنَاكَ عَوَالِمُ أُخْرَى نَجْهَلُهَا، وَرُبَّمَا تَكُونُ أَكْثَرَ تَطَوُّرًا مِنْ عَالَمِنَا؟ سَأَلَهُ (رَيَّان) بِاهْتِمَامٍ، لِيُعِيدَ لَهُ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، لِيُشْبِعَ اَلْفُضُولَ اَلَّذِي اِسْتَبَدَّ بِهِ وَهُوَ يَسْمَعُ كَلَامَ اَلشَّابِّ عَنْ مَوْضُوعٍ فَكَّرَ فِيهِ بِدَوْرِهِ فِي سَنَوَاتٍ خَلَتْ. أجابَ الشَّابُّ بِجِدِّيَةٍ:

- مُنْذُ سنة 1974، أرْسَلَ العُلَماءُ رِسَالةً إلَى الْفَضَاءِ مِنْ خِلالِ تِلِسْكُوبٍ مَوْجُودٍ فِي (بُورْتُو رِيكُو)[1]، وَتَضُمُّ اَلرِّسَالَةُ مَجْمُوعَةً مِنَ اَلْمَعْلُومَاتِ عَنِ اَلْأَرْضِ وَالنِّظَامِ اَلشَّمْسِيِّ وَشَكْلِ اَلْحِمْضِ اَلنَّوَوِيِّ لِلْبَشَرِ، إضَافَةً إلَى مَعْلُومَاتٍ عَنِ اَلتِّلِسْكُوبِ اَلْمُسْتَخْدَمِ فِي اَلْعَمَلِيَّةِ. وَمُؤَخَّرًا تَمَّ إرْسَالُ رِسَالَةٍ جَدِيدَةٍ، تَضُمُّ مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ عَنِ اَلْحَيَاةِ فِي اَلْأَرْضِ وَعَنِ اَلْإِنْسَانِ، وَكَانَتِ اَلْغَايَةُ مِنْ هَذِهِ اَلرَّسَائِلِ هِيَ اَلتَّوَاصُلُ مَعَ سُكَّانٍ مُحْتَمَلِينَ فِي اَلْفَضَاءِ و...

قَاطَعَهُ أَحَدُهُمْ بِلَهْفَةٍ:

– وَهَلْ تَلَقَّى اَلْعُلَمَاءُ رَدًّا مَا؟

– لِحَدِّ اَلسَّاعَةِ لَيْسَ هُنَاكَ رَدٌّ وَاضِحٌ، أَوْ رَسَائِلُ مُشَابِهَةٌ. لَكِنْ، وَمُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، كَانَتْ هُنَاكَ ظَوَاهِرُ غَرِيبَةٌ تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ شَيْءٍ مَا فِي اَلْفَضَاءِ.

تَدَخَّلَ (زِيَاد) فِي اَلْحِوَارِ مُوَجِّهًا حَدِيثَهُ لِلْحَاضِرِينَ جَمِيعِهِمْ:

---

[1] بورتو ريكو: من الجزر التي تتبع للولايات المتحدة الأمريكية، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية من بحر الكاريبي. عاصمتها "سان خوان".

– عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَا يُمْكِنُنَا اَلِاعْتِمَادُ عَلَى فَرْضِيَّاتٍ، وَبِالرَّغْمِ مِنِ اِحْتِرَامِي لِرَأْيِكَ وَتَقْدِيرِي لِحَمَاسِكَ، فَلَا يُمْكِنُنِي اِعْتِمَادُ هَذَا اَلرَّأْيِ لِصُعُوبَتِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ فِي ظِلِّ اَلظُّرُوفِ اَلْحَالِيَّةِ.

وَضَعَتْ كَلِمَاتُ (زِيَاد) نِهَايَةً لِذَلِكَ اَلْمَوْضُوعِ اَلَّذِي اِسْتَثَارَ خَيَالَ اَلْحَاضِرِينَ، وَأَعَادَ بَعْضَهُمْ سَنَوَاتٍ إِلَى اَلْوَرَاءِ، حَيْثُ كَانَ اَلسُّؤَالُ يَتَرَدَّدُ فِي عُقُولِهِمْ اَلصَّغِيرَةِ مِرَارًا: –هَلْ يُوجَدُ فَضَائِيُّونَ حَقًّا؟

بَعْدٌ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ مِنْ اَلصَّمْتِ، عَادَتْ عَجَلَةَ اَلِاقْتِرَاحَاتِ لِتَدُورَ مِنْ جَدِيدٍ، حَيْثُ تَدَخَّلَتْ (كَاثْرِينْ)، اَلْفَتَاةُ اَلْفِنْلَنْدِيَّةُ لِتُدْلِي بِرَأْيِهَا قَائِلَةً:

– مَاذَا لَوِ اسْتَعَنَّا بِمَرْكَبَةٍ فَضَائِيَّةٍ مُمَاثِلَةٍ لِاعْتِرَاضِ اَلْمَرْكَبَةِ اَلْمُدَمِّرَةِ؟

كَانَ اَلِاقْتِرَاحُ مُثِيرًا لِلِانْتِبَاهِ، وَدَفَعَهُمْ لِلتَّفْكِيرِ فِي تَفَاصِيلِهِ وَحَيْثِيَّاتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ (فلَادِيمِيرْ):

– اَلِاسْتِعَانَةُ بِمَرْكَبَةٍ فَضَائِيَّةٍ جَدُّ مُكَلِّفٍ، وَمَاذَا عَنْ رُوَّادِ اَلْفَضَاءِ اَلَّذِينَ سَيُشَارِكُونَ فِي اَلْمُهِمَّةِ؟ أَعْلَمُ جَيِّدًا بِأَنَّ كُلَّ اَلدُّوَلِ اَلْكُبْرَى رَفَضَتْ تَقْدِيمَ اَلْمُسَاعَدَةِ.

لَمْ يَنْتَظِرْ (زِيَاد) طَوِيلًا لِيَرُدَّ عَلَى أَسْئِلَةِ (فلَادِيمِيرْ)، دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ إِخْفَاءَ نَبْرَةِ اَلْفَخْرِ فِي صَوْتِهِ:

– بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْكَبَةِ اَلْفَضَائِيَّةِ يُمْكِنُ تَوْفِيرُهَا، لَدَيْنَا إِمْكَانِيَّاتٌ مَالِيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَلَنْ يُشَكِّلَ اَلْأَمْرُ عَائِقًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا. أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُشْكِلِ اَلثَّانِي، فَنَحْنُ أَيْضًا نَمْلِكُ رُوَّادَ فَضَاءٍ.

اِرْتَسَمَتْ إِمَارَاتُ الدَّهْشَةِ عَلَى وُجُوهِ الْبَعْضِ، قَبْلَ أَنْ يَصْرُخَ (فَوَّازُ) بِحَماسٍ:

- نَعَمْ. صَحِيح!! لا يُمْكِنُ نِسْيانُ (هَزَّاعْ المَنْصُوري[1]) رائِدُ الفَضاءِ الإِمَاراتِي الذِي قَامَ بِرِحْلَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ إِلَى مَحَطَّةِ الْفَضاءِ الدَّوْلِيَةِ. ورائِدةُ الْفضَاءِ السَّعُودِيَة (رَيَّانَة بَرْنَاوي)[2] وهِي أَوَّلُ رائِدةِ فَضاءٍ عَرَبِيَّةٌ، و(عِلِي القَرْنِي) أَيْضًا...

– صَحِيح يَا (فَوَّاز)، وَمَا زِلْنَا نَعْمَلُ عَلَى تَكْوِينِ رُوَّادِ فَضَاءٍ جُدُدٍ. تَحَدَّثَ (زِيَاد) بِنَبْرَةِ اَلْفَخْرِ ذَاتِهَا.

---

[1] هزاع علي المنصوري: رائد فضاء إماراتي، قام سنة 2019 برحلة إلى محطة الفضاء الدولية، في تجربة تعد الأولى على الصعيد العربي.

[2] ريانة برناوي وعلي القرني: رائدا فضاء سعوديين انطلقا في رحلة إلى محطة الفضاء الدولية سنة 2023.

عَلَّقَ (رَيَّان) بِدَوْرِهِ:

– لَكِنَّ اَلِاسْتِعَانَةَ بِمَرْكَبَةٍ فَضَائِيَّةٍ لِاعْتِرَاضِ مَرْكَبَةٍ أُخْرَى لَيْسَ بِالْأَمْرِ اَلْهَيِّنِ بَلْ يَكَاد يَعْدُو مُسْتَحِيلًا مِنْ اَلنَّاحِيَةِ اَلْعِلْمِيَّةِ، فَهُنَاكَ تَوَازُنٌ فِي اَلسُّرْعَةِ بَيْنَ اَلْمَرْكَبَتَيْنِ، بَيْنَمَا يَحْتَاجُ اَلْجِسْمُ اَلْمُهَاجِمُ لِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ مِنْ اَلْهَدَفِ. عِلَاوَةً عَلَى أَنَّ خَاصِّيَّةَ اَلتَّمْوِيهِ اَلْمُتَوَفِّرَةِ فِي اَلْمَرْكَبَتَيْنِ مَعًا، سَتَمْنَعُهُمَا مِنْ اَلِاصْطِدَامِ.

– مَاذَا سَنَفْعَلُ إِذَن؟ تَسَاءَلَ أَحَدُهُمْ، لِيُعِيدَهُمْ إِلَى نُقْطَةِ اَلصِّفْرِ مِنْ جَدِيدٍ.

اِسْتَسْلَمُوا لِعَجْزِهِمْ، وَرَكَنُوا لِلصَّمْتِ، لَكِنَّ عُقُولَهُمْ كَانَتْ تَغْلِي بِعَشَرَاتِ اَلْأَفْكَارِ وَالتَّحْلِيلَاتِ وَالْفَرَضِيَّاتِ وَالِاسْتِنْتَاجَاتِ، دُونَ أَنْ يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلَى اَلْبَوْحِ بِمَا يَعْتَمِلُ فِي نَفْسِهِ خِشْيَةَ تَكْرِيسِ مَشَاعِرِ اَلْإِحْبَاطِ فِي نُفُوسِ رِفَاقِهِ.

وَتَطَلَّعَتْ عُيُونُهُمْ إِلَى اَلشَّاشَةِ اَلضَّخْمَةِ وَاَلَّتِي تَنْقُلُ صُوَرًا حَيَّةً لِلْمَرْكَبَةِ اَلْفَضَائِيَّةِ يَنْقُلُهَا اَلتِّلِسْكُوبُ اَلْعِمْلَاقُ، وَعَلَى اَلْجَانِبِ كَانَتْ تُعْرَضُ مُؤَشِّرَاتُ اَلسُّرْعَةِ، وَمُسْتَوَيَاتِ اَلِانْحِرَافِ، وَتَغَيُّرَاتُ اَلْحَجْمِ وَالْكُتْلَةِ، وَاَلَّتِي تَتَغَيَّرُ بِصِفَةٍ سَرِيعَةٍ وَتَزِيدُ مِنْ تَعْقِيدِ اَلْأُمُورِ. اِقْتَنَعَ

(زِيَادْ) فِي تِلْـكَ اَللَّحْظَـةِ بِحَـاجَتِهِمْ إِلَى اَلْمُسَـاعَدَةِ، أَوْ بِالْأَحْـرَى إِلَى شُـحْنَةٍ جَدِيـدَةٍ مِـنْ اَلتَّشْـجِيعِ وَالـدَّعْمِ، وَدُفْعَـةٍ مُتَجَـدِّدَةٍ مِـنْ اَلْحَمَـاسِ وَالْأَمَلِ. كَانَ يَعْلَمُ جَيِّدًا قُدُرَاتِ فَرِيقِهِ، وَيَنْظُرُ بِعَيْنِ اَلْإِعْجَابِ لِأُولَئِكَ اَلشَّبَابِ اَلَّـذِينَ حَبَاهُمْ اَللَّهُ بِقُـدُرَاتٍ عَقْلِيَّةٍ وَمَهَـارَاتٍ مُتَفَـرِّدَةٍ، فَتَبَـوَّؤُا دَرَجَـاتٍ عَالِيَّـةً مِـنَ اَلنُّبُـوغِ وَالْعَبْقَرِيَّـةِ، لَكِـنَّ وَاقِـعَ اَلْحَـالِ رُبَّمَـا يَتَجَـاوَزُ طَـاقَتَهُمْ وَقُـدُرَاتِهِمْ، وَمَهْمَـا بَلَغُـوا مِـنْ مُسْـتَوَيَاتٍ مُتَمَيِّـزَةٍ فِي اَلْعِلْـمِ وَالتِّكْنُولُوجْيَا، فَإِنَّ خِبْرَتَهُمْ فِي اَلْحَيَاةِ تَبْقَى مَحْدُودَةً، وَهُمْ يَحْتَاجُونَ اَلْآنَ لَمِنْ يَفُوقُهُمْ سِنًّا وَتَجْرِبَةً، كَمَا يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا لِلْأَبِ فِي حَيَاتِهِ، أَوْ لِلْأُمِّ، وَحَتَّى لِلْأَجْدَادِ حِينًا. فَقَرَّرَ أَنْ يُجْرِيَ اَلِاتِّصَالَ بِالْجِنِرَالِ، وَهُوَ مَا فَعَلَـهُ، مُتَّبِعًـا إِرْشَـادَاتِ اَلسَّـلَامَةِ اَلَّـتِي تَعَلَّمَهَـا لِيَتَجَنَّـبَ أَيَّـةَ مُحَاوَلَـةٍ لِلتَّنَصُّـتِ عَلَـى اَلْمُكَالَمَـةِ، وَمُسْـتَعْمِلًا خَطًّـا آمِنًـا لِلِاتِّصَـالِ، وَهَاتِفًـا يَعْمَلُ بِالْأَقْمَارِ اَلصِّنَاعِيَّةِ .

بِكَلِمَاتٍ مُقْتَضَبَةٍ وَبِنَبْرَةِ اِحْتِرَامٍ، خَاطَبَ (زِيَادْ) اَلْجِنِرَالَ:

– نَحْتَاجُ لِلْمُسَاعَدَةِ يا سَيِّدي.

– أَنَا قَادِمٌ.

لَمْ تَسْتَغْرِقِ اَلْمُكَالَمَةُ سِوَى ثَوَانٍ جَدَّ مَعْدُودَةٍ. لَكِنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي اَلْكَثِيرَ لِلشَّخْصَيْنِ مَعًا، وَخَاصَّةً اَلْجِنِرَالَ اَلَّذِي تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ اَلْأُمُورَ لَا تَسِيرُ عَلَى اَلشَّكْلِ اَلْمَطْلُوبِ وَالْمَرْجُوّ. وكذلِكَ بِالنِّسْبَةِ ل (زِيَاد)، وَاَلَّذِي بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا لِيُحَافِظَ عَلَى هُدُوئِهِ حَتَّى لَا يَكْتَشِفُ اَلْآخَرُونَ اِنْهِيَارَهُ وَإِحْبَاطَهُ. بَعْدَ لَحَظَاتٍ مِنْ اَلتَّرَقُّبِ وَمَا يُرَافِقُهَا مِنْ تَوَجُّسٍ وَقَلَقٍ وَضَغْطٍ نَفْسِيٍّ رَهِيبٍ، دَخَلَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) رُفْقَةَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ اَلرِّجَالِ، بَيْنَهُمْ اَلْجِنِرَالُ (عُمَر)، وَمَسْؤُولُ اَلْمُخَابَرَاتِ اَلْمِصْرِيَّةِ، وَآخَرُونَ لَمْ يَسْبِقْ لِلشُّبَّانِ رُؤْيَتَهُمْ.

كَانَتْ مَلَامِحُ اَلدَّاخِلِينَ تُنْبِئُ عَنْ حَالَةِ اَلِاسْتِنْفَارِ اَلَّتِي يَعِيشُونَهَا، وَلَمْ تَخْتَلِفْ حَالَتُهُمْ كَثِيرًا عَنْ وَضْعِ اَلْمُتَوَاجِدِينَ فِي اَلْقَاعَةِ، فَالْجَمِيعُ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ كَانَ تَحْتَ اَلضَّغْطِ.

بِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ وَجَّهَ اَلْجِنِرَالُ كَلَامَهُ لِلْحَاضِرِينَ:

– عَرَفْتُ آخِرَ اَلْمُسْتَجَدَّاتِ قُبَيْلَ اِلْتِحَاقِي بِكُمْ. لَا يُمْكِنُ تَدْمِيرُ اَلْمَرْكَبَةِ عَنْ بُعْدٍ، وَلَا تُوجَدُ أَيَّةُ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ لِذَلِكَ.

كَانَتْ عِبَارَةُ اَلْجِنِرَالِ حَاسِمَةً لِتُلْغِيَ كُلَّ اَلْأَفْكَارِ اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِتَدْمِيرِ اَلْمَرْكَبَةِ وَتَفْجِيرِهَا. وَتَتَبَخَّرَ بِذَلِكَ آمَالُ اَلْبَعْضِ فِي إِيجَادِ حَلٍّ مَا.

– لَكِنْ، هُنَاكَ مُسْتَجَدٌّ مُهِمٌّ...

دَائِمًا مَا تَفْتَحُ كلِمةُ " لَكِنْ " أَبْوَابَ اَلْأَمَلِ، كَمَا يُمْكِنُهَا أَنْ تُغْلِقَهَا. بِالنِّسْبَةِ لِأَعْضَاءِ اَلْفَرِيقِ، لَمْ يَكُنْ حَدِيثُ اَلْجِنِرَالِ اَلْأَخِيرِ سِوَى فُسْحَةً كَبِيرَةً مِنَ اَلْأَمَلِ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لِلتَّوِّ، فَأَصَاخُوا اَلسَّمْعَ لِحَدِيثِهِ:

– لَقَدْ قَامَتْ أَجْهِزَةُ اَلْمُخَابَرَاتِ بِعَمَلٍ كَبِيرٍ خِلَالَ اَلْأَيَّامِ اَلْقَادِمَةِ، وَتَمَكَّنَا مِنَ اَلْوُصُولِ إِلَى مَعْلُومَةٍ فِي غَايَةِ اَلْأَهَمِّيَّةِ تَتَعَلَّقُ بِالْمَرْكَبَةِ اَلْمُدَمِّرَةِ، وَطَرِيقَةِ تَحْيِيدِ خَطَرِهَا. هُنَاكَ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لِذَلِكَ أَيُّهَا اَلسَّادَةُ، وَهِيَ تَفْعِيلُ نِظَامِ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيِّ.

لَمْ يَغِبْ عَنِ اَلْجِنِرَال مَدَى اَلْوَقْعُ اَلَّذِي خَلَّفَهُ حَدِيثُهُ عَلَى اَلْجَمِيعِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ، بَلِ اِسْتَرْسَلَ فِي حَدِيثِهِ، وَهُوَ يَشْرَحُ بَعْضًا مِنْ تَفَاصِيلِ اَلْعَمَلِيَّةِ اَلدَّقِيقَةِ وَالْخَطِيرَةِ اَلَّتِي قَامَ بِهَا عَنَاصِرٌ مِنَ اَلْمُخَابَرَاتِ اَلْمَغْرِبِيَّةِ، وَاَلَّذِينَ تَوَغَّلُوا فِي صُفُوفِ تِلْكَ اَلْمُنَظَّمَةِ اَلْعَالَمِيَّةِ اَلْإِرْهَابِيَّةِ، لِيَحْصُلُوا عَلَى صَيْدٍ ثَمِينٍ وَمَعْلُومَةٍ لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، لَا تَتَعَلَّقُ فَقَطْ بِطَرِيقَةِ تَدْمِيرِ اَلْمَرْكَبَةِ اَلْفَضَائِيَّةِ اَلْمُحَمَّلَةِ بِتَهْدِيدٍ نَوَوِيٍّ خَطِيرٍ، بَلْ أَيْضًا بِمَوْقِعِ اَلتَّحَكُّمِ وَاَلَّذِي يَضُمُّ زِرَّ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيِّ لِلْمَرْكَبَةِ، وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَةُ (زِيَاد) و(رَيَّان) كَبِيرَةً حِينَمَا سَمِعَا اَلْجِنِرَالَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ

عَنْ مَوْقِعٍ سِرِّيٍّ فِي ضَوَاحِي (بَارِيس)، وَكَانَا شِبْهَ مُتَأَكِّدَيْنِ بِأَنَّ اَلْمَكَانَ اَلْمَقْصُودَ هُوَ اَلْمَكَانُ اَلَّذِي تَوَاجَدَا فِيهِ مَعًا عِنْدَ بِدَايَةِ اَلْأَحْدَاثِ.

وَكَأَنَّمَا قَرَأَ اَلْجِنِرَالُ أَفْكَارَهُمَا، فَقَدْ صَرَّحَ فِي اَللَّحْظَةِ نَفْسِهَا بِاسْمَيْهِمَا وهُوَ يُطْلِقُ قُنْبُلَتَهُ اَلْأَخِيرَةَ:

– لِهَذَا اِخْتَرْنَا (رَيَّان) و (زِيَاد) لِلِانْضِمَامِ لِفَرِيقٍ مُشْتَرَكٍ مِنْ قُوَّاتِ اَلنُّخْبَةِ، وَسَتَكُونُ اَلْمُهِمَّةُ مُحَدَّدَةً وَوَاضِحَةً: اَلْوُلُوجُ إِلَى اَلْمَوْقِعِ وَتَفْعِيلُ زِرِّ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيِّ لِلْمَرْكَبَةِ. ثُمَّ تَوَجَّهَ بِبَصَرِهِ نَحْو اَلشَّابَّيْنِ وَهُوَ يَقُولُ:

– لَنْ تَكُونَ اَلْمُهِمَّةُ سَهْلَةً، وَحَيَاتَكُمَا سَتَكُونُ عَلَى اَلْمِحَكِّ، لِذَا، لَدَيْكُمَا مُهْلَةُ عَشْرِ سَاعَاتٍ لِلْحَسْمِ فِي قَرَارِكُمَا، إِمَّا اَلْمُشَارَكَةَ وَإِمَّا اَلِانْسِحَاب، وفي تِلْكَ الحالَةِ، سَنَتَكَلَّفُ نَحْنُ بِالْمُهِمَّةِ مَعَ كُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَخَاطِرَ.

اِسْتَلْقَى (رَيَّان) عَلَى سَرِيرِهِ، وَعَيْنَاهُ تُحَمْلِقَانِ فِي اَلسَّقْفِ، مَشْهَدٌ يُعَادُ لِلْمَرَّةِ اَلْعِشْرِينَ رُبَّمَا خِلَالَ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ قَصِيرَةٍ، مُنْذُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي غُرْفَةٍ غَرِيبَةٍ، وإِلَى غايَةِ اَلْيَوْم. كَانَ كُلَّمَا اخْتَلَى بِنَفْسِهِ إِلَّا وَشَرَدَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ اَلسَّقْفِ.

يُفَكِّرُ فِيمَا جَرَى وَمَا يَجْرِي وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ فِي اَلْمُسْتَقْبَلِ اَلْقَرِيبِ. كَانَتْ حَيَاتُهُ تَسِيرُ عَلَى مِنْوَالٍ مُحَدَّدٍ، سَاعَاتٌ طِوَالٌ يَقْضِيهَا عَلَى مَقَاعِدِ اَلدِّرَاسَةِ، وَوَقْتٌ قَصِيرٌ يُخَصِّصُهُ لِلْأَكْلِ وَالرَّاحَةِ، وَنَادِرًا مَا يُرَفِّهُ عَنْ نَفْسِهِ. اِرْتِبَاطُهُ اَلْوَثِيقُ بِتَحْصِيلِهِ اَلْعِلْمِيِّ، جَعَلَهُ يُخَصِّصُ أَكْبَرَ وَقْتٍ مُمْكِنٍ لِلدِّرَاسَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَخَيَّلُ يَوْمًا، أَنَّ اَلْأَقْدَارَ سَتَأْخُذُهُ إِلَى مَصِيرٍ مُشَابِهٍ. اِسْتَرْجَعَ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ، وَتَسَاءَلَ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ:

– أَلَيْسَتْ هَذِهِ اَلْحَيَاةُ أَجْمَلَ؟

كَانَ يَقْصِدُ بِحَيَاتِهِ اَلْجَدِيدَةِ، لَحَظَاتِ اَلْمُغَامَرَةِ وَالْحَمَاسِ وَالتَّرَقُّبِ وَالْخَوْفِ، وَلَذَّةَ اَلِانْتِصَارِ، وَمَشَاعِرَ اَلْإِحْبَاطِ، وَفَتَرَاتِ اَلْيَأْسِ، وَشُحْنَاتِ اَلْأَمَلِ، وَلَهْفَةَ اَلْبَحْثِ، وَعَنَاءَ اَلتَّفْكِيرِ، وَالِانْغِمَاسَ فِي حَلِّ مُعَادَلَاتٍ رِيَاضِيَّةٍ لَا تَنْتَهِي، وَالِاحْتِكَاكَ بِرِجَالِ مُسَلَّحِينَ، وَالسَّفَرَ إِلَى أَمَاكِنَ عَدِيدَةٍ، وَالْعَمَلَ فِي أَمَاكِنَ سِرِّيَّةٍ، وَالتَّعَامُلَ مَعَ أَجْهِزَةٍ مُتَطَوِّرَةٍ، وَاكْتِشَافَ عَالَمِ اَلْمُخَابَرَاتِ، وُصُولًا إِلَى اَلِانْضِمَامِ لِقُوَّاتِ اَلنُّخْبَةِ فِي مُهِمَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ شَدِيدَةِ اَلتَّعْقِيدِ.

– لَكِنَّنِي بِالْكَادِ فِي اَلرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِي، فَهَلْ أَسْتَطِيعُ مُوَاجَهَةَ اَلْمَوْتِ فِعْلًا؟

تَسَاءَلَ مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَمَا قَادَهُ خَيَالُهُ نَحْوَ سَاحَةِ مَعْرَكَةٍ حَامِيَةٍ اَلْوَطِيسِ، حَيْثُ يُلَعْلِعُ اَلرَّصَاصُ، وَتَنْفَجِرُ اَلْقَنَابِلُ، وَتَتَطَايَرُ اَلْأَشْلَاءُ. مَشْهَدٌ مُرْعِبٌ خَلْخَلَ تَفْكِيرَهُ، وَأَطْفَأَ جَذْوَةَ اَلْحَمَاسِ اَلَّتِي اِسْتَبَدَّتْ بِهِ قَبْل لَحَظَاتٍ.

– لَكِنَّهُمْ يُعَوِّلُونَ عَلَيَّ، مَصِيرُ مَلَايِينِ اَلْبَشَرِ يَتَعَلَّقُ بِمُشَارَكَتِي فِي اَلْمُهِمَّةِ. تَحَدَّثَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لِلْمَرَّةِ اَلثَّالِثَةِ، وَهُوَ يَتَذَكَّرُ حَدِيثًا جَانِبِيًّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَلْجِنِرَالِ قَبْلَ مُغَادَرَتِهِ اَلْقَاعَةِ. حَيْثُ أَخْبَرَهُ اَلرَّجُلُ بِأَنَّ اِخْتِيَارَهُ لَيْسَ فَقَطْ بِسَبَبِ مَعْرِفَتِهِ بِالْمَكَانِ، وَإِنَّمَا أَيْضًا لِقُدْرَتِهِ عَلَى اَلتَّعَامُلِ مَعَ اَلشِّيفَرَاتِ، وَقُدْرَتِهِ اَلْمُتَمَيِّزَةِ عَلَى حَلِّ مُعَادَلَاتٍ رِيَاضِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ لِفَكِّ تِلْكَ اَلشِّيفَرَاتِ. وَيَتَذَكَّرُ اَلْآنَ كَلَامَ اَلْجِنِرَالِ بِوُضُوحٍ تَامٍّ:

– مِنْ اَلْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا سَنَحْتَاجُ لِرَمْزٍ سِرِّيٍّ لِفَتْحِ اَلْحَقِيبَةِ، لِهَذَا سَنَحْتَاجُ إِلَيْكَ. أَمَّا (زِيَاد) فَقُدُرَاتُهُ اَلْكَبِيرَةُ عَلَى اَلتَّعَامُلِ مَعَ اَلْأَجْهِزَةِ، سَتُسَاعِدُنا على مُوَاجَهَةِ اَلِاحْتِمَالَاتِ اَلْمُمْكِنَةِ.

تَجَرَّأَ (رَيَّان) فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ وَسَأَلَ اَلْجِنِرَالُ بِنَبْرَةٍ مُسْتَنْكِرَةٍ:

– لِمَاذَا لَمْ يُفَعِّلُوا نِظَامَ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيّ فِي اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي فَقَدُوا فِيهَا اَلسَّيْطَرَةَ عَلَى اَلْمَرْكَبَةِ؟

أَجَابَهُ اَلْجِنِرَالُ بِهُدُوءٍ:

– لِلسَّبَبِ نَفْسِهِ اَلَّذِي جَعَلَهُمْ يَصْنَعُونَ سِلَاحَ دَمَارٍ شَامِلٍ وَيُرْسِلُونَهُ نَحْوَ اَلْفَضَاءِ فِي عَرْضِ قُوَّةٍ مُسْتَفِزٍّ وَجُنُونِيّ. عِنْدَمَا اِطْمَأَنُّوا بِأَنَّ اَلْخَطَرَ بَعِيدٌ عَنْهُمْ، لَمْ يَجِدُوا حَرَجًا فِي اَلتَّضْحِيَةِ بِجُزْءٍ مِنْ هَذَا اَلْكَوْكَبِ، لِيُحْكِمُوا سَيْطَرَتَهُمْ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنْهُ. وَلَا تَنْسَ أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَنَا ضُعَفَاءَ وَمَحْدُودِي اَلْقُوَّةِ اَلْعَسْكَرِيَّةِ وَالتِّكْنُولُوجِيَّةِ...

ثُمَّ اقْتَرَبَ اَلْجِنِرَالُ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَرَمَقَهُ بِنَظَرَاتٍ تَحَمُّلِ كُلَّ مَعَانِي اَلصَّرَامَةِ وَالْجِدِّيَّةِ، قَبْلَ أَنْ يُبَادِرَهُ بِنَبْرَةٍ قَوِيَّةٍ:

– وَهَذِهِ فُرْصَتُنَا لِنُغَيِّرَ حِسَابَاتِهِمْ، وَنَظْرَتَهُمْ اَلدُّونِيَّةَ إِلَيْنَا. قُوَّتُنَا وَاتِّحَادُنَا سَيَفْرِضُ عَلَيْهِمْ اِحْتِرَامَنَا، وَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ.

تَذَكَّرَ (رَيَّان) ذَلِكَ اَلْحَدِيثَ اَلْهَامَّ بِشَغَفٍ. وَعَادَ لِيَنْشَغِلَ بِحَالَتِهِ وَوَضْعِهِ، ثُمَّ تَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ، بَعْدَمَا تَذَكَّرَ رَفِيقَهُ اَلَّذِي غَادَرَ اَلْقَاعَةَ سَرِيعًا بَعْدَ سَمَاعِ اَلْقَرَارِ اَلْجَدِيدِ:

– مَاذَا يَفْعَلُ (زِيَاد) اَلْآنَ؟

فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ، كَانَ (زِيَاد) مُسْتَلْقِيًا عَلَى سَرِيرِهِ، وَقَدْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ يُحَاوِلُ اِسْتِجْمَاعَ أَفْكَارِهِ. كَانَ عَقْلُهُ يَغْلِي بِالْكَثِيرِ مِنَ اَلْأَسْئِلَةِ وَالِاحْتِمَالَاتِ وَحَتَّى اَلْمَشَاهِدِ، تَمَامًا مِثْلَ حَالَةِ رَفِيقِهِ (رَيَّان)، هُوَ أَيْضًا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ مَآلَ اَلْأَحْدَاثِ، وَلَمْ يَتَصَوَّرْ يَوْمًا أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ فِي خِضَمِّ مَعْرَكَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ اَلْكَلِمَةُ مِنْ مَعْنَى. صَحِيحٌ أَنَّهُ مُغَامِرٌ، تَسْتَهْوِيهُ اَلْمُجَازَفَةُ وَيَرُوقُ لَهُ خَوْضُ اَلتَّحَدِّيَاتِ، لَكِنَّ اَلْأَمْرَ لَا يَتَعَلَّقُ اَلْآنَ بِمُنَافَسَةٍ فِي تَسَلُّقِ اَلْجِبَالِ، أَوْ بِتَحَدٍّ فِي اَلْغَوْصِ، وَلَا بِمُنَافَسَةٍ رِيَاضِيَّةٍ، بَلْ هِيَ مَسْأَلَةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، وَيَبْدُو اَلْمَوْتُ أَقْرَبَ اَلِاحْتِمَالَاتِ فِيهَا.

طَرَقَاتٌ قَوِيَّةٌ عَلَى اَلْبَابِ جَعَلَتْهُ يَنْتَفِضُ مِنْ مَكَانِهِ:

– هَلْ بَدَأَتِ اَلْمَعْرَكَةُ مُنْذُ اَلْآنَ؟ رَدَّدَ فِي نَفْسِهِ بِسُخْرِيَةٍ مَرِيرَةٍ.

فُتِحَ اَلْبَابُ، وَانْدَهَشَ (زِيَاد) وَهُوَ يَتَعَرَّفُ عَلَى هُوِيَّةِ اَلزَّائِرِ، كَانَ أَبَاهُ، بِقَامَتِهِ اَلْفَارِعَةِ اَلطُّولَ، وَقَسَمَاتِهِ اَلصَّارِمَةِ، وَاَلَّتِي تُخْفِي حَقِيقَةَ اَلرَّجُلِ اَلطَّيِّبِ وَالْحَنُونِ. اِنْتَظَرَ (زِيَاد) أَنْ يُقَابِلَهُ أَبُوهُ بِابْتِسَامَتِهِ اَلْمَعْهُودَةِ، لَكِنَّ اَلرَّجُلَ اِحْتَفَظَ بِقَسَمَاتِهِ اَلْجَامِدَة عَلَى خِلَافِ عَادَتِهِ، وَاقْتَرَبَ أَكْثَرَ مِنْ اِبْنِهِ لِيُبَادِرهُ بِحَزْمٍ:

– لِلتَّوِّ تَلَقَّيْتُ اَلْخَبَرَ، مَاذَا قَرَّرْتَ؟

بِلَا مُقَدِّمَاتٍ وَلَا كَلِمَاتِ تَرْحِيبٍ، وَلَا حَتَّى عِنَاقِ أَبٍ لِابْنِهِ. كَانَ تَصَرُّفُ اَلْأَبِ يَدُلُّ عَلَى حَالَتِهِ اَلنَّفْسِيَّةِ وَمَشَاعِرِهِ اَلْمُضْطَرِبَةِ. وَسَأَلَهُ (زِيَاد) بِدَوْرِهِ:

– مَاذَا تَرَى يَا أَبِي؟

ضَاقَتْ عَيْنَا اَلرَّجُلِ وَارْتَسَمَتْ تَجَاعِيدٌ عَلَى جَبِينِهِ اَلْعَرِيضِ، فاعْتَقَدَ (زِيَاد) أَنَّ إِجَابَتَهُ عَنْ السُّؤَالِ بِسُؤَالٍ آخَرَ، رُبَّمَا هي السَّبَبُ فِي نَوْبَةِ اَلْغَضَبِ اَلَّتِي اِنْتَابَتْ أباهُ، فَحَاوَلَ تَدَارُكَ اَلْأَمْرِ وَهُوَ يُرْدِفُ بِهُدُوءٍ مُصْطَنَعٍ:

– لَيْسَ اَلْأَمْرُ سَهْلًا يَا أَبِي، لَكِنَّنَا بَذَلْنَا جُهُودًا كَبِيرَةً وَلَا يُمْكِنُنَا اَلتَّوَقُّفُ، و ...

– هَلْ سَتُشَارِكُ فِي اَلْعَمَلِيَّة؟ قَاطَعَهُ أَبُوهُ بِحِدَّةٍ.

– لَا أَعْرِفُ... أَنَا فِي حِيرَةٍ مِنْ أَمْرِي. كَانَ صَوْتُهُ مُتَحَشْرِجًا هَذِهِ اَلْمَرَّةَ، وبَدَا أَنَّ اَلشَّابَّ يَبْذُلُ جُهُودًا كَبِيرَةً تَفُوقُ طَاقَتَهُ وَقُدُرَاتِهِ وَعُمْرَهُ أَيْضًا. فَرَنَا إِلَى أَبِيهِ بِنَظَرَاتِ اِسْتِعْطَافٍ كَأَنَّمَا يَطْلُبُ مِنْهُ اَلْعَوْنَ.

– أَتَعْلَمُ؟ لَوْ فَشِلْنَا فِي صَدِّ اَلْهُجُوم، سَتُصْبِحُ صُدُورُنَا عَارِيَةٌ أَمَامَ اَلْعَالَمِ، وَسَيُدْرِكُونَ مَدَى ضُعْفِنَا وَقِلَّةِ حِيلَتِنَا، وَمِنْ يَدْرِي؟ قَدْ نَسْتَفِيقُ غَدًا عَلَى خَطَرٍ يَتَهَدَّدُ بَلَدَنَا. تَصَوَّرْ أَنْ تُدَمَّرَ (دُبَيْ) فِي رَمْشِهِ عَيْنٍ، أَوْ يُصِيبُ اَلْخَرَابُ (اَلرِّيَاض)، وَرُبَّمَا (اَلرِّبَاط) أَوْ (طَنْجَة) حَيْثُ يَعِيشُ صَدِيقُكَ... تَصَوَّرْ فَقَطْ.

تَخَلَّى اَلْأَبُ عَنْ صَرَامَتِهِ اَلَّتِي حَاوَلَ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يُوصِلَ رِسَالَةً لِابْنِهِ بِأَنْ يَكُونَ رَجُلًا فِي مَوَاقِفَ تَسْتَدْعِي اَلشَّجَاعَةَ وَالرُّجُولَةَ، وَمَا كَادَ يُنْهِي كَلَامَهُ، حَتَّى فَرَدَ ذِرَاعَيْهِ لِيَرْتَمِيَ (زِيَاد) فِي حُضْنِهِ، وَبِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ بَادَرَهُ اَلْأَبُ:

– أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ فَهِمَتْ مُرَادِي يَا بُنَيَّ.

تَجَلَّتْ كُلُّ مَظَاهِرِ اَلْإِصْرَارِ وَالْقُوَّةِ فِي نَظَرَاتِ (زِيَاد) وَهُوَ يُرَكِّزُ بَصَرَهُ على عُيُونِ أَبِيهِ، وَبِنَبْرَةٍ تَحْمِلُ بِدَوْرِهَا كُلَّ مَعَانِيَ اَلْقُوَّةِ وَالْإِبَاءِ، أَجَابَهُ:

– فَهِمْتُ يَا أَبِي، بَلِّغْ تَحِيَّاتِي لِأُمِّي، عَلَيْكُمَا أَنْ تَكُونَا فَخُورَيْنِ بِابْنِكُمَا اَلْبَطَل!!

غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهُمَا، كَانَ (رَيَّان) يَذْرَعُ غُرْفَتَهُ جِيئَةً وَذَهَابًا، يُحَاوِلُ حِينًا أَنْ يُرَكِّبَ رَقْمًا فِي هَاتِفِهِ وَسُرْعَانَ مَا يَتَرَاجَعُ...

لَمْ يَجِدْ بَعْدُ اَلْكَلِمَاتِ اَلْمُنَاسِبَةِ اَلَّتِي سَيُلْقِيهَا عَلَى مَسَامِعِ وَالِدَيْهِ لِيُخْبِرهُمَا بِمَا يَعِيشُهُ وَبِمَا هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ. يَعْرِفُ أُمَّهُ جَيِّدًا، مِثْلُهَا مِثْلُ كُلِّ اَلْأُمَّهَاتِ تَقْرِيبًا، حُبُّهُنَّ لِأَبْنَائِهِنَّ يَفُوقُ اَلْحُدُودَ، وَخَوْفُهُنَّ عَلَى سَلَامَتِهِمْ لَا يُمْكِنُ اَلْجِدَالُ فِيهِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ إِخْبَارُهَا عنْ مُشَارَكَتِهِ فِي عَمَلِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ؟

وَسَطَ أَفْكَارِهِ اَلْمُتَضَارِبَةِ لَاحَ فِي ذِهْنِهِ طَيْفٌ مِنْ ذِكْرَى بَعِيدَةٍ...

"كَانَ فِي اَلْعَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ حِينَ رَافَقَتْهُ أُمُّهُ لِقَاعَةٍ رِيَاضِيَّةٍ وَسَطَ اَلْمَدِينَةِ، لِتُشَاهِدَ نِزَالَهُ اَلْمُرْتَقَبَ فِي رِيَاضَةِ (اَلْكَرَاطِي) مَعَ مُنَافِسٍ قَوِيٍّ. طِيلَةَ اَلطَّرِيقِ، كَانَ يُرَدِّدُ عَلَى أُمِّهِ لازِمَةً وَاحِدَةً تَتَعَلَّقُ بِخَصْمِهِ:

– إِنَّهُ بَطَلُ اَلْمَدِينَةِ... بَطَلُ اَلْمَدِينَةِ...!!

فَتَكْتَفِي بِالِابْتِسَامَةِ فِي وَجْهِهِ، وَتَضْغَطُ عَلَى يَدِهِ بِرِفْقٍ، كَأَنَّمَا تَمْنَحُهُ بَعْضًا مِنْ طَاقَتِهَا وَقُوَّتِهَا. لَمْ يَسْتَطِعِ اَلْفَوْزَ فِي اَلنِّزَالِ، وَتَعَرَّضَ لِهَزِيمَةٍ نَكْرَاءَ، وَحِينَ اِخْتَلَى بِأُمِّهِ، اِنْفَجَرَ بِالْبُكَاءِ بَعْدَمَا لَمْ يَتَقَبَّلْ خَسَارَتَهُ اَلْمُذِلَّةَ. لَكِنَّ تَصَرُّفَ أُمِّهِ فَاجَأَهُ، فَقَدْ أَمْسَكَتْهُ بِكِلْتَا يَدَيْهَا

بِقُـوَّةٍ، وَرَمَقَتْـهُ بِنَظَـرَاتٍ حَـادَّةٍ، قَبْـلَ أَنْ تُـرَدَّدَ عَلَـى مَسَـامِعِهِ بِصَـوْتٍ شَدِيدِ اَلْوُضُوحِ:

– رُبَّمَـا سَتَخْسَـرُ مِـرَارًا، لَكِنَّـنِي لَا أَشُـكُّ لَحْظَـةً وَاحِـدَةً فِي أَنَّـكَ سَتَكُونُ يَوْمًا مَا بَطَلًا لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ... "

أَسْعَفَهُ عَقْلُهُ فِي اِسْتِحْضَارِ هَذِهِ اَلذِّكْرَى فِي اَلْوَقْتِ اَلْمُنَاسِبِ، وَلَمْ يُضَيِّعْ مَزِيدًا مِنْ اَلْوَقْتِ، فَاتَّصَلَ بِأُمِّهِ، وَانْتَظَرَ اَلِانْتِهَاءَ مِنْ عِبَارَاتِ اَلتَّرْحِيبِ وَالشَّوْقِ وَالْحَنِينِ، لِيَسْأَلَهَا:

– هَلْ مَا زِلْتِ تَنْتَظِرِينَ بُطُولَتِي، أَمْ أَنَّكِ فَقَدْتِ اَلْأَمَلَ؟

تَأَخَّرَتْ فِي اَلرَّدِّ بَعْدَمَا فَاجَأَهَا اَلسُّؤَالُ، وَلَرُبَّمَا أَنْبَأَهَا قَلْبُهَا بِأَنَّ شَيْئًا مَا قَدْ وَقَعَ، فَقَلْبُ اَلْأُمِّ يَمْلِكُ قُدْرَةً عَجِيبَةً عَلَى تَوَقُّعِ اَلْأُمُورِ اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِأَبْنَائِهَا. تَكَلَّمَتْ أَخِيرًا:

– مَاذَا يَجْرِي؟

أَخْبَرَهَا بِكُلِّ شَيْءٍ، لَمْ يَتَوَقَّفْ لِلَحْظَةٍ وَهُوَ يَسْرُدُ اَلتَّفَاصِيلَ، حَدَّثَهَا عَنِ اَلْخَطَرِ اَلْمُرْتَقَبِ، وَعَنِ اَلْأَحْدَاثِ اَلَّتِي عَاشَهَا، وَحَتَّى عَنْ رِفَاقِهِ اَلْجُدُدِ. ثُمَّ خَتَمَ حَدِيثَهُ بِالْأَهَمِّ:

– سَأُشَارِكُ فِي مُهِمَّةٍ أَخِيرَةٍ وَخَطِيرَةٍ فِي نَفْسِ اَلْوَقْتِ.

نَـدَتْ صَـرْخَةٌ عَـنْ أُمِّـهِ، صَـرْخَةُ هَلَـعٍ بِالتَّأْكِيـدِ...وَخَفَقَ قَلْـبُ (رَيَّان) فِي عُنْفٍ، فَلَنْ يُسَامِحَ نَفْسَهُ إِذَا تَعَرَّضَتْ أُمُّهُ لِمَكْرُوهٍ بِسَبَبِهِ. لِثَـوَانٍ مَعْـدُودَةٍ، سَـادَ اَلصَّـمْتُ بَيْنَهُمَـا، كَانَـتْ بِالنِّسْـبَةِ لِـ (رَيَّان) كَسَاعَاتٍ طويلةٍ، قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ أُمِّهِ اَلْحَنُونَ يَنْفَذُ إِلَى أَعْمَاقِ نَفْسِهِ:

– هَلْ سَيَعْتَبِرُونَكَ بَطَلًا يَا بُنَيَّ؟

– طَبْعًا يَا أُمِّيُّ، سَأَعْمَلُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي لِإِنْقَاذِ حَيَاةِ اَلنَّاسِ، هَلْ هُنَاكَ بُطُولَةٌ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟

– لِيَحْفَظْـكَ اَللَّهُ يَا بُـنَيَّ. أَبُـوكْ يُبَلِّغُـكَ تَحِيَّاتِـهِ، ويُرِيـدُ اَلْحَـدِيثَ مَعَكَ...

لَمْ يَسْـمَعْ مِـنْ أَبِيـهِ سِـوَى عِبَـارَاتِ اَلتَّشْـجِيعِ وَالـدَّعْمِ وَالتَّحْفِيـزِ، وَخَتَمَ حَدِيثَهُ بِدَعَوَاتٍ صَادِقَةٍ، وَكَانَتْ حُسْنَ اَلْخِتَامِ.

فِي قَاعَةٍ تُشْبِهُ قَاعَاتِ اَلدَّرْسِ، جَلَسَ كُلٌّ مِنْ (رَيَّان) و(زِيَاد) رُفْقَةَ عَنَاصِرِ اَلْكُومَانْدُوس اَلْمُكَلَّفِ بِالْعَمَلِيَّةِ، وَهُمْ أَفْرَادٌ مِنْ قُوَّاتِ اَلنُّخْبَةِ اَلْإِمَارَاتِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ.

كَانَتْ إِحْدَى اَلْوَاجِهَات اَلزُّجَاجِيَّةِ فِي جَانِبِ اَلْقَاعَةِ تَعْكِسُ صُورَةَ (رَيَّان)، لِذَا اِنْشَغَلَ بِالتَّأَمُّلِ فِيهَا بَيْنَ اَلْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى، يُحَاوِلُ أَنْ يَتَقَبَّلَ شَكْلَهُ اَلْجَدِيد، وَقَدِ اِرْتَدَى بِذْلَةً عَسْكَرِيَّةً مَهِيبَةً. عَبْقَرِيٌّ مَنْ فَكَّرَ فِي مَنْحِ شَابَّيْنِ، مَدَنِيَّيْنِ وَبَعِيدَيْنِ عَنِ اَلْمَجَالِ اَلْعَسْكَرِيِّ، بِذْلَةً عَسْكَرِيَّةً مُخَصَّصَةً أَصْلًا لِأَفْرَادِ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ، وَهِيَ قُوَّاتُ اَلنُّخْبَةِ فِي اَلْجَيْشِ.

مِنَ اَلْمُؤَكَّدِ أَنَّ صَاحِبَ اَلْفِكْرَةِ يُدْرِكُ جَيِّدًا اَلْوَقْعَ اَلَّذِي سَتُخَلْفُهُ هذِهِ الْخُطْوَةُ عَلَى اَلشَّابَّيْنِ. فَقَدْ أَشْعَرَتْهُمَا بِثِقْلِ اَلْمَسْؤُولِيَّةِ، وَجَسَامَةِ اَلْمُهِمَّةِ، وَمَنَحَتْهُمَا إِحْسَاسًا جَمِيلًا بِالْهَيْبَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهَذَا اَلْإِحْسَاسُ اَلْأَخِيرُ طَغَا عَلَى كُلِّ اَلْمَشَاعِرِ اَلْأُخْرَى.

كَانَ اَلضَّابِطُ (أَشْرَف)، وَهُوَ قَائِدُ اَلْفَرِيقِ، يَشْرَحُ لِلْمُتَوَاجِدِينَ كُلَّ تَفَاصِيلِ اَلْعَمَلِيَّةِ، وَعُرِضَتْ عَلَى شَاشَةٍ وَرَاءَهُ صُوَرٌ لِلْمَرْكَزِ اَلسِّرِّيِّ اَلْمُتَوَاجِدِ فِي إِحْدَى اَلضَّوَاحِي اَلْبَارِيسِيَّةِ، حَيْثُ يَبْدُو كَضَيْعَةٍ

كَبِيرَةٍ مُتَرَامِيَةِ اَلْأَطْرَافِ، يَتَوَسَّطُهَا بِنَاءٌ مُرَبَّعٌ وَهُوَ اَلَّذِي يَضُمُّ اَلْمَرْكَزَ اَلرَّئِيسِيَّ.

تَمَّ اخْتِيَارُ اَلْمَوْقِعِ لِيَظْهَرَ عَلَى أَنَّهُ مُجَرَّدُ ضَيْعَةٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ كَبِيرَةٍ، تَعِيشُ دَاخِلِهَا أُسْرَةٌ مِنَ اَلْمُزَارِعِينَ، وَاَلَّذِينَ يُشَغِّلُونَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ اَلْعُمَّالِ، حَيْثُ تَتَوَافَدُ يَوْمِيًّا عَلَى اَلضَّيْعَةِ شَاحِنَاتٌ مُحَمَّلَةٌ بِأَشْخَاصٍ وَمُسْتَلْزَمَاتٍ، تُوحِي بِأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْمَزْرَعَةِ، بَيْنَمَا اَلْحَقِيقَةُ غَيْرُ ذَلِكَ.

اِسْتَعَانَ اَلْمَسْؤُولُونَ بِالْأَقْمَارِ اَلصِّنَاعِيَّةِ، وَبِطَائِرَاتٍ مُسَيَّرَةٍ مِنَ اَلْجِيلِ اَلْجَدِيدِ وَالْمُخْتَصَّةِ فِي عَمَلِيَّاتِ اَلتَّجَسُّسِ، لِالْتِقَاطِ صُوَرٍ فِي مُنْتَهَى اَلدِّقَّةِ وَالْجَوْدَةِ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ اَلْمُنَظَّمَةُ اَلْإِرْهَابِيَّةُ تَعْتَمِدُ عَلَى كَثْرَةِ اَلْحُرَّاسِ اَلْمُسَلَّحِينَ لِحِمَايَةِ مَقَرِّهَا، بِقَدْرِ مَا تَعْتَمِدُ عَلَى اَلتِّقْنِيَّاتِ اَلْحَدِيثَةِ لِمُوَاجَهَةِ أَيِّ اِخْتِرَاقٍ مُحْتَمَلٍ، فَبَعْدَ اَلْمُرُورِ مِنَ اَلْبَوَّابَةِ اَلْكَبِيرَةِ لِلْمَزْرَعَةِ، وَاَلَّتِي يَسْهَرُ عَلَى تَأْمِينِهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ مُسَلَّحِينَ، يَتِمُّ تَغْيِيرُهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً كُلَّ يَوْمٍ، تَقْطَعُ طَرِيقًا مُعَبَّدَةً طُولُهَا حَوَالَيْ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ، وَعَلَى طُولِ هَذِهِ اَلطَّرِيقِ تَنْتَشِرُ كَامِيرَاتُ مُرَاقَبَةٍ مُتَطَوِّرَةٍ، وَكَامِيرَاتٌ حَرَارِيَّةٌ لِكَشْفِ أَيِّ جِسْمٍ مُتَسَلِّلٍ كَيْفَمَا كَانَ نَوْعُهُ، كَمَا عُلِّقَتْ عَلَى جُذُوعِ اَلْأَشْجَارِ اَلضَّخْمَةِ، مِنَصَّاتٌ مُهَيَّأَةٌ لِإِطْلَاقِ اَلرَّصَاصِ عَلَى كُلِّ

عَدُوٍّ مُحْتَمَلٍ، وَتَعْمَلُ بِأَشِعَّةِ اَللِّيزَر، مَعَ هَامِشِ خَطَأٍ لَا يَتَعَدَّى 0.5 فِي اَلْمِئَةِ.

وَلَوِ اِفْتَرَضْنَا أَنَّ أَحَدَهُمْ تَمَكَّنَ مِنْ تَجَاوُزِ اَلْعَقَبَاتِ اَلْأُولَى اَلْمُنْتَشِرَةِ عَلَى طُولِ اَلطَّرِيقِ اَلْمُعَبَّدَةِ، فَإِنَّ اَلْمُفَاجَآتِ تَسْتَمِرُّ عِنْدَ اَلْوُصُولِ إِلَى اَلْمَدْخَلِ اَلرَّئِيسِيِّ لِمَرْكَزِ اَلْعَمَلِيَّاتِ، بِوُجُودِ أَرْبَعَةِ أَبْرَاجٍ لِلْمُرَاقَبَةِ، مُزَوَّدَةٍ بِمَنَاظِير لِلرُّؤْيَةِ اَللَّيْلِيَّةِ، وَنِظَامِ إِنْذَارٍ مُتَطَوِّرٍ يَعْمَلُ بِأَشِعَّةِ اَللِّيزَر وَاَلَّتِي يَتِمُّ تَشْغِيلُهَا فِي أَوْقَاتٍ تَتَغَيَّرُ كُلَّ يَوْمٍ، زِيَادَةً عَلَى اَلتَّحَكُّمِ فِي اَلْبَوَّابَةِ اَلرَّئِيسِيَّةِ لِلْمَقَرِّ بِبَصْمَةِ اَلْعَيْنِ، وَتَوَاجُدِ كِلَابِ حِرَاسَةٍ شَرِسَةٍ وَمُدَرَّبَةٍ فِي حَالَةِ اِسْتِنْفَارٍ دَائِمٍ، وَاَلَّتِي تَتَدَخَّلُ حِينَمَا يَحْدُثُ عَطَبٌ مَا يُعَطِّلُ عَمَلَ اَلتِّكْنُولُوجْيَا اَلْأَمْنِيَّةِ.

اِنْتَهَى اَلضَّابِطُ (أَشْرَف) مِنْ شَرْحِهِ اَلْمُفَصَّلِ، ثُمَّ فَاجَأَ (رَيَّان) و(زِيَاد) وَهُوَ يَسْأَلُهُمَا بِاهْتِمَامٍ:

– لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنْ اَلتَّوَغُّلِ دَاخِلَ اَلْمَقَرِّ، وَلَا نَمْلِكُ أَيَّةَ مَعْلُومَاتٍ عَنْهُ، لَكِنَّكُمَا زُرْتُمَا اَلْمَكَانَ سَابِقًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

– نَعَم. يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ بِأَنَّهُ تَمَّ اِخْتِطَافُنَا وَجَرُّنَا نَحْوَ ذَلِكَ اَلْمَكَانِ رَغْمًا عَنْ إِرَادَتِنَا. رَدَّ (زِيَاد)

– هَـلْ تَحْتَفِظُـونَ فِي ذَاكِـرَتِكُمْ بِخَرِيطَـةِ ذَلِـكَ اَلْمَبْـنَى، يُمْكِنُنَـا اَلِاسْتِفَادَةُ مِنْ أَيَّةِ مَعْلُومَاتٍ مُتَاحَةٍ؟

تَبَـادَلَ اَلشَّـابَّانِ اَلنَّظَـرَاتِ، كَأَنَّمَـا يُعَوِّل كُـلٌّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا عَلَـى اَلْآخَرِ فِي اَلْإِجَابَةِ، تَشَجَّعَ (رَيَّان) وَهُوَ يُجِيبُ:

– فِي اَلْحَقِيقَـةِ لَا نَحْتَفِظُ بِتَفَاصِيلَ كَثِيرَةٍ، كُنْـتُ مُحْتَجَـزًا فِي غُرْفَـةٍ، وَتَمَّ اِقْتِيَـادِي لِمُقَابَلَـةِ رَجُـلٍ يُنَادُونَـهُ بِالْبُرُوفِيسُـور. عَلَـى طُـولِ اَلـرِّوَاقِ اَلضَّيِّقِ، كَانَتْ هُنَاكَ غُرَفٌ مُغْلَقَةٌ، وَلَفَتَتْ نَظَرِي قَاعَةٌ دَائِرِيَّةٌ فِي طَابَقٍ تَحْت أَرْضِيٍّ، حَيَّتُ اِنْتَشَرَ اَلْعَدِيدُ مِنَ اَلْأَشْخَاصِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ تَحْدِيدُ هُوِيَّاتِهِمْ.

أَرْدَفَ (زِيَاد):

– لَيْسَ لَدَيَّ شَيْءٌ أُضِيفُهُ، فَقَدْ كَانَ مَسَارُنَا وَاحِدًا.

– هَـلْ لَفَـتَ نَظَرَكُمَـا شَـيْءٌ مَـا فِي مَكْتَـبِ اَلْبُرُوفِيسُـور؟ سَـأَلَهُمَا اَلضَّابِطُ مِنْ جَدِيدٍ مُبْدِيًا كُلَّ اَلْجِدِّيَّةِ وَالِاهْتِمَامِ.

حَـاوَلَ اَلشَّـابَّانِ اِسْتِحْضَـارَ مَشْـهَدِ اَلـدُّخُولِ إِلَى اَلْمَكْتَـبِ وَحَـدِيثِهِمَا مَـعَ اَلْبُرُوفِيسُـور، وَبَـذَلاَ جُهْـدًا كَبِيرًا مِـنْ أَجْـلِ اِسْـتِرْجَاعِ

مُخْتَلِفِ اَلتَّفَاصِيلِ اَلَّتِي تُؤَثِّثُ اَلْمَكْتَبَ اَلْفَخْمَ، رَدَّدَ (زِيَاد) بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، كَعَادَتِهِ كُلَّمَا اِسْتَغْرَقَ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ:

– اَللَّوْحَاتُ اَلثَّمِينَةُ ذَاتُ اَلْقِيمَةِ اَلْفَنِّيَّةِ اَلْكَبِيرَةِ. اَلْأَرِيكَةُ اَلْجِلْدِيَّةُ اَلسَّوْدَاءُ، شَاشَةٌ ضَخْمَةٌ مُعَلَّقَةٌ عَلَى اَلْحَائِطِ، وَحَاسُوبٌ مَحْمُولٌ عَلَى اَلْمَكْتَبِ، وَخِزَانَةٌ مُصَفَّحَةٌ مُثَبَّتَةٌ عَلَى جِدَارٍ...

صَمَتَ وَقَدْ شَرَدَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ اَلسَّقْفِ مُسْتَغْرِقًا فِي اَلتَّفْكِيرِ وَمُحَاوِلًا اِسْتِرْجَاعَ كُلِّ اَلْجُزْئِيَّاتِ، لِيُضِيفَ (رَيَّان) بَعْدَمَا اسْتَثَارَتْ كَلِمَاتُ صَدِيقِهِ ذَاكِرَتَهُ:

– مَزْهَرِيَّاتُ وُرُودٍ، سَجَّادَةٌ تُرْكِيَّةٌ، سَاعَةٌ مُذَهَّبَةٌ، خِزَانَةٌ صَغِيرَةٌ ضَمَّتْ بَعْضَ اَلْكُتُبِ، هَاتِفَانِ أَرْضِيَّانِ، كَامِيرَاتُ مُرَاقَبَةٍ، وَحَقِيبَةٌ مُتَوَسِّطَةُ اَلْحَجْمِ وَضَعَهَا اَلْبُرُوفِيسُور فِي اَلْخِزَانَةِ...

صَرَخَ اَلضَّابِطُ (أَشْرَف) بِلَهْفَةٍ:

– حَقِيبَةُ اَلتَّحَكُّمِ فِي اَلْمَرْكَبَةِ اَلْفَضَائِيَّةِ، ذَلِكَ هُوَ اَلْهَدَفُ اَلْمَطْلُوبُ.

– هَلِ الأَمْرُ شَبِيهٌ بِالْحَقِيبَةِ النَّوَوِيَّةِ[1]؟ تَساءَلَ (زِيادُ) مُسْتَغْرِبًا.

– نَوْعًا مَا. سَتَكُونُ مُهِمَّتُكُمَا اَلْأَسَاسِيَّةُ هِيَ اِقْتِحَام اَلْمَكْتَبِ وَتَشْغِيلَ زِرِّ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيِّ لِلْمَرْكَبَةِ اَلْمُدَمِّرَةِ، فِي حِين سَتَتَكَلَّفُ نَحْنُ بِإِيصَالِكُمَا إِلَى اَلْهَدَفِ. أَجَابَ اَلضَّابِطُ بِكُلِّ حَزْمٍ.

بَيْنَ اَلْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى يَلْتَفِتُ (رَيَّان) جِهَةَ (زِيَاد) اَلْجَالِسِ قُرْبَهُ عَلَى مَقْعَدِ اَلطَّائِرَةِ اَلْمُتَّجِهَةِ نَحْوَ (بَارِيس)، تَلْتَقِي نَظَرَاتُهُمَا، وَسُرْعَانَ مَا يَنْخَرِطَانِ فِي مَوْجَةِ ضَحِكٍ دُونَ أَنْ يَنْطِقَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. لَمْ يَتَخَيَّلِ اَلشَّابَّانِ أَنْ تَسِيرَ اَلْأُمُورُ عَلَى هَذَا اَلنَّحْوِ، فَقَدَ تَخَيَّلاَ مَسَارًا آخَر، أَكْثَرَ إِثَارَةً، وَتَشْوِيقًا وَمُغَامَرَةً وَخُطُورَةً.

وَحِينَ بَاحَ كُلُّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ بِمَا رَسَمَتْهُ مُخَيِّلَتُهُ، تَفَاجَآ بِأَنَّهُمَا فَكَّرا فِي اَلشَّيْءِ نَفْسِهِ تَقْرِيبًا، حَيْثُ سَتَحْمِلُهُمَا طَائِرَةُ هِلِيكُوبْتَرَ عَسْكَرِيَّةٌ، غَالِبًا سَتَكُونُ مِنْ طِرَازِ (اَلْأَبَاتْشِي)[2]، وَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَخْطَرِ اَلطَّائِرَاتِ اَلْمِرْوَحِيَّةِ اَلْهُجُومِيَّةِ وَأَكْثَرِهَا تَطَوُّرًا، سَيَجْلِسَانِ جَنْبًا إِلَى

---

(1) الحقيبة النووية: حقيبة تجهز خصيصا للتحكم في استخدام الأسلحة النووية، ويتم الاحتفاظ بها بالقرب من رئيس أو زعيم دولة نووية.

(2) الأباتشي: طائرة مروحية هجومية أمريكية الصنع من إنتاج شركة بوينغ.

جَنْبٍ مُرْتَدِيَيْنِ لِبَاسَ اَلْمِظَلِّيّينَ اَلْمُمَيَّزَ ذَا اَلْبُقَعِ اَلْخَضْرَاءِ اَلْمُنَقَّطَةِ، وَمُسَلَّحَيْنِ بِبُنْدُقِيَّةِ (إمْ 16) وَمُسَدَّسَيْنِ عَلَى اَلْأَقَلِّ، وَهُمَا فِي كَامِلِ اَلِاسْتِنْفَارِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمُشَارَكَةِ فِي اَلْهُجُومِ اَلْخَاطِفِ.

وَحِينَ أَخْبَرَهُمْ اَلضَّابِطُ (أَشْرَف) بِالتَّفَاصِيلِ اَلْجَدِيدَةِ لِلْخُطَّةِ فِي لِقَاءِ ثُلَاثِيٍّ جَمَعَهُمْ دَاخِلَ غُرْفَةٍ مُنْفَصِلَةٍ، كَانَتْ مَلَامِحُهُمْ تَشِي بِكُلِّ إِمَارَاتِ اَلدَّهْشَةِ وَالذُّهُولِ وَعَدَمِ اَلتَّقَبُّلِ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَا مِنْ اَلْوَهْمِ، وَيَتَخَلَّصَا مِنْ أَحْلَامِ اَلْيَقَظَةِ، وَيَفْهَمَا بِأَنَّهُمَا مَدَنِيَّيْنِ وَلَا عَلَاقَةَ لَهُمَا بِمَيَادِينِ اَلْقِتَالِ وَلَا بِسَاحَاتِ اَلْحُرُوبِ.

وَحِينَ وَجَدَا نَفْسَيْهِمَا دَاخِلَ اَلطَّائِرَةِ اَلْمَدَنِيَّةِ اَلْمُتَّجِهَةِ إِلَى بَارِيس، تَذَكَّرَا اَلْأَحْدَاث اَلسَّابِقَةَ، وَخَاصَّةً مَا تَخَيَّلَاهُ وَصَدَّقَاهُ فِي لَحَظَاتٍ، لِيَنْخَرِطَا فِي نَوْبَةِ ضَحِكٍ عَلَى سَذَاجَتِهِمَا اَلْكَبِيرَةِ.

كَانَتِ اَلْخُطَّةُ تَقْتَضِي بِأَنْ يَنْتَقِلَ أَفْرَادُ اَلْمَجْمُوعَةِ إِلَى (بَارِيس) بِشَكْلٍ مُنْفَرِدٍ أَوْ ثُنَائِيٍّ عَلَى اَلْأَكْثَرِ، عَلَى أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي نُقْطَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا سَابِقًا، وَهُنَاكَ سَتُوضَعُ خُطَّةٌ جَدِيدَةٌ لِاقْتِحَامِ اَلْمَرْكَزِ اَلسِّرِّيِّ.

لَمْ يَكُنْ (رَيَّان) و(زِيَاد) لِيُثِيرَا اَلشُّبُهَاتِ، فَالْأَوَّلُ يُسَافِرُ مِنْ أَجْلِ اَلِالْتِحَاقِ بِدِرَاسَتِهِ، بَيْنَمَا أَتَمَّ (زِيَاد)، وَفِي سُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، إِجْرَاءَاتِ

اَلِالْتِحَاقِ بِمَعْهَدٍ مُتَخَصِّصٍ فِي اَلتِّكْنُولُوجْيَا، لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ دُرُوسٍ مُعَمَّقَةٍ مُؤَدًّى عَنْهَا.

كَانَ اَلشَّابَّانِ إِذَنْ، مُجَرَّدَ طَالِبَيْنِ يَسْعَيَانِ نَحْوَ إِكْمَالِ دِرَاسَتِهِمَا اَلْعُلْيَا، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِعُيُونِ تِلْكَ اَلْمُنَظَّمَةِ، وَاَلَّتِي وَبِلَا شَكٍّ، سَتُرَاقِبُهُمَا وَتَتَتَبَّع خُطُوَاتِهِمَا فَوْرَ وُصُولِهِمَا إِلَى مَطَار (شَارْل دِيغُول)، فَقَدْ أَكَّدَ عَلَيْهِمَا اَلضَّابِطُ (أَشْرَف) بِاتِّبَاعِ تَعْلِيمَاتٍ مُحَدَّدَةٍ فِي اَلتَّنَقُّلِ وَالتَّصَرُّفِ، عَلَى أَنْ يَتِمَّ اَلتَّخَلُّصُ مِنْ كُلِّ اَلْجَوَاسِيسِ وَالْمُرَاقِبِينَ مَعَ حُلُولِ سَاعَةِ اَلصِّفْرِ.

(بَارِيسُ) كَعَادَتِهَا تَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ وَالْجَمَالِ، قَطَرَاتٌ خَفِيفَةٌ مِنْ اَلْمَطَرِ تَتْهَاطَلُ عَلَى اَلْمَدِينَةِ وَتَغْسِلُ شَوَارِعَهَا اَلنَّظِيفَةَ أَصْلًا. مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ سَيَّارَةِ اَلْأُجْرَةِ اَلَّتِي تُقِلُّهُمَا، اِنْشَغَلَ اَلشَّابَّانِ بِتَأَمُّلِ اَلشَّوَارِعِ وَالْبِنَايَاتِ وَالسَّمَاءِ اَلْغَائِمَةِ، وَرَغْمَ اَلْجَمَالِ اَلسَّاحِرِ لِلْمَدِينَةِ، إِلَّا أَنَّ اَلْحَنِينَ لِلشَّمْسِ اَلْمُتَرَبِّعَةِ فِي سَمَاءِ بَلَدَيْهِمَا تَمَلَّكَهُمَا مَعًا. كَانَتِ اَلْخُطَّةُ تَقْتَضِي بِأَنْ يَقْضِيَا وَقْتًا طَوِيلًا دَاخِلَ سَيَّارَةِ أُجْرَةٍ، فِي جَوْلَةٍ طَوِيلَةٍ وَسَطَ شَوَارِعِ وَأَحْيَاءِ (بَارِيس)، وَقُرْبَ مَعَالِمِهَا اَلْمُتَمَيِّزَةِ، وَكَانَ اَلْهَدَفُ هُوَ تَشْتِيتُ اِنْتِبَاهِ مَنْ يَتَتَبَّعُهُمْ، وَإِرْهَاقُهُ.

لِيَلْتَحِق اَلشَّابَّانِ بَعْدَهَا بِشُقَّةٍ فِي وَسَطِ اَلْمَدِينَةِ، تُطِلُّ شُرْفَتُهَا عَلَى بُرْجِ "إِيفِلْ" الشَّهِيرِ، وَلَمْ يَكُنِ اَلْأَمْرُ مُثِيرًا لِلشَّكِّ، مَادَامَ اَلْمُسْتَأْجِرُ هُوَ (زِيَاد)، وَاَلَّذِي يُمْكِنُهُ اِسْتِئْجَارُ شُقَّةٍ مُمَاثِلَةٍ فِي ذَلِكَ اَلْحَيِّ اَلرَّاقِي، بِالنَّظَرِ إِلَى اَلْإِمْكَانِيَّاتِ اَلْمَادِّيَّةِ اَلْكَبِيرَةِ لِأُسْرَتِهِ.

لَمْ يَنْقَطِعِ اَلتَّوَاصُلُ بَيْنَ أَفْرَادِ اَلْمَجْمُوعَةِ، وَاَلَّذِينَ الْتَحَقُوا بِ(بَارِيس) تِبَاعًا، وَبَيْنَهُمْ اَلْقَائِدُ (أَشْرَف). كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى هَوَاتِفَ خَاصَّةٍ فِي اَلِاتِّصَالِ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى اَلتَّخَلُّصِ مِنَ اَلشَّرَائِحِ اَلْهَاتِفِيَّةِ فَوْرَ اِسْتِعْمَالِهَا، زِيَادَةً عَلَى اِسْتِعْمَالِ لُغَةٍ مُشَفَّرَةٍ لِلتَّغْطِيَةِ عَلَى اَلْمَعْلُومَاتِ وَالْقَرَارَاتِ اَلَّتِي يَتَّخِذُونَهَا. كَمَا أَنَّ اَلِاتِّصَالَ وَالتَّوَاصُلَ مَعَ غُرْفَةِ اَلْعَمَلِيَّاتِ اَلْمَرْكَزِيَّةِ ب (دُبَيْ) لَمْ يَنْقَطِعْ، وَكَانَتِ اَلْمَعْلُومَاتُ اَلْمُتَعَلِّقَةُ بِمَسَارِ اَلْمَرْكَبَةِ، وَمَوْعِدِ اَلِارْتِطَامِ، وَمَوْقِعِهِ، وَغَيْرِهَا... تَصِلُ عَلَى مَدَارِ اَلسَّاعَةِ إِلَى (رَيَّان) و(زِيَادْ).

بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، اِسْتَيْقَظَ اَلشَّابَّانِ كَعَادَتِهِمَا لِأَدَاءِ صَلَاةِ اَلْفَجْرِ، حِينَ رَنَّ هَاتِفَاهُمَا، كَانَتِ اَلرَّنَّةُ تُفِيدُ بِتَوَصُّلِهِمَا بِرِسَالَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، وَكَانَا مُتَأَكِّدِيْنِ بِأَنَّ مَصْدَرَهَا قِيَادَةَ اَلْعَمَلِيَّاتِ، فَهُمُ اَلْوَحِيدُونَ اَلَّذِينَ يَعْرِفُونَ

بَرِيدَهُمَا اَلْإِلِكْتِرُونِيَّ السِّرِّيَّ. فِي اَللَّحْظَةِ نَفْسِهَا، قَرَأَ اَلشَّابَّانِ اَلرِّسَالَةَ اَلْمُقْتَضَبَةَ:

– اَلْيَوْمَ سَنَذْهَبُ فِي رِحْلَةِ قَنْصٍ، نَلْتَقِي قُرْبَ اَلْغَابَةِ.

خَفَقَ قَلْبَاهُمَا بِعُنْفٍ، فَقَدْ كَانَتِ اَلرِّسَالَةُ تَعْنِي شَيْئًا وَاحِدًا:

–" لَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ اَلصِّفْر".

تَوَاصَلَتِ اَلتَّعْلِيمَاتُ... طُلِبَ مِنْهُمَا اِرْتِدَاءُ مَلَابِسَ مُعَيَّنَةً، وَحِينَ غَادَرَا اَلشُّقَّةَ اِسْتَقَلَّا سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ، وَتَوَجَّهَا إِلَى مَقْهىً لِتَنَاوُلِ اَلْإِفْطَارِ، ثُمَّ تَوَجَّهَا نَحْوَ مَحَطَّةِ اَلْمِيتْرُو، لِيَعُودَا أَدْرَاجَهُمَا دُونَ رُكُوبِ اَلْقِطَارِ، وِيسْتَقِلَّا سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ جَدِيدَةٍ، أَقَلَّتْهُما نَحْوَ مُولٍ تِجَارِيٍّ ضَخْمٍ، حَيْثُ اصْطَفَّ مِئَاتُ اَلْأَشْخَاصِ يَنْتَظِرُونَ اِفْتِتَاحَ اَلْأَبْوَابِ لِلدُّخُولِ، وَالِاسْتِفَادَةَ مِنَ اَلْعُرُوضِ اَلْكَبِيرَةِ لِلتَّخْفِيضَاتِ.

كَانَ اَلْحَشْدُ كَبِيرًا بِشَكْلٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ، وَمَا إِنْ فُتِحَتِ اَلْأَبْوَابُ حَتَّى انْدَفَعَ اَلْجَمِيعُ نَحْوَ اَلدَّاخِلِ وَهُمْ يَتَدَافَعُونَ وَيَصْطَدِمُونَ بِبَعْضِهِمْ اَلْبَعْض. وَسَطَ ذَلِكَ اَلتَّدَافُعِ اَلْبَشَرِيِّ اَلْهَائِلِ، كَانَ (رَيَّان) و(زِيَاد) يُحَاوِلَانِ بِكُلِّ قُوَّتِهِمَا شَقَّ مَسَارِهِمَا نَحْوَ اَلدَّاخِلِ، لَكِنَّ شَخْصَيْنِ ضَخْمَيْ اَلْجُثَّةِ حَاصَرَاهُمَا مِنَ اَلْجَانِبَيْنِ، وَمَنَعَاهُمَا مِنَ اَلْحَرَكَةِ، مِمَّا أَثَارَ

غَضَبَ (زِيَاد) وَاَلَّذِي دَفَعَهُمَا بِقُوَّةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْرِيكَ تِلْكَ اَلْكُتْلَةِ اَلضَّخْمَةِ مِنَ اَلْعَضَلَاتِ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْجَأَ لِأُسْلُوبٍ أَعْنَفَ، شَعَرَ هُوَ و(ريان) بِمَنْ يَهْمِسُ فِي أُذُنَيْهِمَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ:

– اِتَّجِهَا يَمِينًا وَاسْتَفِلاَّ اَلْمِصْعَدَ نَحْوَ اَلطَّابَقِ التَّحْتِ أَرْضِيّ. وحِينَ الْتَفَتَا بِحَرَكَةٍ خَاطِفَةٍ، اِتَّسَعَتْ عَيْنَاهُمَا مِنَ اَلدَّهْشَةِ، وَهُمَا يَتَأَمَّلَانِ شَابَّيْنِ يُشْبِهَانِهِمَا كَثِيرًا وَخَاصَّةً فِي اَللِّبَاسِ وَالْقَامَةِ.

لَكِنَّهُمَا نَفَّذَا اَلْأَمْرَ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، فَكُلُّ جُزْءٍ مِنَ اَلثَّانِيَةِ لَهُ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ. فَسَحَ اَلرَّجُلَانِ اَلضَّخْمَانِ اَلْمَجَالَ لِ(رَيَّان) و(زِيَاد) لِلْمُرُورِ نَحْوَ اَلْمَكَانِ اَلْمَقْصُودِ، وَاسْتَفَلاَّ اَلْمِصْعَدَ نَحْوَ اَلطَّابَقِ المَعْلُومِ، حَيْثُ كَانَتْ سَيَّارَةٌ صَغِيرَةٌ تَنْتَظِرُهُمَا، لِتَنْطَلِق بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ نَحْوَ مَكَانٍ مَا.

قَطَعَتِ اَلسَّيَّارَةُ مَسَافَةً طَوِيلَةً نَوْعًا مَا، قَبْلَ أَنْ تَتَوَقَّفَ فِي مُلْتَقَى طُرُقٍ، وَيَأْمُرَ سَائِقُهَا اَلشَّابَّيْنِ بِالنُّزُولِ، وَهُوَ مَا فَعَلَاهُ دُونَ اعْتِرَاضٍ، وَفِي اَللَّحْظَةِ نَفْسِهَا، كَانَتْ سَيَّارَةُ بَاصٍ صَغِيرَةٍ سَوْدَاءُ وَمُعْتِمَةُ اَلزُّجَاجِ، تَقْتَرِبُ مِنْهُمَا، وَيُفْتَحَ بَابُهَا اَلْجَانِبِيُّ، لِيَصْعَد اَلشَّابَّانِ،

وَهُمَا يَلْهَثَانِ بِفِعْلِ اَلْإِثَارَةِ وَالتَّوَتُّرِ مَعًا، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُمَا صَوْتُ اَلْقَائِدِ (أَشْرَف) :

– حَمَدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكُمَا.

كَانَ كُلُّ أَفْرَادِ اَلْكُومَانْدُوس دَاخِلَ اَلْبَاصِ اَلصَّغِيرِ، مُرْتَدِينَ مَلَابِسَ سَوْدَاء، وَمُسَلَّحِينَ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ وَمُخِيفٍ فِي نَفْسِ اَلْآن. حَاوَلَ اَلشَّابَّانِ أَنْ يَسْتَفْسِرَا مِنَ اَلْقَائِدِ عَنِ اَلْخُطُوَاتِ اَلْمُقْبِلَةِ، لَكِنَّ قَسَمَاتِهِ اَلصَّارِمَةَ، وَتَرْكِيزَهُ اَلشَّدِيدَ عَلَى جِهَازٍ صَغِيرٍ كَانَ يَحْمِلُهُ، جَعَلَهُمَا يَعْدِلَانِ عَنْ فِكْرَتِهِمَا. قَطَعَ اَلْبَاصُ طَرِيقًا تُرَابِيَّةً غَيْرَ مُعَبَّدَةٍ، قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ اَلْقَائِدُ اَلْإِشَارَةَ لِلْجَمِيعِ مُرَدِّدًا:

– لَقَدْ وَصَلْنَا.

سَرَتْ حَرَكَةٌ مُلْفِتَةٌ دَاخِلَ اَلْبَاصِ، وَغَطَّى أَفْرَادُ اَلْكُومَانْدُوس وُجُوهَهُمْ بِأَقْنِعَةٍ سَوْدَاءَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ اَلْقَائِدُ، وَحْدَهُمَا (رَيَّان) و (زِيَاد) مَنِ احْتَفَظَا بِوَجْهَيْهِمَا مَكْشُوفَيْنِ. قَفَزَ اَلْجَمِيعُ مِنَ اَلْبَاصِ، وَاَلَّذِي اِنْطَلَقَ مُبْتَعِدًا نَحْوَ وِجْهَةٍ أُخْرَى. اِنْتَبَهَ (رَيَّان) لِكَثَافَةِ اَلْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ فِي اَلْمَكَانِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَكْتَشِفَ مَوْقِعَهُمْ بِالضَّبْطِ، بَيْنَمَا احْتَلَّ اَلْآخَرُونَ مَوَاقِعَ مُحَدَّدَةً مُسْبَقًا، وَقَدِ اِتَّخَذُوا وَضْعِيَّاتٍ هُجُومِيَّةً.

طَلَبَ اَلْقَائِدُ مِنَ اَلشَّابَّيْنِ أَنَّ يَسْتَلْقِيَا عَلَى اَلْعُشْبِ وَلَا يَتَحَرَّكَا. بَعْدَ لَحَظَاتٍ قَصِيرَةٍ، اِقْتَرَبَتْ شَاحِنَةٌ مِنَ اَلْمَكَانِ، وَعِنْدَ مُرُورِهَا بِالْقُرْبِ مِنْ مَخْبَئِهِمْ، قَفَزَ أَفْرَادُ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ وَصَوَّبُوا أَسْلِحَتَهُمْ نَحْوَ اَلشَّاحِنَةِ، لِيَخْرُجَ بَعْدَهَا اَلسَّائِقُ وَثَلَاثَةُ مُرَافِقِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَيَتِمَّ اَلتَّعَامُلُ مَعَهُمْ بِسُرْعَةٍ مُلْفِتَةٍ، حَيْثُ كُمِّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ وَقُيِّدَتْ أَيْدِيهُمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتْ عَمَلِيَّةُ تَنَكُّرٍ دَقِيقَةٌ تَتِمُّ فِي عَيْنِ اَلْمَكَانِ، حَيْثُ تَمَّ اِخْتِيَارُ أَرْبَعَةِ أَفْرَادٍ مِنَ اَلْكُومَانْدُوس لِيُصْبِحُوا نُسْخَةً طِبْقَ اَلْأَصْلِ مِنْ رُكَّابِ اَلشَّاحِنَةِ، وَاَلَّذِينَ حُشِرُوا فِي اَلْبَاصِ، اَلَّذِي عَادَ مِنْ جَدِيدٍ، ثُمَّ غَادَرَ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ.

فَغَرَ كُلٌّ مِنْ (ريَّان) و(زِياد) فَمَيْهِمَا وهُمَا يُتَابِعَانِ الْمَشْهَدَ، فَكَأَنَّهُمَا وَسطَ فِيلْمٍ هُولْيُودِيٍّ[1]، شَدِيدِ الْإِثَارَةِ والْحَرَكَةِ. ثُمَّ تَعَالَى صَوْتُ الْقَائِدِ:

- اِصْعَدُوا إِلَى الشَّاحِنَةِ.

[1] هوليود: مدينة أمريكية معروفة بتواجد استوديوهات السينما بها حيث يتم إنتاج أضخم الأعمال السينمائية وأشهرها.

كَـانَ اَلْجَمِيـعُ يَعْلَـمُ مَوْقِعَـهُ بِالضَّـبْطِ، حَيْـثُ احْتَـلَّ اَلْأَرْبَعَـةُ اَلْمُتَنَكِّـرُونَ مَكَـانَهُمْ فِي مَقَاعِـدَ أَمَامِيَّـةٍ، وَحُشِـرَ اَلْبَـاقُونَ فِي خَلْفِيَّـةِ اَلشَّـاحِنَةِ اَلْمُغَطَّاةِ بِالْكَامِلِ، وَالْمُمْتَلِئَةِ بِصَنَادِيقَ ضَـخْمَةٍ تَحْمِلُ مَوَادَّ مُخْتَلِفَـةً. اِنْفَرَجَـتْ أَسَـارِيرُ اَلْقَائِـدِ قَلِيلًا، فَقَـدْ نَجَحَـتِ اَلْخُطْـوَةُ اَلْأُولَى، وَعَلَيْهِ أَنْ يَنْقُلَ لِمَرْؤُوسِيهِ رَسَائِلَ اَلْأَمَلِ وَالثِّقَةِ وَالتَّفَاؤُلِ. بَيْنَمَا ظَلَّتْ مَلَامِـحُ اَلشَّـابَّيْنِ تَشِـي بِكُـلِّ مَـا يَعْتَمِـلُ دَاخِلَهُمَـا مِـنْ ذُهُـولٍ وَدَهْشَـةٍ وَخَوْفٍ مُمْزُوجٍ بِنَوْعٍ مِنْ اَلنَّشْوَةِ، مَا دَامَا يَعِيشَانِ بِرُوحَيْهِمَا وَجَسَدَيْهِمَا مُغَامَرَةً مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ، لَمْ يَتَخَيَّلَا يَوْمًا بِأَنْ يَكُونَا طَرَفًا فِيهَا.

بِكَلِمَـاتٍ مُقْتَضَـبَةٍ وَدَقِيقَـةٍ، أَخْـبَرَهُم اَلْقَائِـدُ عَـنْ خُطَّـةِ اِقْتِحَـامِ اَلْمَرْكَزِ، حَيْثُ تَمَّ اِعْتِرَاضُ اَلشَّـاحِنَةِ اَلْمُحَمَّلَةِ بِاللَّوَازِمِ اَلْغِذَائِيَّةِ وَبَعْضِ اَلتَّجْهِيزَاتِ، وَاَلَّتِي كَانَتْ تَأْتِي بِصِفَةٍ دَوْرِيَّةٍ لِتَزْوِيدِ اَلْمَقَرِّ اَلسِّرِّيِّ بِكُلِّ اِحْتِيَاجَاتِـهِ. مَكَّنَـتْ مُرَاقَبَـةُ تَحَرُّكَـاتِ اَلشَّـاحِنَةِ وَالسَّـائِقِ وَأَعْوَانِـهِ، مِـنْ تَحْدِيدٍ دَقِيقٍ لِمَسَارِهَا، وَتَحْدِيدٍ أَدَقَّ لِشَـكْلِ رَاكِبِيهَا، وَتَمَّـتِ اَلِاسْـتِعَانَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ أَمْهَرِ خُبَرَاءِ اَلتَّنَكُّرِ فِي اَلْمُخَابَرَاتِ اَلْإِمَارَاتِيَّةِ، لِيُحَوِّلَ أَفْـرَادًا مِنْ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ، إِلَى نُسْخَةٍ طِبْقَ اَلْأَصْلِ مِنْ عُمَّالِ اَلتَّوْصِيلِ.

– حِينَمَا نَتَجَاوَزُ اَلْبَوَّابَةَ، سَنَكُونُ قَدْ قَطَعْنَا شَوْطًا كَبِيرًا نَحْوَ اَلْوُصُولِ إِلَى اَلْهَدَفِ. وفِي حَالَةِ وُقُوعِ أَيِّ اِشْتِبَاكٍ مَعَ اَلْعَدُوِّ، عَلَيْكُمَا أَنْ تَكُونَا بَعِيدَيْنِ. هَلْ فَهِمْتُمَا؟ تَحَدَّثَ اَلْقَائِدُ بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ وَهُوَ يَرْمُقُ اَلشَّابَّيْنِ بِنَظَرَاتٍ حَادَّةٍ لِيُوصِلَ إِلَيْهِمَا رِسَالَةً وَاضِحَةً عَنْ جَسَامَةِ اَلْحَدَثِ وَخُطُورَتِهِ أَيْضًا.

اِقْتَرَبَتِ اَلشَّاحِنَةُ مِنَ اَلْبَابِ اَلرَّئِيسِيِّ، وحَرَّكَ اَلْقَائِدُ يَدَهُ بِإِشَارَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا مُسْبَقًا، لِيُسْرِعَ اَلْأَفْرَادُ فِي اَلدَّاخِلِ بِوَضْعِ أَقْنِعَتِهِمْ، وَشَحْنِ أَسْلِحَتِهِمْ بِالذَّخِيرَةِ تَحَسُّبًا لِأَيِّ طَارِئٍ.

بَيْنَمَا انْشَغَلَ أَحَدُهُمْ بِحَاسُوبٍ مَحْمُولٍ، أَخْرَجَهُ مِنْ حَقِيبَتِهِ اَلْمَحْمُولَةِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَمَرَّرَ أَصَابِعَهُ عَلَى اَلْأَزْرَارِ بِخِفَّةٍ وَمَهَارَةٍ، وَبِشَكْلٍ لَفَتَ أَنْظَارَ اَلشَّابَّيْنِ إِلَيْهِ، وَقَدِ اِنْتَابَهُمَا اَلْفُضُولُ لِمَعْرِفَةِ مَا يَفْعَلُهُ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَتَجَرَّآ عَلَى اَلْقِيَامِ بِحَرَكَةٍ مَا، فِي ظِلِّ اَلْأَوَامِرِ اَلَّتِي أَصْدَرَهَا اَلْقَائِدُ لِلْجَمِيعِ بِعَدَمِ اَلْحَرَكَةِ.

وَفِي اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي اِسْتَدَارَ فِيهَا صَاحِبُ اَلْحَاسُوبِ لِيَحْمِلَ شَيْئًا مَا مِنْ حَقِيبَتِهِ، اِسْتَطَاعَ (رَيَّان) أَنْ يُمَيِّزَ اَلْمُحْتَوَى اَلْمَعْرُوضَ عَلَى اَلشَّاشَةِ، ويَفْهَمَ طَبِيعَةَ عَمَلِ اَلرَّجُلِ، ثُمَّ هَمَسَ فِي أُذُنِ (زِيَاد):

– إِنَّهُ خَبِيرٌ فِي اِخْتِرَاقِ اَلنِّظَامِ اَلْأَمْنِيِّ.

وَلَمْ يَحْتَجِ اَلشَّابَّانِ لِمَعْلُومَاتٍ أُخْرَى لِيَفْهَمَا مُهِمَّةَ اَلرَّجُلِ.

أَمَامَ اَلْبَوَّابَةِ اَلْحَدِيدِيَّةِ اَلضَّخْمَةِ، تَوَقَّفَتِ اَلشَّاحِنَةُ، لِيُحِيطَ بِهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ مُسَلَّحِينَ، وَاَلَّذِينَ فَتَّشُوا أَسْفَلَهَا وَدَاخِلَهَا دُون أَنْ يَقُومُوا بِفَتْحِ اَلصَّنَادِيقِ اَلضَّخْمَةِ، وَاَلَّتِي كَانَ فِي دَاخِلِهَا أَعْضَاءُ اَلْمَجْمُوعَةِ، وَرُبَّمَا لَوِ اِسْتَعَانُوا بِكِلَابٍ مُدَرَّبَةٍ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ، لَاكْتَشَفُوا مَخْبَأَهُمْ بِسُهُولَةٍ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشُكُّوا وَلَوْ لِلَحْظَةٍ بِأَنَّ هَذِهِ اَلشَّاحِنَةَ اَلَّتِي اِعْتَادُوا عَلَى اِسْتِقْبَالِهَا مُنْذ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، قَدْ تُشَكِّلُ خَطَرًا عَلَيْهِمْ يَوْمًا مَا.

تَوَغَّلَتِ اَلشَّاحِنَةُ نَحْوَ اَلدَّاخِلِ، وَارْتَفَعَ مَنْسُوبُ اَلْأَدْرِينَالِين[1] فِي أَجْسَادِ اَلْمُتَوَاجِدِينَ بِدَاخِلِهَا، وَاَلَّذِينَ غَادَرُوا مَخَابِئَهُمْ وَهُمْ فِي حَالَةِ اِسْتِنْفَارٍ شَدِيدَةٍ، فَالْخُطْوَةُ اَلثَّانِيَةُ مَصِيرِيَّةٌ جِدًّا.

رَفَعَ اَلْخَبِيرُ يَدَهُ مُعْلِنًا تَمَكُّنَهُ مِنْ قَرْصَنَةِ نِظَامِ اَلْمُرَاقَبَةِ بِالْمَرْكَزِ، حَيْثُ سَتُعْرَضُ نَفْسُ اَلصُّورَةِ تَقْرِيبًا فِي كُلِّ شَاشَاتِ اَلْمُرَاقَبَةِ، بِشَكْلٍ يُوحِي بِأَنَّ اَلْأُمُورَ تَسِيرُ عَلَى مَا يُرَام. وَأَعَادَ اَلْقَائِدُ شَرْحَ اَلتَّعْلِيمَاتِ

---

[1] الأدرينالين: هرمون وناقل عصبي يفرزه الجسم في حالة الخطر، فيعمل على زيادة نبضات القلب وانقباض العضلات وزيادة معدل التنفس لتحضير الجسم للتعامل مع الخطر.

لِلْمَـرَّةِ اَلْأَخِـيرَةِ، وَحِـينَ تَوَقَّفَـتِ اَلشَّـاحِنَةُ تَمَامًـا، عَرَفُـوا جَمِـيعُهُمْ بِأَنَّهُـمْ يَقِفُونَ أَمَامَ اَلْبَابِ اَلرَّئِيسِيِّ لِلْمَقَرِّ مُبَاشَرَةً. حَمَلَ اَلْقَائِدُ جِهَازًا صَغِيرًا، قَرَّبَهُ مِنْ فَمِهِ، وَرَدَّدَ بِنَبْرَةٍ قَوِيَّةٍ:

– نَحْنُ فِي عَرِينِ الأسَدِ، أَطْلِقُوا اَلنُّسُورَ!!

كَانَـتِ اَلْخُطَّةُ تَقْتَضِي إِرْسَـالَ طَـائِرَاتٍ صَغِيرَةٍ مُسَيَّرَةٍ مِـنْ يَخْـتٍ سِيَاحِيٍّ رَاسٍ على نَهْـرِ السِّينِ[1]، وَاَلَّـتِي سَـتَتَوَجَّهُ بِسُـرْعَةٍ فَائِقَـةٍ نَحْـوَ اَلْأَبْـرَاجِ اَلْأَرْبَعَـةِ اَلْمُحِيطَـةِ بِالْمَقَـرِّ اَلرَّئِيسِـيِّ لِتَحْيِيـدِ خَطَـرِ اَلْحُـرَّاسِ اَلْمُسَلَّحِين. لَمْ يَتْرُكِ اَلْمُشْرِفُونَ عَلَى اَلْعَمَلِيَّةِ أَيَّ هَامِشٍ لِلْخَطَأ، مَادَامَ اَلْخَطَأُ فِي هَذِهِ اَلْمُهِمَّاتِ يَعْنِي اَلْمَوْتَ وَفُقْدَانَ اَلْأَرْوَاحِ. تَرَجَّلَ اَلْعُمَّالُ اَلثَّلَاثَةُ اَلْمُفْتَرَضُونَ مِنَ اَلشَّاحِنَةِ، وَبَقِيَ اَلسَّائِقُ فِي مَكَانِهِ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ أَحَدُهُمْ نَحْوَ اَلْبَابِ اَلْخَلْفِيِّ لِلشَّاحِنَةِ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ اَلْمُعْتَادِ تَحْتَ أَنْظَارِ ثَلَاثَةِ حُرَّاسٍ مُسَلَّحِينَ، وَفِي اَللَّحْظَةِ اَلَّتِي فَتَحَ فِيهَا اَلْبَاب، قَفَزَ أَفْـرَادُ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ مِنَ اَلشَّـاحِنَةِ بِكُـلِّ رَشَـاقَةٍ وَخِفَّةٍ، وَصَوَّبُوا أَسْـلِحَتَهُمْ نَحْـوَ اَلْحُـرَّاسِ اَلَّـذِينَ شَـلَّتِ اَلصَّـدْمَةُ حَـرَكَتَهُمْ، وَفِي اَلْوَقْـتِ

[1] نهر السين: نهر رئيسي في شمال فرنسا، طوله 777كلم ويمر عبر باريس.

نَفْسِهِ، أَمْطَرَتِ اَلطَّائِرَاتُ الْمُسَيَّرَةُ بِرَصَاصِهَا اَلْأَبْرَاجَ اَلْأَرْبَعَةَ، وَأَبْعَدَتْهَا عَنِ اَلْخِدْمَةِ نِهَائِيًّا.

سُرْعَانَ مَا وَجَدَ اَلْحُرَّاسُ أَنْفُسَهُمْ وهُم مُلْقُونَ عَلَى اَلْأَرْضِ، وَقَدْ كُبِّلَتْ أَيْدِيهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَكُمِّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ، وَتَمَّ جَرُّهُمْ إِلَى مَكَانٍ جَانِبِيٍّ. تَعَامَلَ أَحَدُ اَلْجُنُودِ مَعَ اَلْبَابِ اَلرَّئِيسِيِّ بِسُرْعَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ، فَتَمَكَّنَ مِنْ فَتْحِهِ، وَأَشَارَ اَلْقَائِدُ لِلشَّابَّيْنِ بِالدُّخُولِ، وَهُوَ مَا فَعَلَاهُ فِي اَلْحِينِ، لِيَجِدَا نَفْسَيْهِمَا وَسَطَ بَاحَةٍ وَاسِعَةٍ، فَدَفَعًا بِخُطْوَاتِهِمَا نَحْوَ اَلْأَمَامِ وَوَرَاءَهُمَا ثَلَاثَةَ مِنْ أَفْرَادِ اَلْقُوَّاتِ اَلْخَاصَّةِ، بَيْنَهُمْ اَلْقَائِدُ (أَشْرَف). اِنْعَطَفُوا نَحْوَ مَمَرٍّ ضَيِّقٍ، وَحَفَّزَ (رَيَّان) ذَاكِرَتَهُ لِيَسْتَحْضِرَ تَفَاصِيلَ اَلْمَكَانِ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ.

فِي نِهَايَةِ اَلْمَمَرِّ اِصْطَدَمُوا بِبَابٍ حَدِيدِيٍّ مُصَفَّحٍ، حَاوَلَ أَحَدُ اَلْجُنُودِ فَتْحَهُ دُونَ جَدْوَى، وَكَانَتِ اَلْمُفَاجَأَةُ أَنَّ اَلْبَابَ مُزَوَّدٌ بِقُفْلٍ إِلِكْتِرُونِيٍّ جِدِّ مُتَطَوِّرٍ، وَلَا يُمْكِنُ فَتْحُهُ إِلَّا بِرَمْزٍ مُعَيَّنٍ. وَهُنَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَتَبَادَلُوا نَظَرَاتٍ قَلِقَةً، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَضِيعَ جُهُودُهُمْ بِسَبَبِ بَابٍ. كَانَ اَلْوَقْتُ يَمُرُّ بِسُرْعَةٍ، وَأَنْفَاسُ اَلْوَاقِفِينَ أَمَامَ اَلْبَابِ اَلْمُصَفَّحِ تَتَسَارَعُ.

وَمِنْ شِدَّةِ اَلِانْفِعَالِ وَالتَّوَتُّرِ، سَدَّدَ أَحَدُهُمْ طَلَقَاتٍ مِنْ رَشَّاشِهِ عَلَى اَلْبَابِ، فَلَمْ يَتَأَثَّرْ بَتَاتًا. فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ كَانُوا جَمِيعُهُمْ عَلَى حَافَّةِ اَلِانْهِيَارِ، وَتَرَدَّدَتْ فِي أَذْهَانِهِمْ عِبَارَةٌ وَاحِدَةٌ: –لَقَدْ فَشِلَتِ اَلْمُهِمَّةُ.

ضَغْطَ (زِيَاد) عَلَى أَسْنَانِهِ مِنْ اَلْغَيْظِ، وَسَرَحَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ اَلْبَابِ اَللَّعِينِ اَلَّذِي ضَيَّعَ مَجْهُودًا ضَخْمًا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ، وَضَلَّ اَلْقَائِدُ وَاقِفًا مُنْتَصِبَ اَلْقَامَةِ مُحَافِظًا عَلَى هَيْبَتِهِ، حَتَّى لَا يَتَسَرَّبُ اَلشَّكُّ أَوِ اَلْإِحْبَاطِ لِجُنُودِهِ أَوْ لِلشَّابَّيْنِ، لَكِنَّ عَقْلَهُ كَانَ يَغْلِي بِالْعَدِيدِ مِنَ اَلْأَفْكَارِ وَالْهَوَاجِسِ، هُوَ اَلَّذِي نَالَ ثِقَةَ رُؤَسَائِهِ فَمَنَحُوهُ قِيَادَةَ هَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ اَلْحَسَّاسَةِ وَالْمَصِيرِيَّةِ. أَمَّا (رَيَّان) فَقَدْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ كَعَادَتِهِ كُلَّمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ اَلْحَيْرَةُ، وَافْتَقَدَ اَلْقُدْرَةَ عَلَى اَلتَّفْكِيرِ، وَوَقَفَ عَاجِزًا أَمَامَ مُشْكِلَةٍ مَا. لَمْ يَفْهَمْ لِمَ تَذَكَّرَ وَالِدَيْهِ، خَاصَّةً أُمَّهُ وَهُوَ يُحَدِّثُهَا عَنْ بُطُولَتِهِ اَلْمَزْعُومَةِ، وَلَمْ يَدرِ لِمَ تَجَلَّتْ أَمَامَهُ صُورَةُ اَلدَّمَارِ وَالْخَرَابِ مِنْ جَدِيدٍ، وَلِمَ تَنَاهَتْ إِلَى سَمْعِهِ صَيْحَاتُ اَلرُّعْبِ وَالْمَوْتِ تَصْدُرُ عَنْ مَلَايِينِ اَلضَّحَايَا...

صَحَا مِنْ شُرُودِهِ عَلَى صَوْتِ اَلْقَائِدِ وَهُوَ يَصْرُخُ:

– نَحْتَاجُ إِلَى رَمْزِ فَتْحِ اَلْبَوَّابَةِ، حَاوِلْ مِنْ جَدِيدٍ.

كَانَ يُعَدِّلُ وَضْعَ اَلسَّمَّاعَةِ اَلصَّغِيرَةِ اَلْمُثَبَّتَةِ عَلَى أُذُنِهِ وَهُوَ يُحَاوِلُ اَلتَّوَاصُلَ مَعَ غُرْفَةِ اَلْعَمَلِيَّاتِ هُنَاكَ فِي (دبَيْ)، حَيْثُ كَانَ اَلشُّبَّانُ وَالْخُبَرَاءُ فِي سِبَاقٍ مَحْمُومٍ مَعَ اَلزَّمَنِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى اَلشَّيفْرَةِ اَلْمَطْلُوبَةِ. تَأَمَّلَ (رَيَّان) لَوْحَةَ اَلْأَرْقَامِ اَلْمُثَبَّتَةِ قُرْبَ اَلْبَابِ، وَأَخَذ يُرَدِّدُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ أَرْقَامًا عَشْوَائِيَّةً، قَبْلَ أَنْ يُطْلِقَ صَرْخَةً قَوِيَّةً مِنْ أَعْمَاقِهِ:

– آهٍ تَذَكَّرْتُ!!... نَعم... نَعم... تَذَكَّرْتُ!!

اِعْتَقَدَ مُرَافِقُوهُ أَنَّ اَلشَّابَّ قَدْ جُنَّ بَعْدَمَا تَجَاوَزَتْهُ اَلْأَحْدَاثُ، وَحْدَهُ (زِيَاد) مَنْ شَارَكَ رَفِيقَهُ فِي اِنْفِعَالِهِ اَلْمُفَاجِئِ وَهُوَ يُحِيطُهُ بِذِرَاعَيْهِ وَيَصْرُخ بِدَوْرِهِ:

– وَجَدَتْ اَلْحَلَّ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

حَرَّكَ (رَيَّان) رَأْسَهُ مُوَافِقًا، وَرَدَّدَ وَهُوَ يُمَرِّرُ أَصَابِعَهُ عَلَى لَوْحَةِ اَلْأَزْرَارِ:

- 6021977

فُتِحَ اَلْبَاب أَمَامَ دَهْشَةِ اَلْآخَرِينَ، بَيْنَمَا اسْتَرْسَلَ (رَيَّان) وَقَدْ غَلَبَتْهُ دُمُوعُ اَلتَّأَثُّرِ وَالْفَرَحِ مَعًا:

– اَلْفَضْـلُ يَعُـودُ لِـذَاكِرَتِي اَلْقَوِيَّـةِ، لَسْـتُ أَدْرِي لِمَ اُخْتَزَنْـتُ فِي ذَاكِرَتِي هَذَا اَلرَّقْمَ اَلسِرِّيَّ مُنْذُ آخِرِ زِيَارَةٍ لِي لِهَذَا اَلْمَكَانِ، لَكِنَّ أُمُورًا كَثِيرَةً تَحْدُثُ دُونَ أَنْ نَفْهَمَ كَيْفَ؟ وَلِمَاذَا؟ وَتِلْكَ حِكْمَةُ اَلْقَدَرِ.

لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ بَابٍ عَادٍ يُفْتَحُ، كَانَ مِثْل "سِمْسِمٍ" فِي قِصَّةِ عَلَاءِ اَلـدِّين، أَوْ كَبَـابِ سِـجْنٍ يُفْـتَحُ فِي وَجْـهِ مَسْـجُونٍ نَالَ حُرِّيَّتَـهُ بَعْـد سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ اَلْأَسْرِ.

بِضْـعُ خُطُوَاتٍ فَقَطْ تَفْصِـلُهُمْ عَـنِ اَلْمَكْتَـبِ اَلْمَقْصُـودِ، تَقَـدَّمَ جُنُـودُ قُـوَّاتِ اَلنُّخْبَـةِ مُتَّخِـذِينَ وَضْـعِيَّةً هُجُومِيَّـةً وَمُسْـتَعِدِّينَ لِكُـلّ اَلِاحْتِمَـالَاتِ، مَـعَ أَوَّلِ مُنْعَطَفٍ عَلَى اَلْيَمِينِ سَيَجِدُونَ بَابَ اَلْمَكْتَبِ اَلْمَطْلُوبِ، وَكَانَ اَلسُّكُونُ اَلَّذِي يَسُودُ فِي اَلْمَكَانِ مُثِيرًا لِلرِّيبَةِ وَالْقَلَقِ، فَغَالِبًا مَا تَتْبَعُهُ اَلْعَاصِفَةُ.

أَشَارَ اَلْقَائِدُ بِيَدِهِ يَدْعُو اَلْجَمِيعَ لِلتَّوَقُّفِ، وَقَدْ وَضَعَ سَبَّابَتَهُ عَلَى اَلسَّـمَّاعَةِ اَلْمُلْتَصِـقَةِ بِأُذُنِـهِ وَعَقَـدَ حَاجِبَيْـهِ بِشَـكْلٍ مُفْـرِطٍ، لِدَرَجَـةِ أَنَّ تَجَاعِيدَ كَثِيرَةً اِرْتَسَمَتْ عَلَى جَبِينِهِ.

كَانَتْ تَعْلِيمَاتٌ مُحَدَّدَةٌ تَصِلُهُ مِنْ غُرْفَةِ اَلْقِيَادَةِ، وَكَانَتْ مَلَامِحُهُ تُوحِي بِأَنَّ مَا يَسْمَعُهُ يَبْدُو خَارِجَ اَلْمَأْلُوفِ.

بِحَرَكَةٍ مِنْ يَدِهِ، دَعَاهُمْ لِلِاقْتِرَابِ أَكْثَر، كَوَّنُوا حَلَقَةً صَغِيرَةً حَوْلَهُ، وَتَحَدَّثَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ حَتَّى لَا يُصْدِرُوا جَلَبَةً فِي اَلْمَكَانِ:

– لَقَدْ تَغَيَّرَ مَسَارُ اَلْمَرْكَبَةِ بِشَكْلٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، وَازْدَادَتْ سُرْعَتُهَا بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ. مُعْطِيَاتُنَا تُؤَكِّد بِدُونِ مَجَالٍ لِلشَّكِّ، أَنَّ اَلْمَرْكَبَةَ تَتَوَجَّهُ مُبَاشَرَةً نَحْوَ (نِيُويُورْك)، وَفِي غُضُونِ سَاعَةٍ سَيَحْدُثُ اَلِانْفِجَارُ اَلْمُدَمِّرُ. لِذَا يَطْلُبُونَ مِنَّا اَلِانْسِحَابَ، فَلَمْ يَعُدِ اَلْخَطَرُ قَائِمًا. وَلَا دَاعِي لِلتَّوَرُّطِ فِي مُغَامَرَةٍ غَيْرِ مَحْسُوبَةِ اَلْعَوَاقِبِ.

– وَهُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ. أَرْدَفَ اَلضَّابِطُ لِيَلْفِتَ اِنْتِبَاهَهُمْ بَعْدَمَا خَلْخَلَتِ اَلْمَعْلُومَةُ اَلْجَدِيدَةُ أَفْكَارَهُمْ:

– لَقَدْ تَحَرَّكَتْ قُوَّاتُ اَلْأَمْنِ اَلْفَرَنْسِيَّةِ بَعْدَ رَصْدِهَا لِنَشَاطٍ مَشْبُوهٍ فِي هَذِهِ اَلْمِنْطَقَةِ، لَيْسَ لَدَيْنَا مُتَّسَعٌ مِنَ اَلْوَقْتِ، وَيَجْدُرُ بِنَا اَلْمُغَادَرَةَ اَلْآن. هَيَّا!!

لَبَّى اَلْجُنُودُ أَوَامِرَ اَلْقَائِدِ فَوْرًا، بَيْنَمَا تَجَمَّدَ (زِيَّان) و(زِيَاد) فِي مَكَانِهِمَا يُحَاوِلَانِ اِسْتِيعَابَ مَا يَحْصُلُ. أَعَادَ اَلْقَائِدُ أَمْرَهُ بِحَزْمٍ، وَهُوَ يُحَرِّكُ يَدَهُ بِعَصَبِيَّةٍ يَدْعُوهُمْ لِلتَّحَرُّكِ بِسُرْعَةٍ.

تَبَادَلَ اَلشَّابَّانِ اَلنَّظَرَاتِ، وَفِي حَرَكَةٍ خَاطِفَةٍ، اِنْطَلَقَا يَجْرِيَانِ بِكُلِّ سُرْعَتِهِمَا، لَكِنْ فِي اَلِاتِّجَاهِ اَلْمُعَاكِسِ، نَحْوَ اَلْمَكْتَبِ مُبَاشِرَةً، وَصَرَخَاتُ اَلْقَائِدِ اَلْغَاضِبَةِ تَتَعَالَى مِنْ وَرَائِهِمَا.

اِلْهَمَرَ وَابِلٌ مِنَ اَلرَّصَاصِ عَلَيْهِمَا، لَكِنَّهُمَا لَمْ يُصَابَا بِسَبَبِ حَالَةِ اَلتَّوَتُّرِ وَالْمُفَاجَأَةِ اَلَّتِي انْتَابَتْ مُطْلِقِي اَلنَّارِ، دَفَعَ (زِيَاد) بَابَ اَلْمَكْتَبِ بِرَكْلَةٍ قَوِيَّةٍ، لِيَسْقُطَ بَعْدَهَا عَلَى اَلْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ أَصَابَتْ رَصَاصَةٌ كَتِفَهُ اَلْأَيْمَنَ، وَارْتَمَى (رَيَّان) عَلَى صَدِيقِهِ، وَقَدْ هَالَهُ مَنْظَرُ اَلدِّمَاءِ اَلْمُتَدَفِّقَةِ مِنَ اَلْجُرْحِ اَلْعَمِيقِ، فَأَصَابَتْهُ نَوْبَةُ هَلَعٍ قَوِيَّةٌ وَفَقَدَ اَلتَّرْكِيزَ، وَبَدَا خَارِجَ اَلسِّيَاقِ تَمَامًا، قَبْلَ أَنْ يَشْعُرَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ تَجْذِبُهُ مِنْ ذِرَاعِهِ بِخُشُونَةٍ، وَصَوْتُ اَلْقَائِدِ اَلْجَهْوَرِيِّ يَتَرَدَّدُ فِي أُذُنِهِ:

– هَيَّا. لِنَقُمْ بِذَلِكَ!!

كَانَ اَلْقَائِدُ يَحْمِلُ اَلْحَقِيبَةَ بِيَدِهِ، بَيْنَمَا انْهَمَكَ أَحَدُ اَلْجُنُودِ فِي تَضْمِيدِ جُرْحِ (زِيَاد)، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ صَوْتُ اَلرَّصَاصِ فِي اَلْمَكَانِ. اِسْتَجْمَعَ (رَيَّان) قُوَّتَهُ، وَاسْتَعَادَ تَرْكِيزَهُ وَهُوَ يَحْمِلُ اَلْحَقِيبَةَ اَلثَّمِينَةَ بِحَذَرٍ، وَيَضَعُهَا بِرِفْقٍ عَلَى اَلْمَكْتَبِ. وَفِي لَحْظَةٍ، اِتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ جَزَعًا وَهَلَعًا، فَنَوْعِيَّةُ اَلْحَقِيبَةِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ اَلنَّمُوذَجِ اَلَّذِي اشْتَغَلَ

عَلَيْهِ هُنَاكَ فِي مَقَرِّ اَلْعَمَلِيَّاتِ، وَاكْتَشَفَ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ، أَنَّ جِهَازَ اَلْمُخَابَرَاتِ أَخْطَأَ فِي تَقْدِيمِ اَلْمَعْلُومَةِ اَلصَّحِيحَةِ اَلْخَاصَّةِ بِهَذَا اَلْجُزْءِ مِنَ اَلْمُهِمَّةِ، وَاَلَّذِي كَانَ أَهَمَّ جُزْءٍ وَأَكْثَرَهُ حَسَاسِيَةً وَخُطُورَةً.

كَانَ اَلْوَقْتُ يَمْضِي بِسُرْعَةٍ، وَالِاشْتِبَاكَاتُ لَمْ تَتَوَقَّفْ بَيْنَ أَفْرَادِ اَلْكُومَانْدُوس وَبَعْضِ اَلْحُرَّاسِ اَلَّذِينَ رَفَضُوا اَلِاسْتِسْلَامَ، بَيْنَمَا وَقَفَ (رَيَّان) عَاجِزًا عَنِ اِتِّخَاذِ اَلْقَرَار، وَصَرَخَاتُ اَلْقَائِدِ تَصِلُ إِلَى سَمْعِهِ: – مَاذَا تَنْتَظِرُ؟ أَسْرِعْ... أَسْرِعْ!!

أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ لِيَسْتَعِينَ بِذَاكِرَتِهِ اَلْقَوِيَّةِ وَبِقُدْرَتِهِ اَلْفَذَّةِ عَلَى اسْتِحْضَارِ اَلتَّفَاصِيلِ وَاَلْجُزْئِيَّاتِ، عَادَ بِالزَّمَنِ أَسَابِيعَ نَحْوَ اَلْوَرَاءِ، وَأَوَّل لِقَاءٍ جَمَعَهُ بِالْبُرُوفِيسُور فِي هَذَا اَلْمَكْتَبِ بِالضَّبْطِ، وَتَرَاءَتْ أَمَامَهُ صُوَرُ اَللِّقَاءِ:

"حَدِيثُ اَلْبُرُوفِيسُور، حَرَكَاتُهُ، نَظَرَاتُهُ، حَرَكَاتُ سَبَّابَةِ يَدِهِ اَلْيُسْرَى و..."

– نَعَم... تَذَكَّرْتُ!!

صَرَخَ مُنْتَشِيًا بِاكْتِشَافِهِ اَلْمُهِمِّ، وَبِلَا تَرَدُّدٍ مَرَّرَ سَبَّابَتَهُ عَلَى لَوْحَةِ اَلْمَفَاتِيحِ مُتَّبِعًا ذَلِكَ اَلشَّكْلَ اَلْهَنْدَسِيَّ اَلَّذِي احْتَفَظَ بِهِ فِي

ذَاكِرَتِهِ، لَكِنَّ مُحَاوَلَتَهُ اَلْأُولَى فَشِلَتْ، وَكَذَلِكَ اَلثَّانِيَة، وَفَشَلٌ ثَالِثٌ يَعْنِي فَشَلًا دَائِمًا.

– سَيَحْتَاجُ لِحَرَكَةٍ أَسْهَلَ حَتَّى يَتَجَاوَبَ بِسُرْعَةٍ مَعَ أَيِّ مَوْقِفٍ أَوْ مُسْتَجَدٍّ... رَدَّدَ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ يَرْسُمُ فِي اَلْفَضَاءِ مَشْهَدًا مُتَوَقَّعًا لِلْبُرُوفِيسُور، حِينَمَا سَيَكُونُ مُضْطَرًّا لِتَفْعِيلِ زِرِّ اَلتَّفْجِيرِ فِي مَوْقِفٍ مُشَابِهٍ.

– تَوَكَّلتُ عَلَى اَللَّهِ. رَدَّدَ بِخُشُوعٍ وَهُوَ يُمَرِّرُ سَبَّابَتَهُ عَلَى اَللَّوْحَةِ. وَانْفَتَحَتِ اَلْحَقِيبَةُ أَخِيرًا. تَأَمَّلَ اَلزِّرَّ اَلْأَحْمَرَ لِلَحْظَةٍ، وَبِدُونِ تَرَدُّدٍ ضَغَطَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَدْرِ مَا حَصَلَ بَعْدَهَا، فَقَدْ أَنْهَكَهُ اَلْإِجْهَادُ وَالتَّوَتُّرُ وَالْخَوْفُ وَالِانْفِعَالُ، وَسَقَطَ فَاقِدًا اَلْوَعْيَ.

يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ، لَكِنَّ ثِقْلًا غَرِيبًا يَجْثُمُ عَلَيْهِمَا. بَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةٍ، تَمَكَّنَ أَخِيرًا مِنْ فَتْحِهِمَا، غِشَاوَةٌ بَيْضَاءُ تَمْنَعُ عَنْهُ وُضُوحَ اَلصُّورَةِ أَمَامَهُ، عَادَ لِيُكَرِّرَ حَرَكَاتِ فَتْحِ وَإِغْلَاقِ عَيْنَيْهِ لِيُبْعِدَ تِلْكَ اَلْغِشَاوَةَ، وَتَمَكَّنَ أَخِيرًا مِنْ تَمْيِيزِ مَا يَدُورُ حَوْلَهُ. كَانَ مُسْتَلْقِيًا عَلَى سَرِيرٍ، دَاخِلَ غُرْفَةٍ نَظِيفَةٍ، صُبِغَتْ جُدْرَانُهَا بِلَوْنٍ أَبْيَض نَاصِعٍ، وَغَطَّتْ سَتَائِرُ وَرْدِيَّةُ اَللَّوْنِ نَافِذَةً وَاسِعَةً تَوَسَّطَتْ أَحَدَ

اَلْجُدْرَانِ. نَفَذَتْ إِلَى أَنْفِهِ رَائِحَةُ اَلْمُسْتَشْفَيَاتِ اَلْمُمَيَّزَةِ، وَانْتَبَهَ لِلْجِهَازِ اَلْمَوْضُوعِ قُرْبَهُ وَاَلَّذِي تُعْرَضُ عَلَى شَاشَتِهِ مُؤَشِّرَاتُ جَسَدِهِ اَلْحَيَوِيَّةُ.

حَاوَلَ اَلنُّهُوضَ مِنَ اَلسَّرِيرِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ صُعُوبَةً فِي تَحْرِيكِ أَطْرَافِهِ، فَقَدْ كَانَ فِي أَقْصَى دَرَجَاتِ اَلْإِنْهَاكِ وَالتَّعَبِ. أَمَامَهُ تِلْفَازٌ ذُو شَاشَةٍ مُسَطَّحَةٍ مُتَوَسِّطُ اَلْحَجْمِ، لَا يَعْرِفُ مَنْ تَرَكَهُ مُشَغَّلًا، لَكِنَّهُ يَنْشَغِلُ اَلْآنَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى شَاشَتِهِ، حَيْثُ تَبُثُّ قَنَاةٌ إِخْبَارِيَّةٌ شَهِيرَةٌ خَبَرًا عَاجِلًا، مَيَّزَ ذَلِكَ اَلشَّرِيطَ اَلْأَحْمَرَ اَلْكَبِيرَ أَسْفَلَ اَلشَّاشَةِ، وَقَرَأَ مُحْتَوَاهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

– شَابَّانِ عَرَبِيَّانِ يُنْقِذَانِ اَلْعَالَمَ مِنْ كَارِثَةٍ نَوَوِيَّةٍ.

تَحَفَّزَتْ خَلَايَا عَقْلِهِ، فَاسْتَعَادَ هِبَةَ اَلتَّفْكِيرِ بَعْدَ لَحْظَةِ فَرَاغٍ ذِهْنِيٍّ عَاشَهَا مُنْذُ أَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَكَانَهُ. مَرَّتِ اَلْمَشَاهِدُ اَلْأَخِيرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ كَشَرِيطٍ تَتَوَالَى أَحْدَاثُهُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، تَوَقَّفَ عِنْدَ صُوَرِ أَشْخَاصٍ عَاشَ مَعَهُمْ اَللَّحَظَاتِ اَلْأَخِيرَةَ، أَفْرَادٌ مِنْ قُوَّاتِ اَلنُّخْبَةِ اَلْمَغْرِبِيَّةِ وَالْإِمَارَاتِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ، اَلْقَائِدُ (أَشْرَف)، و (زِيَاد)... وَحْدَهَا ذِكْرَى صَدِيقِهِ جَعَلَتْهُ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَالٍ: –(زِيَادْ)... (زِيَادْ)!!

فُتِحَ اَلْبَابُ وَدَخَلَ أَشْخَاصٌ لَمْ يَسْتَطِعْ تَمْيِيزَهُمْ فِي اَلْبَدْءِ، مِنْ وَرَائِهِمْ اِنْبَعَثَ صَوْتٌ مَأْلُوفٌ:

– حَمَدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ يَا بَطَل.

– سِيَادَة اَلْجِنِرَالِ!! رَدَّدَ (رَيَّانْ) بِدَهْشَةٍ وَفَرَحٍ فِي آنٍ.

تَقَدَّمَ اَلْجِنِرَالُ (مُحَمَّد) بِطَلْعَتِهِ اَلْمَهِيبَةِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ(رَيَّان) وَهُوَ يُرْدِفُ بِابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ: –لَقَدْ نَجَحْتَ أَيُّهَا اَلشَّابُّ، وَأَنْقَذْتَ اَلْعَالَمَ.

– مَاذَا جَرَى؟ تَسَاءَلَ (رَيَّان) وَكُلُّهُ شَوْقٌ لِمَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ اَللَّحَظَاتِ اَلْأَخِيرَةِ.

– حَدَثَ شَيْءٌ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ. فِي لَحْظَةٍ، تَغَيَّرَ مَسَارُ اَلْمَرْكَبَةِ اَلْمُدَمِّرَة، وَاتَّخَذَتْ مَسَارًا جَدِيدًا نَحْو (نيُويُورْك) مُبَاشَرَةً. وَتَزَايَدَتْ سُرْعَتُهَا أَيْضًا بِشَكْلٍ يَتَجَاوَزُ اَلْمَنْطِق. لَقَدْ رَاهَنَ أُولَئِكَ اَلْمُجْرِمُونَ عَلَى صُنْعِ نَمُوذَجٍ فَرِيدٍ لِمَرْكَبَةٍ مُرْعِبَةٍ، وَلَمْ يُدْرِكُوا أَنَّ اَلنَّارَ اَلَّتِي أَضْرَمُوهَا سَتَرْتَدُّ عَلَيْهِمْ وَتَحْرِقُهُمْ. رَصَدْنَا حَرَكَةً غَيْرَ عَادِيَّةٍ فِي قَوَاعِدَ عَسْكَرِيَّةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ، لَكِنَّهُمْ اِكْتَشَفُوا مُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّ اَلتَّصَدِّيَ لِلْمَرْكَبَةِ

مُسْتَحِيلٌ، وَأَنَّ اَلْوَقْتَ لَا يَسْمَحُ لَهُمْ بِالْوُصُولِ إِلَى اَلْحَقِيبَةِ لِتَفْعِيلِ زِرِّ اَلتَّفْجِيرِ اَلذَّاتِيِّ لِلصَّارُوخِ.

وَمِنْ غَرَائِبِ اَلصُّدَفِ أَنَّ اَلرَّجُلَ اَلْمَسْؤُولَ عَنْ تِلْكَ اَلْحَقِيبَةِ وَهُوَ رَئِيسُ تِلْكَ اَلْمُنَظَّمَةِ بِالْمُنَاسَبَةِ، كَانَ فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ بِالضَّبْطِ، يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ فِي قَصْرِهِ اَلْبَارِيسِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا يَجْرِي. لَكِنَّكَ وَرَفِيقَكَ (زِيَاد)، تَدَخَّلْتُمَا فِي اَلْوَقْتِ اَلْمُنَاسِبِ، وَفَعَلْتُمَا مَا عَجَزَ عَنْ فِعْلِهِ اَلْعَالَمُ كُلُّهُ.

مَازَالَ شَرِيطُ اَلْأَخْبَارِ يَتَحَدَّثُ عَنْ بُطُولَةِ اَلشَّابَّيْنِ اَلْعَرَبِيَّيْنِ، وَظَهَرَتْ عَلَى اَلشَّاشَةِ صُوَر حَيَّةٌ لِمُخَلَّفَاتِ اَلِانْفِجَارِ اَلضَّخْمِ وَاَلْهَائِلِ اَلَّذِي وَقَعَ عَلَى حُدُودِ اَلْغِلَافِ اَلْجَوِّيِّ لِلْأَرْضِ، كَمَا بَثَّتِ اَلْقَنَاةُ صُوَرًا مُبَاشِرَةً لِخُرُوجِ اَلْآلَافِ مِنَ اَلنَّاسِ فِي بِقَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ اَلْعَالَمِ وَهُمْ يَرْفَعُونَ أَعْلَامَ اَلْمَغْرِبِ وَالْإِمَارَاتِ، تَقْدِيرًا وَاحْتِرَامًا وَامْتِنَانًا لِمَا فَعَلَهُ الشَّابانِ البطَلانِ. ثُمَّ ظَهَرَتْ صُوَرٌ أُخْرَى لِعَمَلِيَّاتِ اِعْتِقَالٍ وَاسِعَةٍ لِأَفْرَادِ تِلْكَ اَلْمُنَظَّمَةِ اَلْإِجْرَامِيَّةِ، وَاَلَّتِي كَادَتْ تَتَسَبَّبُ فِي كَارِثَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ بِسَبَبَ جُنُونِ اَلْعَظَمَةِ اَلَّذِي تَمَلَّكَ رُؤَسَاءَهَا.

لَمْ يَسْتَطِعْ (رَيَّان) أَنْ يَمْنَعَ رَعْشَةَ اَلْفَخْرِ اَلَّتِي سَرَتْ فِي جَسَدِهِ وَهُوَ يُتَابِعُ اَلْأَحْدَاثَ اَلْجَارِيَةَ فِي اَلْعَالَمِ، وَتَذَكَّرَ أُمَّهُ وَوَالِدَهُ هُنَاكَ فِي (اَلْمَغْرِب)، آنَ لَهُمَا أَنْ يَفْتَخِرَا بِابْنِهِمَا اَلْبَطَلِ اَلَّذِي أَصْبَحَ اِسْمُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ. وَسُرْعَانَ مَا تَذَكَّرَ صَدِيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي هَذِهِ اَلْمَلْحَمَةِ، (زِيَاد)، وَاَلَّذِي أُصِيبَ بِرَصَاصَةٍ غَادِرَةٍ، فَصَرَخَ: –مَاذَا حَصَلَ لِ (زِيَاد)؟ هَلْ هُوَ بِخَيْرٍ؟

– اَلْحَمْدُ لِلَّهِ إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ خَطِيرَةً. مَازَالَ حَيًّا، وَسَيُغَادِرُ اَلْمُسْتَشْفَى قَرِيبًا.

– لَكِنْ، أَيْنَ نَحْنُ بِالضَّبْطِ؟

– أَنْتَ فِي بَلَدِكَ وَبَيْنَ أَهْلَكَ يَا (رَيَّان).

– هَلْ أَنَا فِي اَلْمَغْرِبِ؟ تَسَاءَلَ بِلَهْفَةٍ.

– بَلْ فِي بَلَدِكَ اَلثَّانِي (اَلْإِمَارَات)، وَقَرِيبًا سَتُغَادِرُ إِلَى (اَلْمَغْرِب)، فَكُلُّ أَحِبَّتِكَ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَكَ.

قَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ اَلْجِنِرَالُ، اِلْتَفَتَ جِهَةَ (رَيَّان) وَسَأَلَهُ بِاهْتِمَامٍ:

– لَقَدْ صَدَرَتْ إِلَيْكُمَا اَلْأَوَامِرُ بِالِانْسِحَابِ، فَلِمَاذَا أَصَرَّيْتَ عَلَى إِكْمَالِ اَلْمُهِمَّةِ وَعَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْخَطَرِ؟

– أَتَذْكُرُ اَلْآيَةَ اَلْكَرِيمَةَ اَلَّتِي ذَكَّرْتَنَا بِهَا فِي قَاعَةِ اَلْعَمَلِيَّاتِ فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ يَجْمَعُنَا؟ سَأَلَهُ (رَيَّان) بِدَوْرِهِ.

– نَعَم. قَوْلُهُ تَعَالَى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ".

– لَا يُمْكِنُ لِمَنْ يَنْتَمِي لِخَيْرِ اَلْأُمَمِ إِلَّا أَنْ يَنْشُرَ اَلْخَيْرَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ اَلنَّاسِ. وَذَلِكَ مَا فَعَلْتُهُ. رَدَّ (رَيَّان) بِثِقَةٍ.

وَكَأَنَّمَا تَذَكَّرَ اَلْجِنِرَالُ شَيْئًا جَدِيدًا، فَقَدْ عَادَ أَدْرَاجَهُ وَاقْتَرَبَ أَكْثَرَ مِنْ (رَيَّان) لِيَسْأَلَهُ بِاهْتِمَامٍ:

– تَعْلَمُ أَنَّنَا كُنَّا نُتَابِعُ كُلَّ مَا يَجْرِي هُنَاكَ. لَكِنَّنَا لَمْ نَفْهَمْ كَيْفَ اسْتَطَعْتَ اَلْوُصُولَ لِلرَّمْزِ اَلسِّرِّيِّ لِحَقِيبَةِ اَلتَّحَكُّمِ. لَقَدْ كُنَّا شِبْهَ مُتَأَكِّدِينَ بِأَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ فَتْحَهَا، فَكَيْفَ تَمَكَّنْتَ مِنْ ذَلِكَ؟

– قَلِيلٌ مِنَ اَلتَّفْكِيرِ، وَكَثِيرٌ مِنَ اَلتَّوْفِيقِ اَلْإِلَهِيِّ. مَهْمَا بَلَغَتْ قُدُرَاتُنَا اَلْعَقْلِيَّةُ وَمَهَارَاتُنَا، فَإِنَّنَا نَحْتَاجُ فِي لَحَظَاتِ اَلْعَجْزِ إِلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَذَلِكَ مَا حَصَلَ سَيِّدي الجِنِرالَ.

اِزْدَادَتْ اِبْتِسَامَةُ اَلْجِنِرَالِ اِتِّسَاعًا وَهُوَ يَسْمَعُ جَوَابَ (رَيَّان) اَلْمُفْعَمَ بِنَفْحَةٍ إِيمَانِيَّةٍ، فَمَا فَتِئَ هَذَا اَلشَّابُّ يُثِيرُ إِعْجَابَهُ وَتَقْدِيرَهُ.

اِجْتَمَعَتْ وُفُودٌ مِنَ اَلْعَالَمِ كُلِّهِ فِي قَاعَةِ اَلْمُؤْتَمَرَاتِ اَلْفَخْمَةِ وَسَطَ اَلْمَدِينَةِ اَلْعِمْلَاقَةِ (دُبَي)، فِي ظِلِّ إِجْرَاءَاتٍ أَمْنِيَّةٍ مُشَدَّدَةٍ، وَالْتَحَقَ مِئَاتُ اَلصَّحَفِيِّينَ وَالْمُصَوِّرِينَ بِالْمَكَانِ اَلْمُخَصَّصِ لَهُمْ لِنَقْلِ وَقَائِعِ اَللِّقَاءِ اَلصَّحَفِيِّ اَلَّذِي سَيُجْرِيهِ اَلْبَطَلَانِ اَللَّذَانِ أَنْقَذَا اَلْعَالَمَ.

فِي قَاعَةٍ جَانِبِيَّةٍ، جَلَسَ (رَيَّان) و(زِيَاد) وَهُمَا يَشْعُرَانِ بِبَعْضِ اَلتَّوَتُّرِ، فَلَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا أَنْ وَقَفَا أَمَامَ حَشْدٍ مُمَاثِلٍ مِنْ رِجَالِ اَلسِّيَاسَةِ وَالصِّحَافَةِ وَقَادَةِ اَلْجُيُوشِ وَالنَّاسِ اَلْعَادِيِّينَ، وَاَلَّذِينَ تَوَافَدُوا عَلَى اَلْقَاعَةِ اَلضَّخْمَةِ لِتَكْرِيمِ اَلشَّابَّيْنِ، وَمَعَهُمَا كُلُّ اَلَّذِينَ سَاهَمُوا فِي إِنْقَاذِ اَلْعَالَمِ، حيثُ جَلَسَ فِي الْمِنَصَّةِ أَعْضاءُ الفريقِ جَميعُهُمْ، وقَدْ تَوَشَّحوا بِأَوْسِمةِ الفَخْرِ والشَّجاعَة.

اِخْتَارَ اَلشَّابَّانِ أَنْ يَرْتَدِيَا لِبَاسًا تَقْلِيدِيًّا يَحْتَرِمُ هُوِيَّتَهُمَا وَثَقَافَةَ بَلَدَيْهِمَا، فَارْتَدَى (رَيَّان) جِلْبَابًا أَبْيَض، وَبلْغَةً صَفْرَاءَ، وَطَرْبُوشًا أَحْمَر، بَيْنَمَا اَلتَحَفَ (زِيَاد) فِي قَمِيصٍ أَبْيَضٍ طَوِيلٍ، وَغَطَّى رَأْسَهُ بِغُتْرَةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَهَا عِقَالٌ أَسْوَدُ. لِيَتَوَجَّهَا نَحْوَ اَلْمِنَصَّةِ اَلرَّئِيسِيَّةِ تَحْتَ وَابِلٍ مِنْ اَلتَّصْفِيقِ، وَوَسَطَ وَمِيضٍ هَائِلٍ سَبَّبَتْهُ عَدَسَاتُ اَلْمُصَوِّرِينَ.

أَجَـابَ اَلرَّفِيقَـانِ عَـنْ أَسْـئِلَةِ اَلصَّـحَفِيِّينَ، وَذَكَـرَا بَعْضًـا مِـنَ اَلتَّفَاصِـيلِ اَلَّـتِي مَيَّـزَتْ مَسَـارَهُمَا اَلشَّـاقَّ، وَقَبْـلَ نِهَايَـةِ اَلْحِـوَارِ، تَقَـدَّمَ صَحَفِيٌّ لِيَطْرَحَ سُؤَالًا أَخِيرًا:

– نَعْرِفُ أَنَّ مِثْل هَذِهِ اَلْعَمَلِيَّاتِ ذَاتِ اَلطَّابَعِ اَلْعَسْكَرِيّ، غَالِبًا مَا يَكُونُ لَهَا اِسْمٌ حَرَكِيٌّ مُعَيَّنٌ، فَمَاذَا كَانَ اسْمُ عَمَلِيَّتَكُمَا اَلْمَصِيرِيَّةِ؟

اِتَّسَعَتْ اِبْتِسَامَةُ اَلشَّـابَّيْنِ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُمَا بِبَرِيقِ اَلْعِزَّةِ وَالْفَخْرِ وَالنَّصْرِ، قَبْلَ أَنْ يُرَدَّدَا بِصَوْت وَاحِدٍ: –عِقَالٌ أَسْوَدُ وَطَرْبُوشٌ أَحْمَرُ. ذَلِكَ هُوَ اسْمُ اَلْعَمَلِيَّةِ.

تمت بحمد الله

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المُحتَوَيَاتْ

إهداء 6
الفصلُ الأول: الصَّدْمَةُ 7
الفصل الثاني: الأبْطَالُ 72

عِقالٌ أسودٌ وطربوشٌ أحمرٌ

غوص شيق في أحداث تجمع بين العلم والخيال، وسفر ماتع في دهاليز المخابرات، ومغامرات قوات النخبة، وخطط التمويه والخداع، وعرض مبهر لإمكانيات وقدرات مستقبلية لدول عربية، وهي تخوض سباق التحدي ورهان فرض الوجود في عالم يؤمن بالقوة والتطور والنماء. ومشاعر تتباين على طول صفحات الرواية، مشاعر الخوف والقلق والحيرة والترقب، تقابلها مشاعر الفخر ونشوة النصر وقوة التحدي وروعة الانتماء للوطن وللأمة.